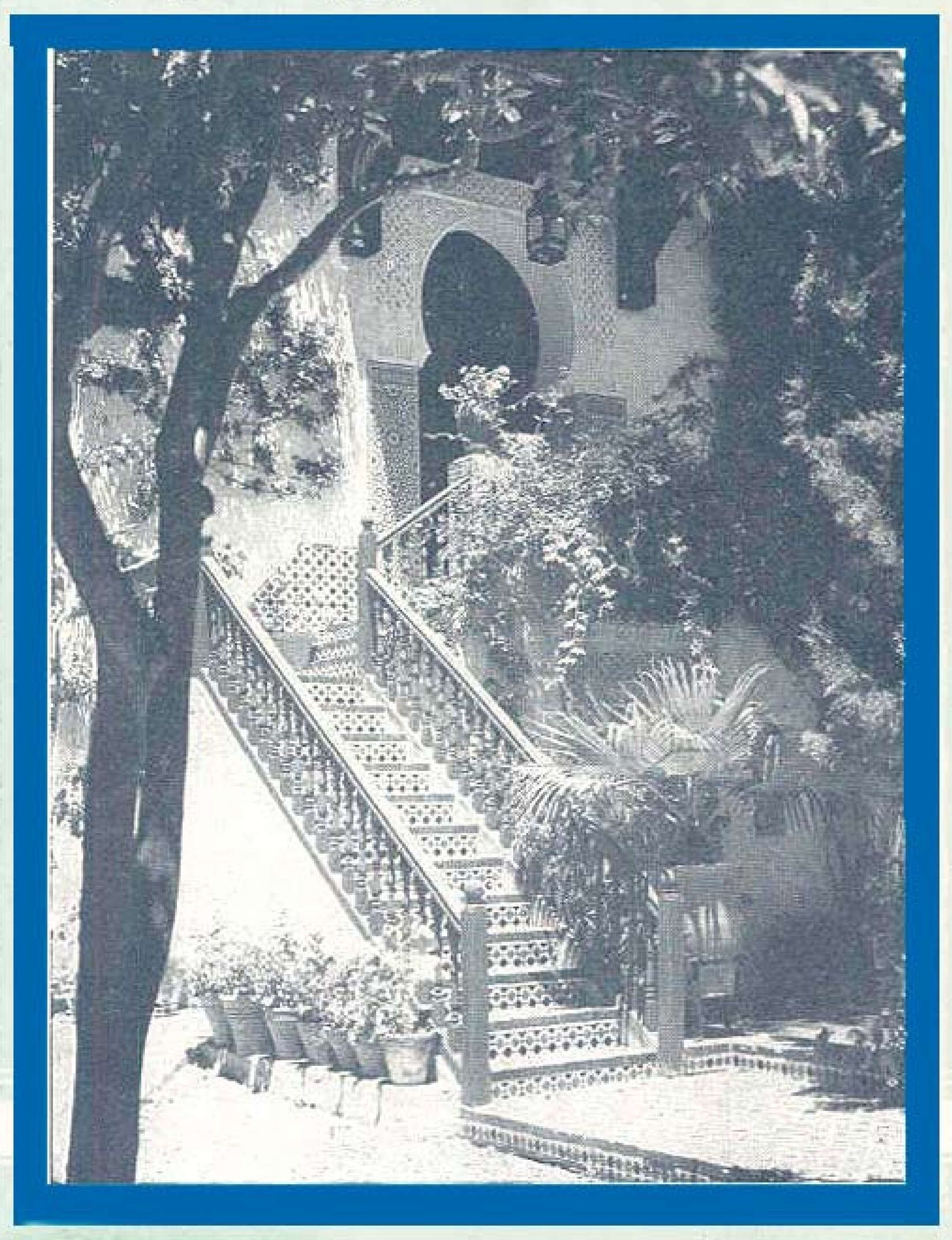
دعوة الحق

مجلة شهرية تعنى بالدراسات الاسلامية
وبشؤون الثقافة والفكر



العدد التاسع - السنة الثالثة
ذو الحجة 1379 - يونيه 1960
ثمن العدد 100 فرنك

تصدرها وزارة عموم الاوقاف
الرباط - المغرب

مدير المجلة
المكي بادو
رئيس التحرير
محمد الطنجي

دعوة الحق

العدد التاسع
السنة الثالثة
ذو الحجة 1379
يونيه 1960

مجلة شهرية تعنى بالدراسات الإسلامية وبشؤون الثقافة والفكر
تصدرها وزارة عموم الأوقاف. الرباط - المغرب

صورة الغلاف



صورة الغلاف تمثل المدخل
لمدرسة الفنون المغربية بتطوان .

بيانات إدارية

تبعث المقالات بالعنوان التالي :
مجلة «دعوة الحق» ـ قسم التحرير ـ وزارة عموم الاوقاف ـ الرباط ـ المغرب .

الاشتراك العادي عن سنة 1.000 فرنك ، والشرفي 2.000 فرنك فأكثر .

السنة عشرة اعداد . لايقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة .

تدفع قيمة الاشتراك في حساب :
« دعوة الحق » الحوالة البريدية رقم 55 ـ 485 ـ الرباط ـ
DAOUAT AL HAK compte chèque postal 485-55 à RABAT

او تبعث راسا في حوالة بالعنوان التالي :
مجلة «دعوة الحق» ـ قسم التوزيع ـ وزارة عموم الاوقاف ـ الرباط ـ المغرب .

ترسل المجلة مجانا للمكتبات العامة ، والنوادي والهيئات الوطنية والثقافية والاجتماعية ، وذلك بناء على طلب خاص .

لا تلتزم المجلة برد المقالات التي لم تنشر

المجلة مستعدة لنشر الاعلانات الثقافية .
في كل مايتعلق بالاعلان يكتب الى :
« دعوة الحق » قسم التوزيع ـ وزارة عموم الاوقاف ـ الرباط
تليفون 308.10 ـ الرباط

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة العدد

مرحلة جديدة

امتاز الشهر المنصرم بحادث جلل في تاريخ المغرب السياسي ، وذلك بتسلم مولانا صاحب الجلالة الملك المعظم زمام شؤون الدولة ليتابع السير بالمغرب في طريق سوي مستقيم نحو التقدم والازدهار والاستقرار .

ولقد عود صاحب الجلالة الملك شعبه الوفي ان يكون حريصا كل الحرص على مصالحه الحيوية تقديرا من جلالته للامانة الجسيمة الملقاة على عاتقه ، وبهذه المناسبة وجه صاحب الجلالة الملك المعظم خطابا الى الامة المغربية اشعرها فيه بتوليه مقاليد الامور ، وحدد جلالته في ندائه التاريخي هذا سياسة الحكومة التي قرر جلالته ان يترأسها بنفسه ، ويتضمن برنامج هذه السياسة الخطوط الكبرى لانتهاج سياسة وطنية تركز دعائم الاستقلال وتحصن سيادة البلاد وتستكمل ما بقي منها من تحرير الاقتصاد وتحقيق الجلاء واعادة الاجزاء المغتصبة من بلدنا الى حظيرة الوطن . فيلتئم الشمل الذي كان الاستعمار قد شتته خلال اربعين سنة .

وبينما كان جلالته يوجه هذا النداء التاريخي كانت جماهير المواطنين تتأهب للقيام باول عملية انتخابية تضع حجر الزاوية في بناء صرح ديمقراطية سليمة تحقق الرغبة الصادقة التي عبر عنها صاحب الجلالة اكثر من مرة وفي غير ما مناسبة ثم اسفرت نتائج عملية هذه التجربة عن مدى التجاوب الصادق والعميق فيها بين جلالته والشعب ، حيث انها جرت في جو مشبع بروح التفهم والوعي وذلك استجابة لتعاليم صاحب الجلالة التي زود بها شعبه في النداء الملكي الذي وجهه جلالته الى الشعب قبل اجراء العملية بيومين .

اما الخطوط الكبرى التي رسمها جلالته للحكومة التي يراسها وينيب عنه في رئاستها ولي عهده فهي تتضمن القضايا الوطنية الكبرى التي يهتم بها الشعب المغربي ويجعلها في مقدمة مشاغله ، ومنها تحقيق الجلاء وارجاع الاراضي المغتصبة وانتهاج سياسة خارجية ترتكز على مبدا عدم التبعية ، والتشبث بمبدا التضامن الافريقي ومساندة كفاح الشعب الجزائري حتى يحصل على حق تقرير مصيره ، كما ان صاحب الجلالة قد قطع للشعب وعدا صادقا في ان يكون للبلد دستور يحدد الحقوق والواجبات ويعطي لمبدا الحكم صفاته القارة التي تحدد المسئوليات تحديدا دقيقا في كل جهاز من اجهزة الحكم ، ويعطي للشعب حق الرقابة والمحاسبة ، وبذلك يتحمل الشعب حظه من المسؤولية في تسيير شؤون البلاد ، ويتحقق الانسجام فيما بين الحاكمين والمحكومين ، وتكون اعمال الحاكمين تعبر اصدق تعبير عن رغبات المحكومين ، هذه بعض الجوانب من هذه المرحلة الجديدة وهي مرحلة حاسمة – كما عبر صاحب الجلالة الملك المعظم ، لانها ستخضع شؤون المغرب العامة في اطار قار يجمع شتاتها حتى يتمكن المغرب من مجاراة التطور العالمي وسيجري ذلك طبعا في دائرة الاحتفاظ بشخصية المغرب القومية والتمسك بقيمه الروحية ، وانها لمرحلة تستوجب تعبئة الجهود لنجاح هذه المرحلة الجديدة ، وذلك في دائرة تضامن وثيق فيما بين العرش والشعب ، وباعتبار المصلحة العامة ووضعها فوق جميع الاعتبارات الاخرى .

ان المغرب بلد احرز على استقلاله منذ خمس سنوات ، ولقد بدات شعوب افريقية اخرى تلتحق به ، وتعمل جادة لتنظيم شؤونها السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، ولهذا اصبح لزاما على المغرب ان يجمع امره وينظم شؤونه ويقبل على بناء الاستقلال بجد ومثابرة ونشاط ، وان يقدر الوقت حق قدره ، ولا يمكن بناء الاستقلال الا بجمع الكلمة وضم كافة الجهود وتعبئة جميع الكفاءات والتشوف الى الوصول نحو هذه الغاية المثلى التي هي بناء الاستقلال وتحصينه ، وذلك برفع مستوى الشعب اقتصاديا وسياسيا واجتماعيا ، وتلك هي الغاية التي يتشوق اليها الشعب في هذه المرحلة الجديدة ويتمنى ان يصل اليها في اقرب وقت وانه لواصل اليها بحول الله بفضل قيادة صاحب الجلالة وسهره على مصلحة الامة ، والعمل لما فيه خيرها وصلاحها . سدد الله الخطى وهدانا جميعا الى سبيل الرشاد .

دعوة الحق

دراسات إسلامية

ثورة القرآن والعقل على أساري التقليد والنقد

للأستاذ: أحمد التيجاني

البرنامج الذي جاء القرآن لتطبيقه هو تهيئة البشرية وتأهيلها لحياة اسمى من الحياة التي حيرت منذ القدم الفلاسفة والحكماء والمومنين وغير المومنين لتلك الحياة التي اخبر عنها القرآن في آخر سورة العنكبوت: وان الدار الاخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون . عبر عن الحياة بلفظ الحيوان لما هو معلوم عند ائمة اللغة من ان صيغة فعلان في اصل وضعها تدل على الحركة والاضطراب كالجولان والسيلان والروجان والغليان والخفقان للدلالة على ان حياة الدار الآخرة استجمعت كافة عناصر الحياة في سائر مظاهرها يشهد لان الاسلام جاء لهذه الغاية الجديرة بمن تشرف بخلافة الله في ارضه ان القرآن الذي هو منبعه ومطلعه جاء على صورة مضمار لتتسابق فيه الهمم تسمى سعيها في ضوء القرآن وتستمطر بنوئه على حد ماعبر عنه عليه صلوات الله : اليوم الرهان وغدا السباق والجائزة الجنة . اقتباسا من قوله جل ذكره : **والسابقون السابقون** . سارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والارض . **انفروا خفافا وثقالا** . ونظيره ما جاء في سورة **المائدة** في معرض الكلام على الامم الثلاث المنتسبة الى كتاب سماوي : اليهود والنصاري والمسلمين . امتن على اليهود بانه اعطاهم التوارة وامتن على النصارى بانه اعطاهم الانجيل ثم ختم بالمسلمين وانه سبحانه اعطاهم القرآن . بعد تذكير الامم الثلاثة بما انعم به عليهم قال عز من قائل **ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة ولكن ليبلوكم فيما آتاكم فاستبقوا الخيرات** . فالامر بين الثلاثة كما ترى مسابقة ومساجلة في الخيرات واحراز اعالى الدرجات.

هذا مع العلم بانه قل ان توجد سورة في القرآن لم يتعرض فيها لذكر العمل تصريحا او تلويحا مع اناطة الجزاء بالعمل اذكر من ذلك على وجه الاستشهاد هذه الآيات : **ونودوا ان تلكم الجنة اورثتموها بما كنتم تعملون ــ وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده واورثنا الارض نتبوأ من الجنة حيث نشاء فنعم اجر العاملين ــ ولكل درجات مما عملوا ــ ــ فلا تعلم نفس ما اخفى لهم من قرة اعين جزاء بما كانوا يعملون ــ ليس بامانيكم ولا اماني اهل الكتاب من يعمل سوءا يجز به ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا ــ ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا وان كان مثقال حبة من خردل اتينا بها وكفى بنا حاسبين ــ والوزن يومئذ الحق فمن ثقلت موازينه فاولئك هم المفلحون ، فلنسألن الذين ارسل اليهم ولنسالن المرسلين فلنقصن عليهم بعلم وما كنا غائبين والوزن يومئذ الحق ــ فاستمسك بالذي اوحى اليك انك على صراط مستقيم وانه (القرآن) لذكر لك ولقومك وسوف تسالون ــ يوم تاتي كل نفس تجادل عن نفسها ــ ان الله كان على كل شيء حسيبا .**

فليفكر اهل البصائر في كلمة كل في هذه الآية وليفكر فيما هو من شكلها من امثال قوله تعالى جده : **وعرضوا على ربك صفا لقد جئتمونا كما خلقناكم اول مرة بل زعمتم ان لن نجعل لكم موعدا ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك احدا ــ** بعد هذه الآيات الناصعات التي لا مجال فيها بحال للتاويل والتوجيهات نقرا لابن منبه ويا للعجب قوله : (لايوزن من الاعمال الا خواتمها) واعجب من تقبل الجمهور لهذا الاثر وامثاله المصادم على طول الخط لتعاليم القرآن ومحكمات آياته حتى اصبحنا نسمع : العبرة بالخواتم الامر الذي جر الدهماء الى اعتقاد ان

الغاية من هذه الحياة هو في الخروج منها بخير في آخر ساعة واما بقية العمر على طوله فالعمل فيه على التساهل والتسامح والتعايش السلمي مع النفس .

فقلت لعلمي والتنسك والتقى
تنحوا وما بيني وبين الهوى خلوا

ومن وراء ذلك القرآن ينادي : وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر احدهم الموت قال اني تبت الآن ، امثال هذه الآيات التي سمعت ايها القارىء الكريم هي التي يلوح طابعها على صفوة الصدر الاول الذين يقول فيهم التنزيل : **من المومنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا ـ الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل ـ كنتم خير امة اخرجت للناس تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر ـ** وعلى ضوء لمعان سيوفهم سار من تبوا مقعدا في تاريخ الاسلام من امثال سعيد بن المسيب التابعي الجليل ومن خبره انه كان فقد احدى عينيه في احدى الغزوات ثم بعد حين اهاب الداعي بالخروج لغزوة اخرى فكان في طليعة من ساروا اليها فقال له بعض معارفه : يا سعيد سقطت عنك فريضة الجهاد ان الله سبحانه يقول : **لا يستوي القاعدون من المومنين غير اولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله** . وانت من اولي الضرر فما كان منه الا ان اجاب سبحان الله ان الله استنفرنا خفافا وثقالا اذا لم يمكني قتال اكثر السواد واحفظ المتاع . ونظيره ما يوثر عن ابي خيثمة الصحابي الاشهر ومن خبره : كان ممن تخلف عن الخروج مع رسول الله (ص) في غزوة تبوك لغيبة اعترضته وبعد ايام دخل على اهله في يوم حر فوجد امراتيه في عريشتين لهما في حائط ، وقد رشت كل واحدة منهما عريشتها وبردت فيها ماء وهيات طعاما فلما نظر الى امراتيه وما صنعتا قال رضي الله عنه : رسول الله في الحر وابو خيثمة في ظل وماء بارد وطعام مهيأ وامراة حسناء ما هذا بالنصف ثم قال والله لا ادخل عريشة واحدة منكما حتى الحق برسول الله فهيآ لي زادا ثم ارتحل ناقته واخذ سيفه ورمحه ثم خرج في طلب رسول الله حتى ادركه ، ه. من تفسير روح البيان عند تفسير قوله تعالى : وقالوا لا تنفروا في الحر في سورة التوبة .

الى جانب هذه التربية القرآنية التي نشرت امامك ايها القارىء الكريم نجم قرن تربية اخرى درجت من عش علم الكلام الموصول النسب بفلسفة مجهولة الاصل في معظمها ما فتئت هذه التربية الطارئة ان طوت التربية القرآنية مستبدلة لها بتعاليم نسمع صداها في امثال كتاب جوهرة التوحيد للقاني التي اظهر فيها الاسلام في مظهر دكتاتورية حيث يقول فيها صاحبها :

بخالق لعبده وما عمل
موفق لمن اراد ان يصل
وخاذل لمن اراد بعده
ومنجز لمن اراد بعده
فوز السعيد عنده في الازل
كذا الشقي ثم لم ينتقل
فان يثبنا فبمحض الفضل
وان يعذب فبمحض العدل

اقل ما يقال عن عقيدة كهذه انها هدم للتكليف من اسه وابطال لحكمة ارسال الرسل وهنا اعرض على انظار طلاب الحق ما جاء في اصول العقائد المسيحية وهو ان السعادة لا تنال بالاعمال بل بمحض الفضل (الاجراص) من اراد الوقوف عليها فليطلبها في تاريخ الديانات العام لمؤلفه جول لابوم وفي كتاب ما بعد الموت لصاحبه ليون دونيس ـ صدق رسول الله: لتتبعن سنن من قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه فليختر من اراد الاختيار بين الذي هو ادنى والذي هو خير والمجال هنا فسيح للتفنن في ضروب التاويل والترويم ويرحم الله القائل :

لي صاحب افديه من صاحب
حلو التاني حسن الاحتيال
لو شاء من رقة الفاظه
الف ما بين الهدى والضلال

من عجيب ما كشف عنه الزمان ان العقيدة المقررة في جوهرة اللقاني رحب بها المستشرقون ايما ترحيب وسارعوا الى ترجمتها اخص بالذكر من بينهم المستشرق ج. د. لوسياني الذي لم يقنعه ترجمة المتن حتى ترجم شرح المنظومة لصاحبه عبد السلام الباجوري طبعت الترجمة بالجزائر عام 1907 بمطبعة بيار فنطانه والمترجم يشغل يومئذ منصب مدير للأمور الأهلية لعموم القطر الجزائري ولامر ما ادخلت

الحكومة الاستعمارية هذا الكتاب في برنامج التعليم الاسلامي في المدارس العليا الثلاث قسنطينة والجزائر العاصمة وتلمسان — فليتامل ذوو البصائر وليأخذوا حذرهم من اهل الكتاب والحذر والحزم انما هما في اقامة العقيدة على تعاليم القرآن ومبادئه التي هي الطريق الذي لايخاف صاحبه دركا ولا يخشى تلك المبادىء التي سردت منها نبذة من الايات على اني لا انسب الى الغلو ان قلت ان ما ذكرته من الآيات تغني عنه فيما نحن فيه آية واحدة هي قوله تعالى جده : **وهو الذي خلق السموات والارض في ستة ايام وكان عرشه على الماء ليبلوكم ايكم احسن عملا** . اذا كان الابتداء هو الغاية من وجودنا في هذه الحياة ترتب عليه لزاما ان الابتلاء لا يعقل ولا يتصور الا في حق من يصلح للابتلاء وعليه بني التكليف المشار اليه في قوله سبحانه : **انا عرضنا الامانة على السماوات والارض والجبال فابين ان يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان** — ومن هنا ندرك السر في تفاوت الدرجات يوثر عنه عليه السلام انه قال : (راى رجل في الجنة عبده اعلى منه درجة فقال يارب هذا عبدي ما باله اعلى مني درجة فيقول الباري سبحانه : جزيته بعمله وجزيتك بعملك . ولامر ما يقول عليه السلام : الايمان والعمل شريكان في قرن لا يقبل الله احدهما الا مع صاحبه .

وفي الختام اقول على وجه الاستنتاج بان اولادنا الذين اصبحوا اليوم يتخرجون من الجامعات والكليات لا تتسع افكارهم ولا تستسيغ عقولهم الا ما زكاه المنطق وايده الواقع وماجريات الحياة والا جفلوا من حظيرة مجتمعهم جفول النعام بالرجل وبالجناح ولهم العذر وعلينا الوزر فليحذر الذين يخالفون عن امره ان يصيبهم فتنة او يصيبهم عذاب اليم ، اللقاني يقول : فان يثبنا فبمحض الفضل ، مفهوم هذا الكلام بدلالة الالتزام ان الثواب لا يترتب على العمل وان كليهما لا يمت الى الآخر بسبب والقرآن يقول : **قل اذ لك خير ام جنة الخلد التي وعد المتقون كانت لهم جزاء ومصيرا لهم فيها ما يشاءون خالدين كان على ربك وعدا مسؤولا — ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا وان كان مثقال حبة من خردل اتينا بها وكفى بنا حاسبين — والوزن يومئذ الحق فمن ثقلت موازينه فاولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فاولئك الذين خسروا انفسهم بماكانوا بآياتنا يظلمون — من جاء بالحسنة فله عشر امثالها** . والنبي عليه السلام يقول من جهته : ويل لمن غلبت آحاده على اعشاره .

اما التهويل والترهيب بان هذا الاعتقاد يشعر بالايجاب على الله فهو تهويل يرمي لغير هدف انما يرتب الجزاء على العمل بمقتضى ما سنه سبحانه في جملة ما سن من السنن وشهد عليه شاهد من كتابه الذي لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه — وتلك الجنة التي اورثتموها بما كنتم تعملون ، وان ليس للانسان الا ما سعى وان سعيه سوف يرى ، انما الغاية من التهويل والترهيب تبرير مذهب الاشعرية والانتصار له مع نسيان صاحبه او تناسيه لما تكرر في القرآن على طوله .

وكم من فقيه خابط في ضلالة
وحجته فيها الكتاب المنزل

كيف يخطر ببال من هو العوبة الحوادث وفريسة الديدان ان يوجب على من يقول فيه احد الشعراء : راى البحر عرش الرحمان مرة واحدة فهو الى الآن سكران ثمل . وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه — **فاذ نفخ في الصور نفخة واحدة وحملت الارض والجبال فدكتا دكة واحدة فيومئذ وقعت الواقعة وانشقت السماء فهي يومئذ واهية والملك على ارجائها ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية** . وهنا اذكر بحكم الاستطراد هذه النادرة وهي ان الامريكي بنجما فرنكلا اوصى ان يكتب على قبره هذه الكلمات : (جسمي اصبح تحت التراب في صورة كتاب بال افرغ من مضمونه تلاشى تذهيبه واندرست حروفه لكن لا باس لان هذا الكتاب سيعاد طبعه في صورة ابهى من الاولى بعد المراجعة والتصحيح من المؤلف) .

اخواني الاعزاء ان العهد الجديد الذي تفتحت ابوابه في سائر الميادين على الجهات الست لا يرضيه منكم الا مبادىء تستنهض الهمم وتفتح الطريق الى القمم انكم تعيشون في عصر يقول فيه احد قادة الانجليز نحن قوم انلاحت لنا فرصة نطمع فيها ان نربح مائة في المائة سرقنا ، فاذا كان الربح مائتين في المائة قتلنا ، واذا كان ثلاثمائة في المائة القينا بانفسنا في المهالك ، وبازائه سياسي آخر يقول : انما اعطينا اللسان لنموه به عن نوايانا :

فالسباق السباق قولا وفعلا
حذر النفس حسرة المسبوق



الهدف من التربية تكوين وايجاد المواطن الصالح ، غير ان مفهوم « المواطن الصالح » يختلف باختلاف الافكار والفلسفات والعقائد والعادات ، فالعالم متفق فى اللفظ ولكن يختلف قليلا او كثيرا فى المفهوم منه ، وقد وقع مثل ذلك بالنسبة لكثير من الشعارات والالفاظ كالعدل والحرية والديمقراطية : فالمواطن الصالح الذي تريد ايجاده التربية الاميركية او الغربية غير الذي تستهدف ايجاده التربية الروسية ، لان الغربيين يقومون الفرد والمجتمع بميزان خاص بهم ، فهم يؤمنون بالفرد وقيمته وحريته ولذلك يقدسون حقوقه الطبيعية ويحافظون عليها ويحرسونها ويتيحون لها المجال للحياة والنمو والانطلاق .

وكان النظام الراسمالي التعبير الاقتصادي عن ذلك الاتجاه ، وقد نظم المجتمع تنظيما يستوحي كيانه وروحه وحياته من تلك الفكرة ، وكان اذن من الضروري ايجاد تربية موسومة بهذا الميسم ، وبالتالي تكوين مواطن يؤمن بهذه التعاليم ويعمل على الانسجام فى مجتمع يومن بها ويعمل لها ، ولكن مع هذا ايضا تترك له الحرية للتعبير عن افكاره وعن اتجاهاته ولو كانت شاذة عن الاعراف العامة ، ويمكن فى هذا النظام ان توجد اتجاهات متنافرة مختلفة نتيجة احترام الحقوق الطبيعية للفرد .

اما الشيوعية فهي تؤمن بقيمة الجماعة ، فهي كل شيء ، وما على الفرد الا ان يربط قضيته بقضيتها ، فهي الحاكمة وهي المالكة وهي الاول والآخر ، ولكن هذه الجماعة يجب ان تكون منظمة على الشكل الذي حددته لها الفكرة الشيوعية والتي يقودها قادة الحزب الشيوعي ، ويجب تبعا لذلك ان تكون التربية التي تغذي الاطفال والطلاب وغيرهما مطبوعة بالفكرة الماركسية والاسس اللينينية وما سيجد من تفسير لهما لمصلحة الفكرة ، والنظام الشيوعي يؤمن بالديكتاتورية البروليتارية كخطوة ضرورية نحو الغاية المثلى التي يريدها للبشر او لاتباعه ، ولذلك فالفكرة عند التطبيق تتسم بالفرض والاجبار والحرص الشديد على تطعيم « المواطن » بذلك الغذاء المجهز ، والعمل على الحصار النفسي والعقلي حتى لايتسرب الى ذهنه ما قد يشوه الفكرة او يسيء الى المباديء المقررة لصالح الجماعة .

واذا كان للالفاظ دلالة ، وكان من وراء هذه الدلالة مقاصد فاننا امة اسلامية — ولو من الوجهة النظرية — لم تتملص بعد من هذا الدين او تتنكر له وتعلن عليه الحرب ، بل ما زال المسؤولون — والحمد لله — يصرحون فى مناسبات شتى بان الاسلام هو دين المغرب ولن يرضوا عنه بديلا ، وان التاكيدات الكثيرة لهذا المعنى تفرض علينا ان نسير فى اتجاه الاسلام وتحت ظلال القرآن وفى اضوائه ، والا تتجه اتجاها معاكسا يسلب الالفاظ دلالتها ، ويلصق بها معاني ونعوتا غير شريفة ، ان الترجمة الحق لتلك التصريحات يجب ان تكون شيئا عمليا يعطي لها المعنى الفعال ، واهم شيء عملي هو تربية تتلاءم وحياتنا الروحية والفكرية وتحقق لتلك التصريحات شرف المعنى ونبل المقصد .

ونحن نرى الامم قد ارادت شيئا فى حياتها وحددته وسارت فى حياتها وفقه ، فسجلته فى الانفس

والعقول فكان سلوكها منطقيا مع افكارها ، منطقيا مع اهدافها ، متجاوبا مع التصريحات التي يدلي بها قادتها .

ونحن لاينقصنا التحدث عن الغايات ولكن الذي تحتاج اليه العمل على ايجاد تصميم تربوي عام لتحقيقها ، فالكلمة منفصلة عن العمل جثة بلا روح ، وحركة ميتة لاتخلق شيئا الا انها تضيف للفراغ فراغا .

واني لاستغرب لاولئك الذين يتغنون بالحضارة الاسلامية وهم لم يوجدوا عدتها ، ويبشرون بالمدنية الاسلامية المستقبلة وهم لم يحاولوا خلق سرها : ونشر وعيها ، واعجب لمن يبغض الشيوعية وينعتها بنعوت خبيثة وهو يعيش على الخيال والفراغ ويساهم بفعله وسلوكه في نشر الشيوعية وغيرها من المبادىء الهدامة للقيم الروحية . . .

اننا الآن امام تيارات مختلفة اهمها التيار الشيوعي والراسمالي ولكل من التيارين فلسفة خاصة حول الانسان وعلاقاته المختلفة ، واذا كان الثاني قد طرد الدين من الشارع وحاصره بين جدران الكنيسة ووضع حدا فاصلا بين ما لله وما لقيصر ، فان التيار الشيوعي قد طرد الدين من كل مكان واستاصله من اساسه وحدد موقفه من الله ، ومن الغيبيات بكل صراحة وجراة ، وآمن بالمادة ، وبها وحدها . ولكل دعوة فكرة منتظمة ، ومنطق علمي ، مع ملاحظة ان للفكرة الشيوعية طلاوة وجاذبية وعمقا بما تمني به الجيوب الفارغة والبطون الجائعة ونزعات الشباب الثائرة ، ومثاليتهم الحالمة ، من نعيم مقيم ، وفردوس عميم ، ويزيد في بهائها وقوتها ونصاعتها ما حققته الدولة القائدة للفكرة من انتصارات علمية واقتصادية وفنية مدهشة زيادة على التجربة الصينية الخارقة ، فهي اذن ، فكرة مؤيدة بالدليل المادي المحسوس فهل حصنا انفسنا ضد هذه الدعوة او تلك ؟ وهل وضعنا لانفسنا تصميما اجتماعيا يجعل لنا كيانا خاصا بنا ؟ وهل اخترنا بصراحة الطريق السليم الذي يجب ان نسلكه ؟ بل هل حددنا غايتنا واهدافنا ؟ .

ان الامم الآن ــ بل ودائما ــ اصبحت تؤتى من جهة ضعفها الروحي والفكري ، وان الامم الخالية من « الفكرة الفقيرة من الارادة » المشوشة الاهداف ، المبلبلة الفكر ، مستهدفة لغزو امة اعظم منها افكارا وتنظيما ، وان الأرواح الفقيرة والعقول الفارغة والافكار الخالية لابد من ان تمتلىء اليوم او غدا خصوصا وكرتنا الارضية اصبحت متقاربة اشد التقارب متجاورة اقوى ما يكون التجاور .

والصراحة التي يجب ان تكون دائما شعارنا تفرض علينا ان نقول اننا نعيش في فراغ مخيف وذلك ناشيء عن عوامل شتى ، وليسمح لي القاريء الكريم اذا ما اتهمنا انفسنا نحن عن اسباب هذا الفراغ وعن استمراره ، دون ان نلقي التهمة على الاستعمار الذي اتخذه البعض منا ستارا لتخلفنا الخلقي والفكري فنحن هم الذين اوجدنا هذا الفراغ اساسا ، ونحن المسؤولون عنه اولا واخيرا ، اما الاستعمار فلم يكن الا قوة مساعدة ، وجدت الاستعداد والقابلية ، ومن طبيعة هذه القوة الشر المطلق ، والمهم الآن ان نملأ هذا الفراغ بما يتفق وتاريخنا وعقائدنا قبل ان يملأه غيرنا . . اذا لم يكن قد بدا بملئه .

فنحن فقراء « فكرة » هذه حقيقة لاننكرها او يجب علينا الا ننكرها ، اما الاسلام فهي فكرة تعيش في كتبها ، غنية بنفسها حية في ذاتها ، ولكنها ميتة في نفوسنا لانها لاتمدنا بقواعد السلوك او بالاحرى لا نستوحيها في تنظيمنا العام ، ونحن الآن امام طريقين : اما ان ندع انفسنا مجالا لفكرة غريبة عنا احببنا ام كرهنا ، او نعمل على اذابة الفكرة الاسلامية في كياننا لتتجلى واضحة في سلوكنا وتنتقل الى حياتنا في صور عملية واقعية .

ولعلنا لسنا في حاجة الى استعادة فكرة او ابتداع مذهب ، فقد ارتضينا الاسلام دينا ، ولهذا الدين نظريته في الانسان وعلاقته باخيه الانسان وبالسماء واذا كانت المسيحية تهتم بالروح والشيوعية تؤمن بالمادة فالاسلام لايفصل المادة عن الروح ، ان رسالة محمد (ص) كما يقول ليوبولد فايس : لم تدع الروحية كشيء منفصل عن الحياة الجسمانية او مضاد لها بل ارتكزت بالكلية الى المفهوم القائل بان الروح والجسد ليسا سوى وجهين لحقيقة واحدة .

فالاسلام دين يستهدف رفع المستوى المادي والروحي للجماعة الانسانية ، عن طريق تنظيم اجتماعي مرتبط بالسماء ارتباط المخلوق بالخالق .

وللاسلام مفاهيم خاصة تختلف عن مفاهيم المبادىء الاخرى فى قليل او كثير فله نظريته حول الفرد وحول المجتمع وله نظمه للحكم وقوانينه الجنائية والمدنية والاقتصادية والدولية ، وله نظرة خاصة حول الواجبات والحقوق . وليس فى حسابنا الآن التحدث عن هذه النواحي اجمالا او تفصيلا ، وانما الذي نريد قوله هو ان الاسلام نسيج وحده له طبيعته الخاصة ولذلك يجب ان نضعه المصدر الوحيد لاستلهام نظمنا فى الحياة ولايجاد تربية اسلامية محضة تستهدف تكوين المواطن الصالح بمعنى « المؤمن » المحدد فى الكتاب والسنة ، اما ان نلفق ونرقع فذلك تضييع للمجهودات وافناء للحركات وخلق للعبث ، واستمرار فى حالة القابلية للاستعمار

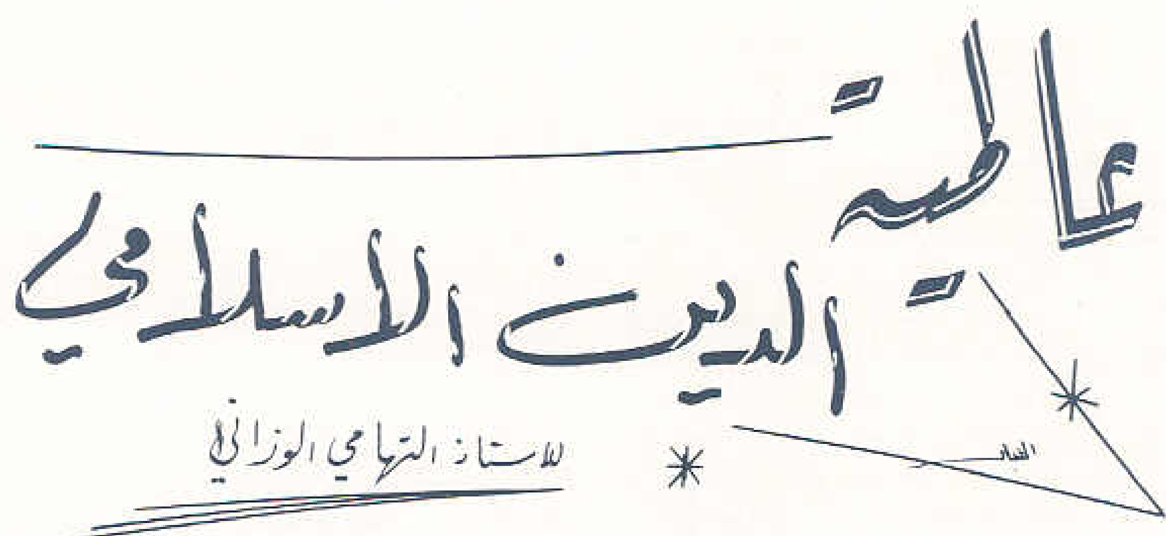
ان ايجاد تربية اسلامية اصبحت اليوم ، او يجب ان تصبح ، هي قضيتنا الاولى ، لاننا بدونها لايمكن لنا ان نسير السير الذي ترتضيه امة تريد النهوض واللحاق بالركب الذي وصل الى الفضاء وزاحم الشموس . **اننا ننتظر من المسؤولين ان يجددوا الميثاق مع الله ، فيبحثوا البحث الجدي فى ايجاد هذه التربية ،** ويجب ان يعقد لذلك مؤتمر اسلامي ، يجمع اعلام المسلمين ، فى الشرق والغرب ليشاركوا فى تصميم بناء امة وميلاد حضارة كأن لها شأنها منذ قرون .

اما اذا اهملنا هذه القضية العظيمة والخطيرة فان لفظة الاسلام ستظل على شفاهنا تحمل معنى الفناء وسنجد انفسنا فى يوم ما ، قد تغيرت معالم حياتنا واصبحنا شعبا آخر لايؤمن بالقيم التي كانت سر عزته ووجوده والتي حافظ عليها اجداده وارتمينا فى احضان هذا او ذاك .

ان سنة التاريخ تخبرنا ان الامة اذا لم تكن تعيش بفكرة سامية ، ولها ، لاتستحق الحياة حرة عزيزة كريمة ، وكان نصيبها فى الحياة ان تكون ذليلة مستعمرة ان لم تنقرض .

ان لنا فى الاسلام خير وسيلة لابراز شخصيتنا واذا كنا ضعفاء متخلفين من الناحية المادية ففكرة الاسلام تجعلنا فى مقدمة التيارات العالمية ، بل قد تضع على يد هذه « الامة » انقاذ العالم الذي يتخبط فى مشاكل روحية خطيرة . فالمشكلة الاساسية ـ كما يقول جورج سارطون ـ فى عالمنا اليوم وفى كل يوم هي مشكلة رفع المستوى الروحي لجميع الناس ، الاغنياء والفقراء ، فاذا نحن خبنا فى رفع المستوى الذي يحيا عليه هؤلاء الناس فان جميع حسنات مدنيتنا تصبح حينئذ نقمة عليهم ثم تنحدر بهم وتهلكهم .

ان عالمنا اليوم فشل فى حل مشاكله بالقوة والمادة وليس له الا ميدان الفكرة صراعا وحربا . . افلا نعمل على اشاعة رسالة الاسلام فى مجتمعنا وبثها فى ابنائه عن طريق تربية عامة وشاملة لتكون الرجل المومن الذي ينطلق لهذا العالم ليؤدي فيه الرسالة التي قام بها اجداده الذين انقذوا العالم وامدوه بقيم انسانية خالدة ، وبذلك نحقق فينا قوله تعالى : **((كنتم خير امة اخرجت للناس تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله)) .**



أرادتنـــي على ان ارافقها الى السينما فى احدى امسيات الخميس ، ولي ولوع بالسينما الغربية لا لاني شعوبي احتقر انتاجنا العربي ، بل لاعتقادي اننا لم نصل الى الدرجة التي يمكن معها ان افتخر باننا منتجـون فى الميدان الروائي والقصصي ، ونحن فى عدولاتنا الاولـــى اخطأنا الطريق من اول قدم ، فقد كان واجبنا ان نستلهم حياتنا الواقعية فنتخذ منها العبر والعظـات ، وعــن طريقها نقول مالنا من التوجيهات بدلا من ان نمسخ فكرة الاخرين ، فلا نحن مقلدون ولا نحن مجتهدون ، والتقليد الحق ان لا يقل المقلد فى شيء عن مقلدها ، وانما هــو صدى طبق الصوت ، كشأن المعيدين فى الجامعـــات يؤدون فكرة من يملأ الكرسي اتم اداء او اقربه الى التمام ، ولكنها تهيم رغبة فى ان تفهم كل حركة وسكون ، ولن يتأتى لها ذلك ما دامت لغة الفلم رطانة اعجمية ليس فيها حاء ولا عين ولا ضاد ، ولا جمع بين جيم وخـاء ، فتساوقت ترضية لها انسياق الذكر للانثى ، وكـان الفلم « فتح مصر » وهو من المحاولات القومية الرائعة ، والموضوع اشد منها روعة ، وتبينت جميع اماني الشعب المصري التي يعلقها على الحركة الاسلامية فى سبيـــل تحريره ورفع نير الاستعمار عن رقبته ، تبين ذلــك واضحا جليا حينما كان الاجماع من القبط قساوستهم وراهباتهم وشعبهم على الحماس لقبول فكرة « المقوقس » التي جعلت من « مارية » المهداة خير رابطة تربط بين الشعب العربي والشعب القبطي وكانت كلمة مارية فى نظر المترجم بمثابة الى ان تتحول الى « مريم » لكــن الجامعيين فى المدينة المنورة ، وعلى راسهم رسول الله (ص) قبلوا كلمة « مارية » حرصا على زيادة كلمــة يتحد فيها النطق بين اليثربيين والاسكندريين ، فكانت « مارية القبطية » كلمة تساوي كلمة « أم المومنين » دون ان تحتاج الى تبديل او تغيير ، لان ذلك يفقدها قوتها ، والاسلام حريص على أن يستغل كـل شيء فى سبيل اقامة نظام عالمي لا رائحة للعنصرية فيه ، فحق العرب فى اللســان العجمي يساوي حق العجم فى اللسان العربي ، فان الناس من آدم وآدم من تراب واختلاف الالسن والالوان اختلاف لا يمس فى شيء الوجهـــة العالمية الكبرى ، وليس هنالك من بأس فى ان يضعف هذا الاختلاف ، فان كل ضعف او وهن فيه من شانه ان يؤكد الفكرة الاسلامية المجسمة فى قول الله سبحانه **« يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكـم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم »** .

وفكرة محاربة العنصرية فى الاسلام ، من اعظـم الافكار الثورية فى الوسط الجاهلي المنكمش الذي كان يجهل الخارج كله ، والناس عنده هم البدو الرحل ، اما اهل الحضارات ، والحكماء اليونان ، وذوو الاجلال من الرومان ، والابطال من الفـرس ، واللاهوتيـــون الهنود فكل اولئك لايعلم عنهم العربي المتعزل فى شبه جزيرته شيئا ، ويجيء الشعراء والامراء فيسخرون من اهم الدنيا موهمين اخوانهم ان لا شيء فى الدنيا الا العرب ، فجاء الاسلام يقلع هذا الاعتقاد بنفس القـوة التي يقتلع بها الوثنية وعبادة الجن ، فقوض منها مــا قوض قولا فى قوله : ان اكرمكم عند الله اتقاكم . وفعلا فى تكريم سلمان ، وصهيب ، وبلال .

اما المهاجرون والانصار الذين طالت صحبتهم لرسول الله (ص) حتى هضموا تعاليم القرآن حــق الهضم ، فاصبحوا عالميين ، واستطاعوا بفضل مواصلة التوجيه المحمدي ان يكسروا غل التقاليد الجاهليـــة

الذي كان يصفدهم فاصبحوا رجالا عالميين ، يطمحون الى ان يتعرفوا الى اخوانهم من البشر ، وان يقدموا اليهم البضاعة القرآنية الرائجة ، وياخذوا فضل ما هم عليه ، حتى ان الكنائس كانت تتحول الى مساجد دون ان يطرا عليها تغيير اكثر من كسر الصلبان وازالة الصور ، وكانوا يلبسون ملابس الشعوب الاخرى ، ويطعمون طعامها لا يستنكفون شيئا من ذلك ، ويرون ان لهم الحق في ان يتمتعوا بالتراث البشري ما دمنا كلنا متساوين في الحقوق والواجبات ، وما دام افضلنا جميعا اتقانا لله

واما المتاخرون اسلاما ، وهم قوم مفضولون بالسبقية الى التشبع من تعاليم القرآن ، مفضولية صريحة في قول الله عز وجل **« لايستوي منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل ، اولئك اعظم درجة من الذين انفقوا من بعد وقاتلوا ، وكلا وعد الله الحسنى »** هكذا قال سبحانه ولم يقل لايستوي من كان عربيا ومن ليس بعربي ، وواضح ان الاشارة بمن يقصد بها في الدرجة الاولى الطلقاء من قريش ، الذين لم يبق لهم من الوقت ما يستطيعون فيه ان يلحقوا المهاجرين والانصار ، ليس فيما يرجع للاولية فقط ، بل لان فرصة الاخذ على الرسول (ص) في زمن طويل متنوع قد فاتهم اباتها ، فاتتهم مشاهدة التكوين الاول للمجتمع الاسلامي ، واختلط على قريش بسبب انتقالهم مباشرة من عز القرشية الى عز الاسلام ، وتغافلوا عن الدعوة الانسانية الكبرى ، وحسبوها احد المثل العليا التي لم يحن وقت تحققها ، وساروا سيرة عربية جاهلية ، ولولا العلماء والفقهاء الذين كانوا يردون عليهم رايهم داعين الى راي القرآن ، لارتدت امم اعتنقت الاسلام بسبب دعوته الى الاخوة البشرية في اطار تعاليم القرآن ، غير ان العلماء اوضحوا ان الزعامة الاموية تفقد الشيء الكثير من روح الاسلام ، ومن المعقول ان تلتفت الشعوبية حول الفقها ، وان تناهض الدعوة الاموية وتنحاش الى جانب آل البيت ، الذين كانوا متشبعين بروح تطبيق الاسلام كما كان يفهمه سيدنا محمد (ص) الذي انزل عليه ، وان آل الرجل لاعلم بطريقة حياته في بيته ، وادقهم معرفة بحقيقة افكاره ، فلهذا كان العلويون يحنون الى الاعاجم حنينهم الى العرب او ازيد ، نظرا لان الاعجميين اصبحوا عنصرا ضعيفا يجب حمايته .

ومهما يكن من امر فان العرب لما كانوا عنصريين كانوا جاهلية اميين ، فلما جاء الاسلام داعيا الى وحدة بشرية يسودها النظام والعدل ، وقام العرب بنشر هذه الدعوة صاروا في طليعة امم الارض ، وكما تحكمت قاعدة غلبة الانسانية على العنصرية في القديم ، فان هذا هو حكمها في الحديث ، وسيظل لها هذا الحكم الى الابد . والله يقول الحق وهو يهدي السبيل .

انصار الحق واشياع الباطل

عن عبد الله بن مسعود ان رسول الله (ص) قال ما من نبي بعثه الله في امة قبلي الا كان له من امته حواريون واصحاب ياخذون بسنته ويقتدون بامره ثم انها تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لايفعلون ويفعلون ما لايؤمرون فمن جاهدهم بيده فهو مومن ومن جاهدهم بلسانه فهو مومن ومن جاهدهم بقلبه فهو مومن وليس وراء ذلك من الايمان حبة خردل

دواء الشاكين وقامع المشككين

- 6 -

للدكتور تقي الدين الهلالي

ثم قال المصنف : وبقطع النظر عن هذه المسالة ، وهي ما هو اصل الحيوان ؟ وهي في الحقيقة مشكلة علمية قد اقترح بعضهم ان هباءة ، ذرة عظيمة القدر ؛ لكنها صغيرة الحجم حتى انه لايستطيع احد ان يلمحها ولو لمحا غير واضح بأي مجهر ، وهو المكرسكوب ، هذه الذرة الصغيرة هي التي فرقت ما كان مجتمعا متحدا ، وجمعت ما كان متفرقا متباينا ، فظهرت الحياة بمظهرها المدهش .

وتقريبا للفهم نقول : انظر الى الاميبا ، وهي حيوان صغير لايرى الا بالمجهر ، وقد تطورت تطورا تاما وهي متركبة مما لايحصى من ملايين الذرات ، كاملة الصنع على احسن نظام ، والاميبات مخلوقات ذات خلية واحدة ولعل مساحة حجم الواحدة منها لاتزيد على جزء من مائة من البوصية ، والاميبا توجد في جميع مياه الدنيا ، وهي تطلب غذاءها بعزم واجتهاد ، كم يجب ان يكون الحيوان كبيرا في الحجم قبل ان نعترف بان له رغبة وعزما ؟ الحجم لا اعتبار له ، فان الذرة في الاتقان والكمال تساوي المجموعة الشمسية باسرها ، واذا ضربنا مثلا الاميبا فلسنا نقصد ان هذا المخلوق الحي هو الخلية المنفردة الاولى التي هي ينبوع الحياة ، تقدم شرح معنى كلمة (بروتوبلازم) ونريد هنا زيادة في بيان احوالها فنقول : انها قطيرة بين السوائل والجوامد ، وعبرت عنها المعاجم الاعجمية بنصف سائلة ، وهي في غاية الدقة ، حتى انها لاترى بالعين المجردة لزجة شفافة ، منها تكون المخلوق الحي الاول ، ومنها نشا جميع الحيوان والنبات ، وكان نمو كل فرد منهما ونشاته بانقسامه في داخله الى قسمين ، وكل من القسمين انقسم الى قسمين ، فكانت اربعة اقسام واستمر الانقسام والنمو الى ان بلغ كل فرد المقدر له ، وهذا عين ما تفعله الخلايا اليوم في كل مخلوق حي ، وكل خلية بعد الانقسام الاول تشتمل داخلها على قوة ينتج منها مخلوق كامل من الافراد ، والخلايا باقية لاتتغير ولا تنتهي الا في حال وقوع حادثة تصادفها ، او عند بلوغها نهاية الاحوال المقدرة لها ، وهذه الخلايا هي التي تشكل جميع اجسام الحيوان والنبات اليوم ، وعلى هذا يكون عمل هذه الخلايا نسخة طبق الاصل من عمل اسلافهن الاوليات ، فنحن من حيث كوننا اناسي (جمع انسان) جمهوريات منظمة احسن تنظيم مؤلفة من بلايين على بلايين من امثال تلك الخلايا ، وكل خلية بمنزلة مواطن من تلك الجمهورية يؤدي واجبه من الخدمة العامة باخلاص تام واتقان ، وبعكس ذلك تكون الذرة من الجماد .

اقول : فما رأي المشككين في اتحاد هذه المجموعات من الذرات التي تعد بملايين على ملايين في اتحادها الذي لايتطرق اليه التفكك ، وتضامنها الذي لايعتريه تخاذل ، وتعاونها الذي لايشوبه ملل ، ايمكن ان يكون ذلك كله على سبيل المصادفة ، بغير علم سابق ولا تدبير مرافق ؟

ثم قال المصنف : ولكننا نستطيع ان نشير الى مثال وقع من قبل ذلك بزمان بعيد في ابتداء الحياة على وجه الارض، وهو مهم وعجيب جدا. خلية تعطي قوة مدهشة تستعمل بها ضوء الشمس فتكسر به مركبا كيميائيا وتصنع غذاءها بنفسها وغذاء لاخواتها من الخلايا . والذرة الاصلية تحضر غذاء تعيش به بناتها من الذرات ، ثم تكون الذرات البنات حيوانا ، على حين تصير الذرة الام نباتا ، واولاد ذلك النبات المتولدات منه تكون بعد غذاء لكل شيء حي في وقتنا هذا ، فهل يستطيع احد ان يفسر هذه الحقيقة ، وهي ان بعض الخلايا تصير حيوانا وبعضها نباتا ان كل ذلك وقع بالمصادفة ؟ وهنا في هذا التقسيم نعرف سر التوازن العجيب الواقع بين النبات والحيوان بل بين حياة النبات والحيوان قد اسس من قبل على اساس مقدر معلوم . واذا رجعنا الى الوراء الى قصة حامض اكسيد الكاربون ، نجد ان هذا التقسيم كان بلا ريب احد الأصول الجوهرية التي اسست عليها الحياة

نفسها ، فلو كانت الحياة كلها حيوانا لكان الآن قد استهلك جميع الاكسجين ، ولوكانت الحياة كلها نباتا ، لكان الآن قد استهلك جميع اكسيد الكاربون وفى كلتا الحالتين كلاهما يموت . ما اعجب امر الحيوان والنبات كليهما فى تطورهما من الكائنات البروتوبلازمية ذكورا واناثا ان كل نوع لم يزل يتكرر تركيبه وبذلك بقى مستمرا مع المحافظة على خصائصه العامة ، ونحن نرقب بمجهرنا الحاضر تفاصيل القوة المحيرة فى الطبيعة والكيمياء والنتائج المترتبة عليها التي تزيد الامر وضوحا ، وغرضنا هو تسهيل فهم ما وصل اليه العلم على اولئك الذين لم يتمرنوا على المسائل العلمية تمرنا خاصا ، ويمكن ان نبين ذلك على الوجه التالي : من الواضح ان المجموعات من الخلايا تنمو باتصال بعضها ببعض بالانقسام مثنى ثم رباع ثم مآت ثم آلافا ثم ملايين ، وكل خلية منها تدعى لتنجز نصيبها من العمل ، ومتى تم توزيع الاعمال المختلفة يبدا الشروع فى العمل عند الجميع فطائفة من الخلايا تكون مشتغلة باحضار الغذاء وطائفة اخرى تشتغل بهضمه ، وكل جزء من الجسم المراد تكوينه يتالف من كثير من الخلايا ، فبعضها يؤلف غلافا غليظا واقيا يكون قشرة لشجرة ، وطائفة اخرى تشتغل بنقل الغذاء من مكان الى مكان فى المخلوق الحي المراد انشاؤه ، واخيرا تجد تلك الخلايا جادة فى تشكيل خشب الجذع ان كان المخلوق شجرة او العظام ان كان المخلوق دابة او المحار ان كان المخلوق بحريا من ذوات المحار او الغلاف الصلب ان كان الحيوان رخوا لينا كالحلزون مثلا (وهو المسمى باللغة المغربية ببوش) الى ان يتم تكوين ذلك الجسم المراد خلقه . ففي بعض الحيوان تكون الاجزاء الصلبة فى المخلوق الحي خارجه محيطة به ، وتارة تكون داخله عظاما يقوم عليها جسمه ؛ وكل الاشياء المتصفة بالحياة تتخلق من خلية بسيطة واحدة ، وهذه الخلية تجبر نسلها على اداء الواجبات طبقا للخطة المرسومة لخلق ذلك الحيوان بلا خلاف ؛ كما فعلت الخلية الاولى الاصلية سواء اكان ذلك الحيوان سيصير سلحفاة او ارنبا .

وهنا يعرض لنا سؤال ، وهو هل الخلايا ذات ادراك ام لا ؟ وسواء منحت الخلايا قوة تمييز ، كيفما كانت ، او قوة تفكير ، فلا مناص لنا من الاعتراف بان الخلايا قد فطرت على ان تغير طبيعتها وتتفق مع ما يتطلبه خلق الكائن الذي يراد بها ان تكون جزءا منه ، وكل خلية تنتج فى اي مخلوق حي يجب ان تهييء نفسها لتكون جزءا من لحمه ، او ان تضحي بنفسها لتكون جزءا من الاهاب الذي سيزول سريعا ، او تهييء نفسها لتكون جزءا من قشرة السن الزجاجية او تكون جزءا من المادة الشفافة السائلة فى العين او جزءا من الانف او الاذن ، وكل خلية يجب ان تهييء نفسها من حيث الشكل او اي صورة خاصة اخرى تلزم لاداء عملها المخصوص لها ، مثلا احدى الخلايا يجب ان تكون جزءا من الاذن اليمنى ، واخرى يجب ان تكون جزءا من الاذن اليسرى ، وبعض الخلايا الزجاجية التي لاتختلف عن غيرها من الوجهة الكيميائية تعكس اشعة الضوء الى اليسار . ويظهر انه يوجد مثل هذا الميل فى الخلايا فهي تتجه الى المكان المعين لها بالضبط ان تكون جزءا منا فى الاذن اليمنى او اليسرى ، واعلم ان اذنيك متقابلتان على التضاد احداهما مع الاخرى وتجويفهما متقابل ، فمتى تم خلقهما تكونان من التشابه بحيث لاتستطيع ان تميز بينهما ، وان مآت الالوف من الخلايا مسوقة لتعمل العمل المضبوط فى الوقت المضبوط فى المكان المضبوط ، ولعمري انها مطيعة لما تؤمر به .

ان الحياة مندفعة الى الامام ، بانية مرممة ، منشئة الجديد والاحسن بقوة لاتقاوم ولا توجد فى الجماد فهل تنشا ذلك عن قوة عاقلة او الهام او حدث بدون شيء ؟

يمكنك ان تجيب عن هذا السؤال بنفسك . ولكن يمكنك الآن ان تقول انك لم تبين لنا فى هذا الفصل كيف بدات الحياة ، يعني كيف جاءت الى هذه الارض ؟ فاقول اني لا ادري ، والذي اعتقده انها جاءت بامر من الله تعالى وانها ليست مادية .

انتهى كلام العالم الفلكي كريسي مورسن فى هذا الفصل المهم ، وهو غني عن التعليق ، فعسى ان يكون نافعا للشاكين المتحيرين الذين يستهدون الله تعالى ؛ وقد جاء فى الحديث القدسي الذي رواه مسلم فى صحيحه من حديث ابي ذر عن النبي (ص) (ياعبادي كلكم ضال الا من هديته فاستهدوني اهدكم) واما المشككون الذين لايريدون ان يستعملوا عقولهم ولا ان يهتدوا فتكون هذه الحجج صواعق مرسلة عليهم تاتي بنيانهم من القواعد فيخر عليهم سقف البيت الذي بنوه من الاباطيل والاوهام . قال تعالى : **« وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا »** وقبل ان اختم هذا المقال الخاص بهذا الجزء من المجلة اذكر ما خطر ببالي من كتاب الله مما يدل على ما ذكره ذلك العالم الفلكي فاقول : قال تعالى فى سورة آل عمران **« ان الله لايخفى عليه شيء فى الارض ولا فى السماء هو الذي يصوركم فى الارحام كيف يشاء لا اله الا هو العزيز الحكيم »** وقال تعالى فى سورة المومن **« ذلكم الله ربكم خالق كل شيء لا اله الا هو فانى تؤفكون كذلك يؤفك الذين كانوا بآيات الله يجحدون الله الذي جعل لكم الارض قرارا والسماء بناء وصوركم فاحسن صوركم ورزقكم من الطيبات ذلكم الله ربكم فتبارك الله رب العالمين هو الحي لا اله الا هو فادعوه مخلصين له الدين الحمد لله رب العالمين »** .

توجيه الرسول عليه السلام للمومنين

الايمان والقوة يحبهما الله للمومنين ومن مقتضاهما الاقدام والانطلاق فى سبيل تحصيل المنافع والمصالح المشروعة والاستعانة بالله على جميع المساعي وبعد بذل المجهود وعدم حصول المقصود يلجأ المومن الى قضاء الله الغالب .

قال النبي عليه السلام : المومن القوي خير واحب الى الله من المومن الضعيف وفى كل خير ، احرص على ما ينفعك ، واستعن بالله ، ولا تعجز ، فان اصابك شيء ، فلا تقل لو اني فعلت كذا لكان كذا ، ولكن قل قدر الله ، وما شاء فعل ، فان « لو » تفتح عمل الشيطان .



الاســـلام دين الحق والعدالة ، كان له اعظم الاثر في رفع شأن الحق ونشر العدالة في كثير من المجتمعات البشرية فهو يريد من المسلمين وغير المسلمين ان يكونوا حماة عدالة وانصاف ، لا رعاة معاهدات او اطماع ظالمة اتخذت شكل اتفاقات واحلاف ، يريد الاسلام الناس انصار مباديء ومصالح عليا ، ينصرونها في السر والنجوى ، كما ينصرونها في الظاهر والعلنية ، ولهذا رأينا ان نذكر وجهة الاسلام ورأيه في المناجاة التي تقع بين الجماعات او بين الامم ، حتى يعرف الموافق والمخالف ان في دين الاسلام من سمو المبدا ومحو التعصب ماينعش ذوي النفوس المؤمنة ، واهل الضمائر الحية ، ويضفي عليها شعورا كريما من الغبطة والسعادة ، كما ان الاسلام يحارب الظلم والخيانة ، ويبغض المتآمرين بالشر كيفما كانت جنسيتهم ودينهم ولونهم ، وذلك ما يستخلص من عدة من القضايا التي تناولها ، ومنها القضية التي جاءت الآية لا خير في كثير من نجواهم الخ تعقيبا عليها ، فكانت هذه الآية ردعا لكل من يتآمر بالباطل لمنع الحق ، وكانت انكارا لتمالؤ الجماعات بالسر والنجوى في غمرة العصبيات على حساب حقوق الغير واهتضام العدالة .

وكثيرا ما كانت بعض القضايا الجزئية تمس مبدأ عظيما فينزل القرآن بتشريع سام يحمي كيان الحق والعدالة من كل جوانبها ، ومن ذلك قصة السرقة التي حاول بعض المنافقين ان يزكي فيها السارق ، ويضع مسؤوليتها على البريء ، فقد روي عن ابن زيد ان رجلا سرق درعا من حديد ، وطرحها على يهودي فقال اليهودي والله ما سرقتها يا ابا القاسم (يخاطب النبي عليه السلام) ولكن طرحت علي ، وكان للرجل الذي سرق جيران يبرؤونه ويطرحونه على اليهودي ، ويقولون يارسول الله : هذا اليهودي الخبيث يكفر بالله وبما جئت به ، حتى مال النبي (ص) ببعض القول ، فعاتبه الله عز وجل في ذلك ، فقال : ((**انا انزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما اراك الله ، ولا تكن للخائنين خصيما ، واستغفر الله ان الله كان غفورا رحيما ، ولا تجادل عن الذين يختانون انفسهم ، ان الله لايحب من كان خوانا اثيما**)) ، ثم عاب القرآن المؤمرات في الخفاء وتبييت الشر للناس مع احاطة الله بجميع اعمال عباده ما ظهر منها وما بطن ، وبين ان الجدال ان كان له اثر في الدنيا حتى يستر جريمة من اجرم فلن يكون له اي شأن في ذلك اليوم العصيب ، فقال تعالى ، في شأن المتآمرين بالشر : ((**يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم اذ يبيتون مالا يرضى من القول ، وكان الله بما يعملون محيطا ، هانتم هؤلاء جادلتم عنهم في الحياة الدنيا ، فمن يجادل الله عنهم يوم القيامة ام من يكون عليهم وكيلا**)) وفي هذه الآية ردع وتحذير لكل من يتآمر على الشر ويحامي ويدافع عن المجرمين ، فمبدأ رعاية الحق ونصرة اهله وخذلان الباطل واهله من المجرمين ، وعدم الدفاع عنهم شيء اساسي في شريعة الاسلام ، لاتقبل فيه مهاودة ولا مساومة ، فالدفاع عن المجرمين في شريعة الاسلام مثل الشفاعة في الحدود الشرعية لاتجوز باي حال ، ومن جهة اخرى نجد الاسلام كما امر المؤمنين ان ياخذوا حذرهم من الاعداء ويستعدوا لمجاهدتهم حفظا للاسلام ان يؤتى من الخارج ، كذلك امرهم بان يقوموا بحفظه في نفسه فلا يؤتى من الداخل ، وان يقيموه على وجهه ولا يحابوا فيه احدا ، فالرسول العظيم انصف اليهودي وقوفا مع الحق ورغبة في حفظه ، فبين بذلك ان وجه العدالة الاسلامية لايتغير امام الموافقين والمخالفين ، بل هو سواء يؤدي لكل ذي حق حقه كاملا غير منقوص ، وعقب هذا التوجيه السامي ذكر الله وجهة الاسلام في المناجات والمؤمرات فقال : ((**لاخير في كثير من نجواهم الا من أمر بصدقة**

او **معروف او اصلاح بين الناس »** ، والنجوى التي هي المحادثة سرا تكون مظنة الشر في الغالب لان النفوس تحب ان تظهر الخير وينسب اليها فتظهره مطمئنة مستبشرة ، ولكنها تستنكف من الشر ومن نسبته اليها ، فتستره وتتناجى به ، ولذلك مدح القرآن النجوى المصروفة الى الخير وأمر بها ، ونهى عن المناجاة بالشر فقال تعالى : « **يا ايها الذين آمنوا اذا تناجيتم فلا تتناجوا بالاثم والعدوان ومعصية الرسول، وتناجوا بالبر والتقوى واتقوا الله الذي اليه تحشرون»**

وبذلك ضرب التشريع القرآني اروع الامثلة ، فالاسلام يحبذ الصدقة ويحبذ النجوى بالامر بها ، ويحبذ الجهر بالامر بالمعروف ويحب النجوى به ويحب الاصلاح بين الناس افرادا وشعوبا ويحب النجوى به ، فهو يدعو الى الخير ويحبذه في جميع مظاهره ومراحله ، حديثا في النفوس الكريمة ، ونجوى بين ذوي الضمائر الحية ، وعملا ظاهرا شائعا في جميع الاوساط والمجتمعات البشرية .

وعلى ضوء هذا التوجيه نرى هذه المؤتمرات الدولية والمحادثات السرية بين اقطاب المعسكرين الراسمالي والشيوعي ، لها وجه ظاهر هي الرغبة في تخفيف التوتر الدولي وتعزيز امر السلام في العالم ، كما لها وجه خفي تخشى الشعوب الضعيفة ان يكون على حسابها ، توزيعا لثرواتها واسلابها بين ذوي المصالح والاطماع الكبرى ، واهدارا لكرامتها الانسانية بين البشر حتى تصير هذه الامم واراضيها وثرواتها وكل امكانياتها طعمة للطامعين ، ولهذا نجد كل شعب ضعيف يدعو من كل قلبه ان يكون باطن هذه المؤتمرات كظاهرها رغبة في تخفيف حدة التوتر الدولي ، وتقريرا للسلام العالمي ، وسبيلا لنزع الاسلحة التي تهدد البشرية بالفناء ، حتى يتم التآلف والتعارف التي تنادي به الآية القرآنية الخالدة : « **يأيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله أتقاكم »** صدق الله العظيم

تصحيح خطأ في آية

وقع تحريف في طبع آية وردت في مقال : العبادات والتفكير الاقتصادي صحيفة 15 من العدد السابق وصوابها كما ياتي :

والبدن جعلناها لكم من شعائر الله لكم فيها خير فاذكروا اسم الله عليها صواف ، فاذا وجبت جنوبها فكلوا منها واطعموا القانع والمعتز ، كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون.

وكذلك سقطت « ان » من آية : **وصل عليهم ، ان صلواتك سكن لهم .**



مثال واقعي (شخص من اصحاب المتربة تتوق نفسه للعظام التي يشتريها المترفون لكلابهم ، ويتمنى لو يجد بعضها ليجعلها في قدره الذي يفطر به في رمضان)

من الاهداف البعيدة المدى للاسلام تمتين الروابط بين الطبقات ، ومحاولة رفع الحواجز بين المتعايشين الذين ينعمون بالحياة ماداموا متعاونين كما هي ارادة الله ، المومن للمومن كالبنيان يشد بعضه بعضا ، ومع اعتبار الفوارق لايمكن ان يوجد تعاون بين الناس ، ولا تعاضد بين الافراد ، بل استغلال مما يؤدي بالمتساكنين الى اضمار الشر بعضهم لبعض ما داموا لاينتمون الى طبقة واحدة .

ذلك ان الانسان الذي هو اشرف المخلوقات جزء من كون كبير سخر له كل ما في هذا الكون من افلاك وبحار وحيوان ونبات وغيرها ؛ وهذه الكائنات تتعاون فيما بينها اليست الكواكب منتظمة في شروقها وغروبها لصالحه ؟ اليست البحار تتداخل وتنبسط في جزرها ومدها لنفعه ؟ اليست المياه تتفجر لفائدته ؟ اليست النباتات تتلاقح فيما بينها لخيره ؟ اليست الحيوانات تتناسل لخدمته ؟ الى غير ذلك مما هو مسخر لهذا المخلوق الذي كرمه الله وانعم عليه بالعقل الذي يسوقه الى النعيم ان هو احسن استعماله ، ويسوقه الى الجحيم اذا هو اساء استعماله **(هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا) (الم نجعل الارض مهادا والجبال أوتادا)** الآية . . . الا يدل هذا على ان ارادة الله هو تعاون الانسان مع اخيه الانسان ليقطع المجاز الدنيوي في هناء وسلام ويصل باذن الله الى دار السلام التي اعدها الله لمن سلم الانسان من لسانه ويده .

ودعوة الاسلام الى التعاون ناتجة عن طبيعة الاسلام في التشريع اذ انه لاينظم الحياة الكونية على انها اجزاء واقسام ، لا ارتباط لبعضها ببعض ولا اتصال فيما بينها بل يتناول تنظيم الحياة الكونية على انها كل لايتجزء فمهما صدر تشريع في جزئية فهو لجزء مرتبط بغيره روعيت فيه مصلحة جميع الاجزاء ومهما كلف كائن بعمل فهو لمصلحة بقية الكائنات التي تؤدي وظيفتها في الحياة وهي تنتظر ما يؤدى لها على قاعدة المقابلة بين الحقوق والواجبات ؛ وقد لوحظ هذا الارتباط في جميع احكام الاسلام المتنوعة الميادين فيستطيع الانسان ان يرى اهداف الاسلام واضحة في عباداته ومعاملاته في الاحوال الشخصية والجماعية

وقد ركز الاسلام التعاون على ما فطرت عليه الكائنات من المساواة التامة التي اشعرت بها النفوس والارواح حين امرت ان تتجه كلها لقوة واحدة تعبدها فسعدت البشرية حين طبقت هذا المبدا تطبيقا تاما فكان الجزاء على العمل البشري الذي يصدر عن شخص مساو لآخر في المنشا والمصير واستمداد القوة من الله وبذلك لم يحسب للتفاضل المادي حساب ما دام يعد من الاعراض التي لاقدرة لاحد على تحصيله اذا لم يسعفه التوفيق الالهي وما دام العمل وسيلة له لا الميزة البشرية ولا الحسب والنسب

وهكذا نستطيع تقرير ان الاسلام حقق مساواة كاملة في جميع مظاهر الحياة ، في العقيدة وفي السلوك

فى الماديات والروحيات فى القيم الاقتصادية والمعنوية بالاعتبار المتقدم

وحينما حاولت الشيوعية ان تقصر المساواة على عدم التفاوت فيما يحتاجه الانسان من ماديات بقطع النظر عن عمله المنبعث عن المواهب اصطدم نظامها على صخرة التطبيق وتبين لها ان التسوية فى الماديات فقط لاتكفل التوازن الاجتماعي واضطرت لتعديل سياستها بالتقرب شيئا ما من النظام الراسمالي الذي يجعل الجزاء على قدر العمل .

ولم اسق النظرية الشيوعية لاستدل بها على سمو النظام الاسلامي ووجاهته فى تقرير المساواة كما يحلو لبعض الناس : يعتبرون النظم الارضية مثال الكمال ويبحثون عن وجود مشابهات لها فى الاسلام ، كلا ان من يفعل مثل هذا لايخالط قلبه حلاوة الايمان ولا يتأتى له البحث فى النظم الاسلامية بنزاهة ، فهل يقاس الندى بالبحر او الجوهر بحصى الرمل ؟ بل سقته لبيان ان من يتناول تنظيم حياة الانسان مفرقة غير مبال بارتباط اجزائها فانه لا يستطيع ان يجد حلولا عملية لهذا الانسان الذي يعيش بالجسد والروح ويشتاق الى ما يسمو به الى الملكوت الاعلى مع نزوعه الى ما ينزل به الى الدرك الاسفل .

وهذا مما يؤيد ان الانسان لايستطيع تنظيم حياة الانسان ، وان المجتمع اذا لم تسعفه التعاليم السماوية المحيطة بسره وعلانيته المهيمنة على ماضيه وحاضره ومستقبله فانه يهيم فى حيرة لايعرف اولها من آخرها ؛ وهذا هو السر فى تخبط الانسانية فى مشاكل مستعصية الحل لاتحل جانبا صغيرا منها الا لتقع فى جانب اكثر تعقدا واقبح تشعبا

وحينما امر الاسلام بالتوجه الكلي الى الله الواحد الاحد قرر مساواة كاملة فى جميع مظاهر الحياه فالوجدان يتحرر حين يصبح الانسان لايشعر بواجب العبادة والتقديس الا لمن يتوجه اليه الجميع طائعا او خاضعا

ومن اكبر المظاهر التي تتجلى فيها هاته المساواة الصلاة والصيام والحج وفى هذه الاركان تبرز حاجة الجماعة ايا كان وضعها ومركزها لله الجبار المتكبر وفى الاركان نفسها تهذيب للنفوس التي تطغيها القوة الجسمية أو الثروة التي توسوس لصاحبها بانه افضل من غيره كما ان هذه الاركان تعالج حالة النفوس الضعيفة التي تتوهم فى نفسها نقصا لضعف جسمي أو فقر مادي فتقويها بالثقة بالله والاعتماد الكلي عليه ما دام هو مالك الملك كما صرحت الآية **(قل اللهم مالك الملك توتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير انك على كل شيء قدير)** فالاحوال الكونية والانسانية من الخصب والقحط والغنى والفقر والمرض والصحة كلها من مشمولات القدرة الالاهية فاذا اشعرت النفس بمثل هذه المساواة فلن تكون فى حاجة لان تتلقاها من تشريعات اخرى بطريق مباشر حيث تحس بها فى اعماقها فلا تستطيع الصبر على تفاوت قائم على عرضيات زائلة غير مستقرة ولا اصيلة فى الانسان ونعني بالتفاوت المرضي ، التفاوت فى المال الذي يفرض الموضوع تبيين وجهة نظر الاسلام فيه

لقد قرر الاسلام بحجج دامغة ان الناس متساوون فى المنشأ والمصير **(فلينظر الانسان مم خلق)** **(اليه مرجعكم جميعا)** فى الحياة والموت ، فى الحقوق والوجبات ، امام الله والقانون ، ثم ترك الباب مفتوحا للتفاضل فى الجهد والعمل ، وفى الجزاء المادي والمعنوي **(يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات)** **(ان اكرمكم عند الله اتقاكم)** **(المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير املا)** ومن عرض هذه الآيات ، نرى ان الناس يتفاوتون فى قيم معنوية يسمون بها الى الملا الاعلى ، واخرى مادية يسمون بها ايضا ان احسنوا استعمالها ، وينحدرون بها الى مهاوي النقص والفساد ان اساءوا استعمالها

ولا سبيل لفرض المساواة فى ما يكسبه الانسان من مال ما دامت الفرص تتاح للجميع ، فلا يقف امام الفرد نشأة ولا اصل ولا نسب ، ولا قيد من القيود التي تغل الجهود كما وقع فى العصور المظلمة لاروبا

غير ان الشارع وان اقر التفاوت فى المال ، وجعله مصدرا للتفاضل **(والله فضل بعضكم على بعض فى الرزق)** فلم يعتد به كعنصر اساسي تنعدم معه المساواة حين يوجد فى يد ، بل اعتبره من زينة الحياة الدنيا الفانية التي تتداول بين الناس والتي لاتغني الانسان شيئا ، الم يعلن عن عدم نفعه لذاته

امام الله **(يوم لاينفع مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم)** ؟ الم يعاتب الرب مصطفاه (صلعم) حين حانت منه التفاتة الى بعض زعماء قريش الاغنياء وانصرف عن عبد الله بن ام مكتوم الفقير الاعمى **(عبس وتولى ان جاءه الاعمى وما يدريك لعله يزكى او يذكر فتنفعه الذكرى)** وفي هذا العتاب تصحيح للقيم التي يعتز بها الاسلام ويهتم بامرها فالكرامة الانسانية يجب ان تصان وللنفس البشرية اعتبارها والتعهد الذي يحاط به الطفل وهو عادم لكل قوة يجب ان يستمر في كل اطوار الحياة **(وما اموالكم ولا اولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى الا من آمن وعمل صالحا)**

على ان الاسلام وان كان لايعارض التفاوت في اكتساب الاموال ، فهو لايقر الطغيان بسببه ، ولا يعده وسيلة تتكون عنه طبقات في الامة تتناحر فيما بينها . ذلك انه يعتبر المال قيما للاشياء التي هي وسيلة من وسائل العيش الجماعي ويعتبر الاغنياء موظفين مستخلفين فيه اطلقت ايديهم فيما رزقوا اختبارا لهم من الله. **آمنوا بالله ورسوله وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه)** فان احسنوا التصرف سعدوا وسعد معهم مجتمعهم ، والا نزع من ايديهم وحجز عنهم ، لان المال عماد الامة باسرها . **(ولا توتوا السفهاء اموالكم التي جعل الله لكم قيما)** ويعلق الاستاذ « سيد قطب » في كتابه العدالة الاجتماعية على هاذين الآيتين فيقول : « لست اقرر هذا لأقرر شيوعية المال ، فحق الملكية الفردية حق واضح في الاسلام ، ولكني اقرر هذا لما فيه من معنى دقيق مفيد في تكوين فكرة حقيقية عن طبيعة الملكية الفردية ، وتقيدها بهذا الاصل العام في نظرة الاسلام الى المال ، وبلغة اوضح ، اقرر بأن شعور الفرد بانه مجرد موظف في هذا المال الذي هو في اصله ملك الجماعة يجعله يتقبل الفروض التي يضعها النظام على عاتقه ، والقيود التي يحد بها تصرفاته ، كما ان شعور الجماعة بحقها الاصيل في هذا المال يجعلها اجرأ في فرض الفروض وسن الحدود ه » يضاف الى هذا ما يفرضه الاسلام من شرف الوسائل لاكتساب المال ، وعدم التغرير بالناس في المعاملات التي تصبح غير نافذة اذا احتوت غررا .

هذا وهناك تشريعات تستوجب توزيع الثروة وعدم تكديسها في يد واحدة كنظام الارث والوصايا ، ووجوب النفقة وغيرها ، وبذلك يقل التفاوت بسبب المال الذي تنشأ عنه الطبقات المترفة .

ومن التشريعات التي عالج بها الاسلام مرض التفاوت الذي ينشأ عنه المترفون ، امره لرسوله بتوزيع اموال الفيء على حسب الحاجة حتى لاينحصر تداول المال بين الاغنياء **(ماافاء الله على رسوله من اهل القرى فلله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كي لايكون دولة بين الاغنياء منكم)** وبذلك يقرر ان الكفاءات او الحاجة معها هما اساس استحقاق الوظائف كما يمكن ان نفهم من الآية انه مما يساعد على تكوين طبقة المترفين جمع وظيفين او وظائف في يد شخص واحد بينما يتعطل غيره عن العمل

وينبغي ان نفهم ان هذا التشريع انما هو لمصلحة الجماعة وسعادتها ، ذلك ان الاسلام يكره تكديس الاموال في ايدي طائفة خاصة لكون ذلك اولا يثير الاحقاد والضغائن ، وثانيا لكونه يتسبب في اثارة مفسدة من اكبر المفاسد ، فحيثما وجدت ثروة فائضة ، فانها تعد كطاقة حيوية فائضة في الجسد ، فتستدعي محلا تصرف فيه ، ومن يضمن ان يكون موطن تصريفه مشروعا ؟ اذ يمكن ان تاخذ طريقها في صورة ترف مفسد للنفس مهلك للجسد ومن ذلك انه يمكن ان يتوجه بذلك الفائض لقضاء شهوات تجد متنفسها عند قوم محتاجين الى المال ، فيبيعون اعراضهم ، ويتملقون ، ويخادعون اصحاب الفائض للحصول عليه ، وليست الدعارة وسائر ما يتصل بها من خمر وميسر وشراء الضمائر وتسخير الناس في المصالح الخاصة ، ودفعهم للاغتيالات والاجرام سوى اعراض لتضخم الثروة في جانب ، وانحسارها عن جانب آخر غالبا .

ومن المعروف ان الافعال الاجرامية نوعان . نوع يكون فيه طرف جانيا وطرف ضحية اجرامه . ونوع يتبادل فيه الطرفان الجريمة بدافعين مختلفين وعلى كل فمنشأ الجريمة الترف ووجود الفائض ، فيترتب الفساد عليه ، وبالتالي يترتب الهلاك . وليس هذا الهلاك قاصرا على المترفين ، بل يعمهم ومن ساكنهم « **واذا اردنا ان نهلك قرية امرنا مترفيها** (اي فلم يطيعوا الأمر بل خالفوه) **ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا)** » وارادة الله تظهر بظهور هذه الطبقة فوق مسرح الحياة مع وجود مشجعين لها، ومصفقين لشرورها ، بل حتى اذا سكتوا عنها وقعدوا عن محاربتها ، فيكون ذلك ايذانا

باستدراج الامة للدمار نتيجة لشيوع اولئك المترهلين الذين يستلذون مباهج الحياة ويستطيبون الانغماس فى الملذات غافلين عما وجب عليهم لمواطنيهم . ومن اخبث نفسا واقوى شرا ممن يتخم على حساب جوع مواطنيه ؟ ويتنعم على حساب حرمان اخيه الانسان ؟ اليست هذه الظاهرة من اكبر الفتن التي يصلى لهيبها الاخضر واليابس ؟ **« واتقوا فتنة لاتصيبن الذين ظلموا منكم خاصة »**

هذا وقد فطر الله الخليقة على الاحتراس من التعرض للعذاب ، وطبعها على الاخذ باسباب النجاة ، فالهمها السعي وراء مطالبها المشروعة عن طريق العمل والاحتراف لتستحق اجرها من ايد المتمولين ، وتكسر من شوكة المترفين وقد تعتبر المكايسة والتشاح فى الاجور والاثمنة مظهرا من مظاهر الدفاع عن حقوق الامة المشروعة ، وليس العمل على رفع مستوى الشعب ، وتأسيس الهيآت الاجتماعية كصندوق التعاون الاجتماعي ، وابناك القروض وغيرها الا اداة لدفع عدوان المعتدين والحد من استغلال المترفين . **«ولولا دفاع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض»** غير ان المفاسد تطغى على وسائل الحد منها ، فلا الطبقة الشعبية بقادرة على ايقاف تضخم الثروات ، ولا المؤسسات العمومية بكافية لمحو الفروق ، ولا قانون الاجور وتوفير الحقوق للعمال بمستطيع ان يجتث اصل هذه المهلكة سيما مع ما تتعرض له البلاد من تدهور اقتصادي تتسبب عنه البطالة مما يوسع الهوة بين الطبقات ، ويصبح معه للترف مدلول آخر عند العاطلين : هو عبارة عن التوفر عن المآكل والملبس فى ابسط صورة له اذ الواقع ان العاطل الذي لايجد لقمة خبز يطعم بها اهله واولاده ، فانه ينظر الى من يتوفر على لقمة الخبز نظرة عداء لما جبلت عليه النفس من ان لها الحق فى ان تتمتع بما يتمتع به غيرها للشعور العميق بالمساواة فى المنشا والمصير . وهذا ما يسبب هذا السيل الجارف من المتسولين الذين يترجمون عن عدم شعور الاغنياء بواجبهم حتى يتلافوا هذه المأساة ، وذلك عن طريق ترويج اموالهم والمساهمة فى مشروعات اقتصادية تعود بالنفع عليهم وعلى من اصبح عرضة للبطالة التي تزري بالامة وتشين وجهها فحبذا لو فرضت الحكومة ضريبة على كل سلعة كمالية كالسيارات والثلاجات والثياب والاثاث الفاخر وكمقاعد السينما والمقاهي وعلى ان تؤسس بهذه الضرائب معامل ومصانع تشغل فيها من اصيب بالبطالة الناتجة عن سبب معقول كما تكون ملاجيء تطعم فيها من تجهم له الدهر وحرمه من المآكل والمشرب وصلى الله على النبي الذي قال : ما آمن بي من بات شبعان وجاره جائع وهو يعلم ه .

كيف يسوس الولاة

كتب الحجاج بن يوسف الثقفي الى عبد الملك بن مروان كتابا يخبره فيه بسوء طاعة اهل العراق وما يقاسي منهم ، ويستأذنه فى قتل اشرافهم فوقع عبد الملك بن مروان على هذا الكتاب بهذه العبارة : ان من يمن السائس ، ان يتآلف به المختلفون ومن شؤمه ان يختلف به المؤتلفون .

كيف منع الاسلام والتشريع المغربي الحديث شيوع الخمر بين المسلمين ؟

للأستاذ محمد الطنجي

في هذه الكلمة نظرة عن تطور تشريع الاسلام في منع الخمر وما اتفق عليه سلف هذه الامة الاسلامية في عقوبة شاربيها وقد شفعنا هذه الكلمة بمنشور وزارة العدل الذي صدر بعد اعلان الاستقلال وتضجر الناس من كثرة شيوع شرب الخمر الذي يهدد المجتمع الاسلامي المغربي بالانحلال ورغبة في تنبيه المسلمين الى انه لا عذر لتهاون بعض المحاكم في معاقبة السكارى واجابة لبعض الملحين في اطلاع الراي العام على التشريع المغربي لدى المحاكم في هذا الموضوع آثرنا نشر هذا الحديث بقسميه بعد ان اذعناه بواسطة الاذاعة الوطنية ضمن الاحاديث الدينية التي تساهم وزارة الاوقاف بها في تلك الاذاعة

(دعوة الحق)

التشريع الصالح هو الذي يحفظ مصالح الامة المعنوية والمادية ويدرا عنها الشر وسائر الاخطار وانفع التشريعات ما كان مشتقا من نفسية الامة واعرافها وتقاليدها .

الا ان الامة في طور نهوضها قد تكون فيها عقائد ضارة ، وعادات اجتماعية خطيرة ، وتقاليد متوارثة قبيحة في اي شان من الشؤون وتكون عريقة فيها فتحتاج بقدر تاصلها وعراقتها الى جهود جبارة ومساع مشكورة وصبر وثبات لمحاربتها فمحو الوثنية في الامة العربية مثلا قد استنفد من عمل الرسول الاكرم مجهودا شاقا متواصلا بالتذكير والتشريع والتوبيخ والتشنيع ، واخيرا بالسيف للمعتقدين لها ، وعند التغلب بالتحطيم العملي الفعلي لكل معالم الوثنية المبثة في سائر انحاء الجزيرة العربية ، وبالخصوص في الكعبة بمكة حيث نكس النبي الاصنام التي كانت على ظهرها تاليا قول الله تعالى : وقل جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا ، وحيث بعث بعد ذلك علي بن ابي طالب آمرا له ان لا يدع تمثالا الا طمسه ولا قبرا مشرفا الا سواه .

وكذلك وقع في شان الخمر التي كانت عادة شربها غالبة على العرب فاحتاج في محاربتها الى مجهود كبير فقد سأل الصحابة عنها وعن الميسر اي القمار ، فنزلت الآية التي في سورة البقرة : يسئلونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس ، واثمهما اكبر من نفعهما ، فكان هذا البيان الاولي في الحقيقة كافيا لمن يتفهم مرامي التشريع لان الاثم الكبير تضمحل مراعاة المنافع امامه فيمتنع الشيء ويحرم بسببه فكان ذلك تمهيدا للآية التي في سورة النساء : يا ايها الذين آمنوا لاتقربوا الصلاة وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون . فحرم قربان الصلاة في حالة ستر العقل بالمسكر .

ثم ظهرت شرور الخمر جلية في كثير من القضايا تنشا عنها العداوة والبغضاء والصد عن ذكر الله وعن الصلاة فنزلت آية تحريم الخمر والميسر تحريما باتا

حيث عرف الجميع حكمة تحريمها معرفة واضحة ، كما قال تعالى : يا ايها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والأنصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون ، انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة : فهل انتم منتهون . وعقب نزول هذه الآية امر النبي (ص) مناديه ان ينادي فى سكك المدينة اي فى طرقها : الا ان الخمر قد حرمت ، فكسرت الدنان واريقت الخمر حتى جرت فى سكك المدينة وما كان خمرهم يومئذ الا من البسر والتمر . وهذا حديث صحيح .

ولكن كل هذا المجهود لم يكن كافيا لكف الجميع عن شرب الخمر لان عادة شربها كانت مستحكمة ، فكان بعض الناس يشربها فشرعت لهم عقوبة وتاديب ففي الحديث المتفق عليه عن انس بن مالك رضي الله عنه ان النبي (ص) اتى برجل شرب الخمر فجلده بجريدتين (اي من قضبان النخيل) نحو اربعين (اي جلدة) قال اي انس وفعله ابو بكر فلما كان عمر استشار الصحابة فقال عبد الرحمن بن عوف اخف الحدود ثمانون فامر به عمر . فالصحابة قرروا بعد المشاورة ان تكون عقوبة شرب الخمر ثمانين جلدة بعد ان كانت فى زمن النبي وابي بكر نحو اربعين فقط وليس عملهم تشديدا فى العقوبة من غير موجب بل وقع ذلك لموجب مهم ذلك ان بعضا من العرب الذين لم يتفقهوا فى الدين عاودوا عادة العرب فى شرب الخمر ، يبين هذا السبب ما اخرجه ابو داود والنسائي انخالد بن الوليد كتب الى عمر : ان الناس انهمكوا فى الخمر وتحاقروا العقوبة قال وعنده المهاجرون والانصار فسألهم فاجمعوا ان يضرب (اي شارب الخمر) ثمانين .

وهكذا بقي التشريع الاسلامي سائدا فى العصور المفضلة والعقوبة التي اتفق الصحابة عليها تطبق تارة وتهمل تارة اخرى اما فى مغربنا الاسلامي الحاضر فان كثيرا من الناس يشتكون من شيوع الخمر وانتشارها ويقول بعضهم انه لا يوجد تشريع يحرم هذه المنكرات ويعاقب عليها ، وليس هذا القول بصحيح بل فى التشريع المغربي الجديد ما يحرم ويمنع شرب الخمر على المسلمين ويفرض عقوبات من السجن والغرامات على المخالفين، واذا كانت بعض المحاكم تتهاون فى تطبيقها فهي المسؤولة عن هذا التهاون وحدها وعلى المسلمين ان يطالبوا بتطبيق هذا القانون على السكارى ، فقد اصدرت وزارة العدل المغربية بتاريخ 19 شتمبر 1958 منشورا يحمل رقم س ا ب 49 حول منع المسكرات . وهذا نص المنشور :

الى السيد الوكيل العام بكل من الرباط وطنجة

لقد قررت الحكومة الشروع فى محاربة لا هوادة فيها للمسكرات التي تخرق القوانين السماوية وكل قانون ايجابي .

ويوجد الآن تحت الدرس عدد من التدابير القانونية ستنشر عما قريب .

ويلزم قانونيا من الآن ودون انتظار صدور التشريعات الجديدة تطبيق التدابير الضرورية لمحاربة هذه البلية ذات النتائج المضرة للحالة الصحية والاقتصادية للبلاد .

ويحتوي القانون الجاري به العمل الآن على بعض النصوص التي تنظم انتاج وتجارة المسكرات من جهة ورخص الاتجار فيها وقمع تناولها والسكر علنيا من جهة اخرى .

وانني الفت نظركم الى هذه القوانين وارجو منكم اتخاذ جميع الترتيبات حتى تطبق هذه القوانين بمنتهى الصرامة .

ومن اللائق ان تطالب النيابات العامة بتطبيق القانون تطبيقا صارما كلما نظروا فى مخالفات لقانون ترويج المسكرات والكحول .

وكل مخالفة للقانون تقع تحت تاثير الخمر يجب ان تعاقب بشدة وذلك لان حالة السكر تزيد فى خطورة اقتراف اي مخالفة للقانون ، ويجب ان يعاقب السكر العلني دون اي تسامح وذلك لانه خطر على المجتمع .

وان قاضي النيابة العامة بالرباط ، الذي هو عضو فى لجنة ترويج الخمور التي احدثها القرار الوزيري الصادر بتاريخ 23 صفر 1356 الموافق لخامس ماي 1937 سيقوم فى نفس هذا الاتجاه ، بالمهمة الخاصة التي انيطت به على الصعيد الاداري . ونلفت انتباه قضاة النيابات العامة التابعة للرباط :

الى ظهير 30 رجب 1334 موافق ثاني يونيه 1916 المتعلق بالمسكرات الذي « ينص على معاقبة كل من ثبت عليه اي تساهل فى تطبيقه » والى القرار الوزيري المؤرخ بـ 23 صفر 1356 الموافق لخامس ماي 1937 وعلى الخصوص الى :

ا ـ المادة 17 منه التي تقضي ، فى بعض الحالات ، بالاغلاق المؤقت او النهائي لبعض حوانيت بيع الخمور.

ب ـ المادة 18 منه التي تسمح للمحاكم ان تحرم كل من اعاد ارتكاب نفس المخالفة من حق مزاولة اية وظيفة او عمل عمومي .

ج ـ المادة 20 منه التي تنص على تعليق الحكم الصادر ضده بباب متجره .

وفوق كل هذه العقوبات توجد عقوبات الغرامة والسجن المنصوص عليهما فى القانون . ويجب تطبيق المادة ـ 3 ـ من نفس القرار بكل صرامة ، وهذه المادة تحرم على كل مسلم الاستفادة من ترويج الخمور او شربها ، وتنص كذلك على معاقبة كل من باع خمورا للمسلمين ، وتتمثل هذه العقوبات فى السجن لمدة تتراوح بين ستة ايام وستة اشهر ، وفى غرامة تتراوح بين 30.000 فرنك و 200.000 فرنك « وتضعف هذه العقوبات فى حالة اعادة ارتكاب نفس المخالفة » وكذلك الاغلاق الموقت او النهائي للمؤسسة وتعليق الحكم ببابها .

ويجب على رؤساء النيابات العامة فى حالة ما اذا اظهرت المحاكم كثيرا من التسامح ان يستأنفوا الاحكام او القرارات التي تظهر لهم انها مشوبة بالضعف وعدم الصرامة .

وانني اعلق اهمية كبرى على النشاط والغيرة اللذين سيبذلهما قضاة النيابات العامة فى هذا الميدان. ومعلوم ان المهمة الرئيسية لهؤلاء القضاة هي حماية المجتمع. وان نشاطهم فى محاربة الخمور هو حماية كذلك للفرد ضد اهوائه المضرة . ولهذا يجب عليهم الا يترددوا ابدا فى التقدم بكل راي من شانه ان يعين على تطبيق القانون بكل صرامة . وارجو منكم تنبيههم لكل هذه التوصيات وان تدلوني على القضاة الذين يتميزون فى محاربة الخمر والسلام .

عن وزير العدل وبالتفويض

رئيس ديوانه : العمراني

واذا كان هذا المنشور صادرا عن وزارة العدل وهو موجود عند كل المحاكم لتطبيقه ولحماية المجتمع الاسلامي المغربي من اضرار الخمر فعلى جماعة المسلمين اذا شاهدت تهاون هذه المحاكم فى اداء مهمتها ان تطالبها بتطبيق القانون الخاص بمعاقبة السكارى حتى تعود للمجتمع الاسلامي طهارته .

العقل والهوى ضدان . .

اما بعد : فان العقل والهوى ضدان ، فقرين العقل التوفيق ، وقرين الهوى الخذلان والنفس طالبة ، فبايهما ظفرت كانت فى حزبه .

الجاحظ



- 1 -

كانت الحملة الاسلامية فى شبه الجزيرة الايبرية اروع عمل قام به العرب بعد اكمال فتح المغرب ، فقد كانت اسبانيا هي المدخل الجنوبي الغربي لاوربا ، ولكن تقدم المسلمين فى الاتجاه الافريقي الاوربي قد بلغ اقصاه ،كما ان فتح التركستان كان اقصى ما وصل اليه الامتداد الاسيوي .

وقد شغلت الحملة الاندلسية ، بسرعة تنفيذها ، واكمال مهامها ، والطريقة التي تمت بها ، مكانا ممتازا فى تاريخ العصور الوسطى ، وكانت نقطة تحول فى تاريخ الحضارة الاسلامية ، تميزت بطابع خاص ، وسلكت فى تفكيرها منحى مستقلا ، قد يلتقي مع الفكر الشرقي وقد يخالفه ، قد يكون نبعا منه ، وقد يكون رافدا اصيلا ، ولكنه فى كل اطواره ، كان يحمل اريج الاندلس وعبيقها .

ذلك ان الفتح الاسلامي ، فى امتداده شرقا وغربا ، كان يلتقي بعامة باقوام ليسوا عربا خلصا ، ولكنهم يلتقون مع العرب فى اكثر من منحى من مناحي التفكير ، وفى بعض من سمات العيش ، ولكن اسبانيا كانت بلدا ذا طابع مختلف جد الاختلاف ، مختلفا فى الدين ، فقد كان كاثوليكيا متعصبا ، وفى مظاهر الحياة الطبيعية ، فكان اقسى بردا ، وطرقه اشد وعورة وجباله اكثر ارتفاعا ، وكان نظامه اقطاعيا ، بكل ما تحتمله الكلمة من تعبير ، فكان هناك سادة واشراف ، يمثلهم البيت المالك ورجال الدين والفرسان ، وكان هناك عبيد يمثلهم رقيق الارض الملتصق بها ، لايملك من امره شيئا .

كان شعبا من جنس آخر ، رومانيا قوطيا . وكانت لغته لاتينية وتفكيره محدودا بخصائص جنسه واجواء مثله ، وانعكاس لواقع حياته .. حياة الكلمة الاولى فيها للسيد ولرجل الدين .

وايا ما كان الامر ، فقد حطت الحملة العربية رحالها على الضفة الشمالية للمضيق فى يوليه عام 711 بقيادة طارق بن زياد ، بعد ان سبقتها فى العام الذي قبله فرقة استطلاعية بقيادة ابي زرعة طريف بن ملوك ، وقدر لكليهما ان يعطى اسمه للمكان الذي نزل فيه للمرة الاولى ، فكانت جزيرة طريف (Tarifa) وكان جبل طارق (Gibraltar)

وكان الجيش الذي عبر به طارق المضيق بربريا خالصا او يكاد ، وكان طارق نفسه بربريا ، ولعلها المرة الاولى التي نسمع فيها بمثل هذا الجيش طوال الفتح العربي ، ولكنه أصحب على اي حال بعدد من كبار الجند العرب ومن موالي الامويين ، ولقد اتم طارق وموسى وخلفاؤهما من بعد ، فتح الجزيرة الايبرية ، وظلت مقاطعة تتبع الخليفة فى دمشق . وينظم امورها وال يختاره الخليفة نفسه حينا . ويختاره والي المغرب ، او والي مصر من قبل الخليفة حينا آخر ، ويختاره الشعب هنا ، ثم يمضي الخليفة او والي المغرب اختياره فى القليل .

ولم يقدر للاندلس ان تشهد استقرارا كاملا في سنوات الفتح الاولى ، فكانت تتنازعها خلافات العرب فيما بينهم وبين انفسهم ، وفيما بينهم وبين البربر ، وفيما بين اولئك وبين سكان البلاد ، ثم قدر لتلك الفترة القلقة التي دامت قرابة خمسة واربعين عاما (711 \ 756) ان تنتهي بقدوم شاب عربي اموي هارب من مذابح الامويين ، هو عبد الرحمن بن معاوية ، والذي عرف فيما بعد بعبد الرحمن الداخل او الاول.

كان عبد الرحمن اهلا للرسالة التي اضطلع بها ، موفور الذكاء ، عليما بدخائل السياسة ، شجاعا مقداما ، فلم يمض عليه طويل وقت ، حتى اعاد للاندلس وحدتها وهدوءها ، وامنها واستقرارها ، وفي عهده بدات شخصيتها العلمية والثقافية تتطور نتيجة طبيعية لواقع الحال ، او بدافع من الامير نفسه ، فقد كان يريد ان يزاحم بامارته الجديدة دولة العباسيين هناك ، وان يحيي في الغرب مجد اسرته الدارس في الشرق ، وان يجعل من هذا الركن النائي من الامبراطورية الاسلامية مأوى للفارين من ذوي رحمه تلاحقهم سيوف العباسيين .

ولقد بدات الثقافة الشرقية ترد الاندلس بكل الوانها ، بدات دراسات الفقه والحديث واللغة ، ثم تلتها الوان اخرى من الادب والشعر والموسيقى ، واخذت شخصية الاندلس العلمية تستقل شيئا فشيئا ، حتى اصبح لها اخيرا مدارس متميزة في الفقه والنحو والفلسفة ، وكل مناحي التفكير العربي ، وتميز فقهاؤها بانهم لعبوا اكبر دور واخطره في الحياة الاجتماعية والسياسية على السواء .

كان التشريع وما يتصل به من حديث وتفسير وفقه وفتوى ، احق ما يتلقاه الاندلس من الشرق ، امارة تابعة للخلافة ، او دولة مستقلة يحكمها امير ، او حتى حين انتهى بها الامر الى ان تصبح خلافة ، ترى نفسها احق من غيرها بذلك اللقب ، من صغار الثائرين في اطراف الدولة الاسلامية ، او من المتوسلين بآل البيت متخذين من الانتماء الى علي وبنيه ستارا ، او من الهاشمية والقرشية مطلبا ، في امر لايرى الناس فيه الوراثة ، مشرعين او من عامة المسلمين .

بلى ، واحق من الخليفة نفسه في بغداد ، اسير سجنه ، ولعبة حرسه ، ودمية يلهو بها العجم من فرس واتراك ، يعزلونه متى يشاءون ، ويدعونه ماتركهم يعبثون ، يعبثون بالدولة وبالمواطنين معا ، وتلتقي معهم في الغاية والوسيلة محظيات الخليفة ، ومن في ركاب الخليفة ، من الامراء والقادة ، علانية او من وراء ستار .

ولقد جاء التشريع الى الاندلس ، مع الناس فرادى ، يبحث عن الحكم حين يتطلبه الواقع من حدث او معضلة ، ملتمسا له في نصوص القرآن او سنة الرسول او تصرف الصحابة ، فلم تكن مدارس الفقه قد تكونت بعد وان كان مالك وابوحنيفة ، بدآ يجلسان للناس في حلقة ، يعلمان فيها ويفتيان ، فينقل الناس عنهما ، دون ان يقال ان هناك مذهبا له رسوم وحدود، وان هناك مدرسة لها طابع وتقاليد ، انما جاء ذلك بعد ، مع وفرة الطلاب واحتكاك الافكار ، ونضج الآراء ، وشدة الجدل ، وابتداع المناظرة ، فتعصب كل لشيخه ، واثر كل في قرينه ، وتساند المتوافقون في المنحى والاتجاه .

وكانت سنوات الفتح الاولى عملا حربيا متصلا ، ومع كل جيش قاض يؤم الناس للصلاة ، ويحكم فيما يعترضه من مشكلات ، ويقوم بقسم الغنيمة وتوزيع الفيء ، وكان ذلك القاضي معينا في القليل النادر ، ومتعارفا عليه في الكثير الشامل ، دون حاجة الى تسمية من الخليفة ، او تعيين من الوالي ، انما هو سريان للتقليد العربي ، حين يحكم الاكثر فضلا ، الاطول عمرا ، الجامع لصفات الرجال في مضمونها العميق .

* * *

مع وصول الشاميين المحصورين في سبتة بزعامة بلج بن بشر (123 هـ \ 741 م) وتغلبهم على الاندلس وتوزعهم في ارضها ، بداوا يفتون ويقضون ويتحدثون عن فقيه الشام الامام الاوزاعي ، دون ان تكون هناك نية معينة لتثبيت مذهبه ، او فرض طريقته في التشريع والتقنين ، ولم يترك الاوزاعي فقها مدونا ، فلم يكن التدوين قد شاع بعد ، ، ولم تكن الشام على طريق القوافل ، فيهرع اليها الراحلون طبعا للعلم او رغبة في المعرفة ، ومن ثم لم تلبث طلائع مذهبه في الاندلس ان جفت قبل ان تعطي ثمرا ، او تضرب جذورها في الارض بعيدا ، فتستعصي على الخلع ، وتقوى على مواجهة الجديد القادم من الافكار والآراء .

كان ذلك القادم يتمثل فى علم مدون ، وفى مذهب ان لم تكن خطوطه قد تحددت تماما ، فقد كانت على اي حال واضحة فى ذهن شيخه وفى اذهان طلابه على السواء .

لم يكن ذلك العلم الوافد الا موطأ مالك .

ولم يكن الغازي الجديد غير مذهبه ..

لقد حمله العائدون من الحج ، او القادمون من الرحلة ، وكانت خطواته الاولى رفيقة مستأنية ، ولم يلبث ان نما سريعا ، وترعرع وشبكا ، فاشتد ساعده ، وتأصلت جذوره ، وبسط نفوذه على الدولة كلها ، وقدر له ان يلعب دورا رئيسيا فى متنوع مشاكلها ومختلف قضاياها .

لقد صحب المذهب المالكي الاندلس وليدة ناشئة ، فغضة لدنة تحاول ان تقوى وان تشتد ، ثم فتية نضرة ، فخلافة عملاقة ، لجلالها رنين ولفعلها صدى ، ثم ضعيفة متهالكة ، فموزعة مقسمة ، ثم رآها تحتضر على فراش الموت ، فقد الذين حولها سمات الحياة الدافقة ، فهم عاجزون حتى عن بكائها .

وطوال هذه الرحلة ، كان المذهب المالكي وحيدا ، او قريبا من ذلك ، لقد وفدت مذاهب كثيرة وآراء مباينة ، ولكن المالكية ظلت وحدها صاحبة القول الاخير .

– 2 –

لايذكر المذهب المالكي فى الاندلس ، الا ويذكر معه يحيى بن يحيى ...

لقد كان واحدا من العمد الشامخة التي نهض عليها ، وكان واحدا من العوامل الفعالة التي كتبت له الامتداد والرسوخ ، فقد كان لصلته بهشام الاول ، ثم حظوته لدى عبد الرحمن الثاني ، ابلغ الاثر واعظمه فى انتشاره بالاندلس ، ومزاحمته كل المذاهب التي اقبلت من الشرق فى عصره ، او فيما تلاه من سنين وايام . فمن هو يحيى ؟

ان معلوماتنا عن طفولة الفقيه الذي احتل من صفحات التاريخ مكانا ، وفرض اسمه على الزمان ، وقاوم عوادي الفناء واستعلى على النسيان ، جد قليلة ، او هي معدومة ان جاز لنا هذا التقدير .

فلم يكن المجد اذ ذاك يورث ، فيصبح الناس وارثيه منذ ان يلقوا الحياة اطفالا ، الذين يأخذوا مكانهم من مسرحها ممثلين ، ولم يكن ارتياد العظمة وقفا على جيل دون آخر ، او تختص به اسرة دون قبيل ، وانما هو حق لكل من غامر وسابق ، وزاحم وناكب ، وتعشق الآمال الكبار .

وتاريخنا مذ عرفنا قوة مؤثرة فى الاحداث الانسانية ، مليء بهؤلاء العظماء ، جاءوا من غمار الناس ، فاعتلوا العروش ، وقادوا الجيوش ، واهدوا البشرية جديدا من المواهب والآراء .

* * *

جلس المنصور بن ابي عامر ، عملاق الاندلس فيما بعد عصرنا الذي نؤرخ فيه لفقيدنا الكبير ، مع اربعة من زملائه الطلاب ، فى حديقة من عديد كانت تغص به قرطبة او ارباضها ، فى يوم شامس ، افترشوا الخضرة ، وخلعوا عذار الوقار ، ملء اهابهم الشباب ، وملء جنانهم الامل ، يأكلون بشهية ، ويضحكون فى عمق ، كأنهم لم يروا فى حياتهم شقوة ولا تعيسا من الاحداث ، الا المنصور نفسه ، فقد ظل هادئا ساكنا ، لم يتحلل من وقار الكبار ، ولم يتزلق الى عبث الفتيان ، وعبثا حاول رفاقه ان يكسبوه الى صفهم ، وعندما انهوا مجلسهم ، صاح بهم لاتعجبوا ، اني اروض نفسي لاكون جديرا بما اطمح اليه من آمال وما ينتظرني من مهام ، فسوف اكون سيد هذا البلد يوما ، وضحك رفاقه ، ضحكوا من زميلهم الذي يحلم بخلافة الاندلس ، وقد كان الى دقائق يقاسمهم طعامهم على الارض ، طعاما متواضعا ، لاتحويه مائدة ، ولا يقدمه خدم ، ولا يحيط بآكليه حرس ولا هيلمان .

ولكن المنصور مضى يفصح عن آماله ويضغط عليها ، انا واثق مما اقول ، تمنوا علي ، ليقل لي كل واحد منكم ، مايريد ان اعهد اليه من مهام عندما اصبح الحاكم المطاع .

وبدا واحد منهم ، ساخرا او جادا ، يحلم بأكلة شهية ، مما يرى فى الاسواق ، دون ان يروي له ظمأ او ينقع غليلا ، نعم ياصديقي ، انا اريد ان اصبح صاحب السوق ، يومها سوف احصل على ما اريد بثمن معقول ، او بلا ثمن على الاطلاق .

وقال الثاني : اني احب الثمر المستورد من مالقة ، مسقط راسي ، فعيني قاضيا لهذه المدينة ، لاشبع نهمي من فاكهتي المحببة .

وقال الثالث : ان منظر الحدائق الجميلة ياخذ بلبي ، فعيني صاحب المدينة .

وكان الرابع قد احتفظ بهدوئه ، وادار ظهره لما يقول زملاؤه ، ساخرا من احلامهم الجامدة ، ولكن المنصور اتجه اليه يسأله : وانت ماذا تريد ؟ تمن علي ، لن اضن عليك بما تريد عندما اصبح اميرا .

فالتفت اليه الفتى في كثير من السخرية ، وفي كثير من الاستهزاء قائلا : عندما تحكم الاندلس الفلبانة ارجو ان تامر بطلي بدني بالعسل ، وان اترك فريسة للنحل والذباب يلسعني ، وان اوضع على حمار ، ظهري الى الامام ، ووجهي الى الخلف ، وان يطاف بي شوارع قرطبة على هذا النحو .

رماه المنصور بنظرة حادة ، ولكنه احتفظ بهدوئه كاملا ، وقال في هدوء رزين ، كمن يعلم جيدا حقيقة مايقول ، سيبلغ كل واحد منا هدفه يوما .

ورجع المنصور الى داره ، الى دار قريب له كان يأويه ، وبات ليلته ، وفي الصباح الباكر لم يذهب كعادته لتناول طعام الافطار مع الاسرة ، وقد ظن مستضيفه انه لايزال نائما بعد ، فذهب ليطمئن عليه ، فوجده يقظان مجهدا ، محمر الجفن ، مربد الوجه ، من اثر التفكير الشديد .

ـ يبدو انك لم تنم ليلتك السابقة ؟

ـ نعم هو ذاك !

ـ ما الذي اضجرك ؟

ـ كنت افكر في شيء غريب ...

ـ في اي شيء كنت تفكر ؟

ـ كنت افكر في الرجل الذي سأعينه قاضيا عندما احكم ، لان القاضي الحاضر لن يطول به العمر حتى يبلغ ذاك ولقد طوفت الاندلس شرقا وغربا ، فلم اجد الا رجلا واحدا يستحق ان يتولى هذا المنصب الجليل !

ـ اهو الفقيه محمد بن السليم ؟

ـ نعم ، هو . .

ولقد تحققت احلام الطالب الفقير كاملة ، فحكم وعين ، ووضع كل ما جرى به خياله موضع التنفيذ .

❋ ❋ ❋

القصة يحفظها التاريخ عن المنصور ، ولكنها ، من قريب او بعيد ، تصور طموح المغمورين ، فيما قبل عصره وفيما بعده على السواء متى تماثلت الاجواء وتعادلت المقدمات ، حين لم تكن هناك حجوز تصد الطامع او الراغب ، متى اخذ بالوسائل ، ودفع ثمن المقلمة غاليا غير رخيص ، ولقد كان في الاندلس كثيرون شاركوا المنصور آماله واحلامه ، وان نحوا غير ما انتحى ، وسلكوا غير ما سلك ، وامتطوا لها غير ما امتطى من العدد وطرائق التنفيذ ، ولكن التاريخ قلما يعرض لطفولتهم ، فلا يذكرهم الا وهم اقوياء متمكنين ، يفرضون انفسهم على مسرح التاريخ .

وكان يحيى واحدا من هؤلاء .

واذا كان المؤرخون قد غفلوا عن يحيى صبيا يدرج ، وناشئا يستقبل الحياة ، فقد حفظت لنا شهرته فيما بعد نسبه كاملا ، فاشار اليه كل مرجع عرض ليحيى اصيلا او تناوله من بعيد .

فهو : يحيى بن يحيى بن كثير بن وسلاس بن شملل (1) بن منقايا ، من قبيلة مصمودة ، يكنى ابا محمد ، وابوه يحيى يكنى ابا عيسى (2) ، وكانت مصمودة قد اتخذت لها سكنا في جبل درن وما حوله من بلاد السوس وما يليه (3) ، وكانت طنجة عاصمه

---

1) انفرد كتاب « نبذ تاريخية في اخبار البربر » في كتابها « شملال » بالالف من بين كل المؤلفات العربية ص 60 وهو مؤلف مجهول ، وقد نشر في الرباط عام 1352 هـ ـ 1934 م .

2) ابن الفرضي ، تاريخ علماء الاندلس ، ترجمة رقم 1554 ، طبعة مدريد 1890 . وانظر : ابن فرحون : الديباج المذهب في معرفة اعيان علماء المذهب ص 79 طبعة القاهرة 1351 هـ .

3) نبذ تاريخية في اخبار البربر ص 76 وانظر ابو الفدا المختصر في تاريخ البشر ص 97 طبعة المطبعة الحسنية ، القاهرة بلا تاريخ .

تلك الكورة فيما يبدو ، ولذلك تشير بعض المراجع التاريخية ، الى ان قبيلة مصمودة من طنجة (4) .

اما سبب انتمائهم الى « ليث » فمرده الى ان وسلاس جد يحيى قد اسلم على يد يزيد بن ابي عامر الليثي ، من ليث كنانة ، خلال فتح المغرب (5) وثمة رواية اخرى تجعل الذي اسلم على يد يزيد : شملل وليس وسلاس ، رواية كان من الممكن ان نقف عندها ، لولا ان راويها اضاف اليها ، ان شملل هذا ، دخل الاندلس مع طارق بن زياد وشهد الفتح (6) امر تنقضه المصادر التاريخية الاخرى على كثرتها وتنوعها ، وينقضه ان يحيى ولد على التاكيد قبل عام 147 هـ \ 764 م ، وان عبور طارق الى الاندلس تم في صيف عام 92 هـ \ 711 م ، اي ان الزمن بين فتح الاندلس ومولد يحيى هو ثلاثة وخمسون عاما ، وهو زمن اقل بكثير من ان يضم خمسة اجيال تتلاقى ، ولو كانوا من كبار المعمرين ، ولذا نميل الى الرواية الاولى ونأخذ بها جملة ، كما نترك الاولى جملة ايضا ، لان انتقاء جزء منها يجعل الباقي موضع شك ، وخارجا عن دائرة اليقين ، وبخاصة ان الذين جاءوا مع طارق ، من غير القادة والموجهين وسراة القوم ، لابد ان يكونوا شبابا يتحمل عبء الحرب واهوالها ، امر لايتأتى لهرم لايدفع ولا ينجد ، ويكون عبئا في تحركه وفي مقامه على السواء .

ولا تشير المصادر الى الدور الذي لعبه ابوه او جده ، اذ يبدو انهما كانا من غمار الجنود ، الذين قلما يحفل بهم احد ، او اذا لعبوا دورا هاما فالى غيرهم ينسب ، ممن كانوا ذوي حظوة او محط جاه ، ولكن المؤرخين وان عرضوا عما كان لابيه وجده ، فليس ذلك ينافى انهم لم يكونوا في قرطبة من النكرات ، فقد كان لهم بيت ، يعرف ببيت ابي عيسى ، الكنية التي كان يحملها الاب (7) .

وعلى اي ، فان اعراض المصادر التاريخية عن ذكر ابيه وجده ، لانهما لم يكن لهما نشاط يعرفان به ، او كان لهما ثم تجاهلته كتب التاريخ ، كل ذلك ليس ينافى شرف البيت الذي نشأ فيه ، فقد كان من مصمودة ، ولمصمودة تاريخ مذكور مشهور ، فيما قبل الاسلام او فيما بعده ، فقد كانت من اكبر البطون التي تشكل فرع البرانس ، وكانوا مع صنهاجة يشكلون اساس سكان البربر ، وكان منهم ميسرة المطفري ، اكبر واول من ثار على الحكم العربي ، في خلافة هشام ابن عبد الملك .

وكان هؤلاء البربر يلتقون مع العرب في اشرف ما عرف من الخصال ، كانوا شجعانا محاربين يغارون على حريتهم فلم يعرفوا حكم الاجنبي يوما ، ولم ولم يستطع حكم الرومان في الازمنة القديمة ، ان يتجاوز الساحل المحاذي للبحر الابيض حيث المدن والاستقرار ، واخلاط من الناس من كل فج وصوب ، ومن كل عشير وقبيل .

ولعل الاسلام لم يلق في امتداده من العنت والمشقة ، ولم يبذل من الدماء والشهداء كما بذل في المغرب ، في قلبه او في اطرافه على السواء ، ولم تهدا الامور فيه ، الا عندما اعتنق اهله الاسلام ، والقيت مقاليد الامور اليهم ، فكانوا في اسلامهم كما كانوا في جاهليتهم شجعانا اقوياء ، فحملوه حيث استطاعوا ، ودافعوا عنه وما زالوا ، ودفعوا به الى الاندلس شمالا ، والى قلب الصحراء جنوبا ، واهدوا العالم الاسلامي في العصور الوسطى ، اكبر واعظم دولتين مغربيتين : دولتي المرابطين والموحدين .

يقول ابن خلدون ، وقد عرف البربر وخالطهم وعاش معهم ، فكتب عن بينة ووصف عن خبرة ، وسجل عن يقين واقتناع ، ان تخلقهم بالفضائل الانسانية ، وتنافسهم في الخلال الحميدة ، وما جبلوا عليه من الخلق الكريم ، مرقاة الشرف بين الامم ، ومدعاة المدح والثناء ، لما جبلوا عليه ، من عز الجوار ، وحماية النزيل ، ورعي الذمة ، والوفاء بالقول وايفاء العهد ، والصبر على المكاره ، والثبات في الشدائد ، والاغضاء عن العيوب والتجافي عن الانتقام ، ورحمة المسكين ، وبر الكريم ، وتوقير اهل العلم ، وحمل

---

4) الحميدي ، جذوة المقتبس ، ترجمة رقم 908 ص 309 بتصحيح وتحقيق محمد بن تاويت الطنجي القاهرة 1372 هـ 1352 م وانظر ياقوت ، معجم البلدان ، مادة (سوس) ج 5 ص 171 و 172 .

5) جذوة المقتبس ، ت 908 ص 908 .

6) نبذ تاريخية في اخبار البربر ، ص 60 .

7) جذوة المقتبس ت 908 .

الكل ، وكسب المعدوم وقرى الضيف والاعانة على النوائب وعلو الهمة واباء الضيم ، ومقارعة الخطوب .

ولم يكن نصيبهم من الفضائل الانسانية وحدها كريما وعاليا ، ولكن نصيبهم من الحمية الدينية ايضا كان عظيما ورالما ، فهم حريصون على اقامة مواسم الشريعة ، والاخذ باحكام الملة ، ونصر دين الله ، فقد نقل عنهم في اتخاذ المعلمين كتاب الله لصبيانهم ، والاستفتاء في فروض اعيانهم ، واقتفاء الائمة للصلوات في بواديهم وتدارس القرءان بين احيائهم وتحكم حملة الفقه في نوازلهم وقضاياهم ، وصاغيتهم الى اهل الدين والخير من اهل مصرهم للبركة في آثارهم ، واغشائهم البحر افضل الرابطة والجهاد (8) .

كذلك كان البربر وما زالوا ، وبتعبير ادق ، كذلك كان اسلاف يحيى ، ولقد كان واحدا منهم ، بل واحدا جامعا لكل ما هو طيب فيهم من خلق وخصال ، والانسان في غور نجاحه ، مدين لاشياء اربع ، شخصيته وما تتصل به من خلق اصيل او دخيل ، وما يلحق بها من استاذ نابه او زميل عطيل ، وتجاربه في الحياة وما يتبعها ، من افادة جادة ، او سطحية تافهة ، وعصره الذي اظله ، وجوه الذي تنسمه ، جوه الثقافي والاجتماعي ، وما وراء كل ذلك .

واحسب اننا قد اتحنا للقارىء فرصة يتابع فيها معنا ماضي فقيهنا الكبير ، وانه ، وانا معه ، في حاجة الى مرحلة اخرى نجلس فيها الى اساتذة يحيى ، لنعرف ما اعطوه وما اخذ ، ولنستشف اتجاهه في ذلك الصبا الباكر من عمره المديد .

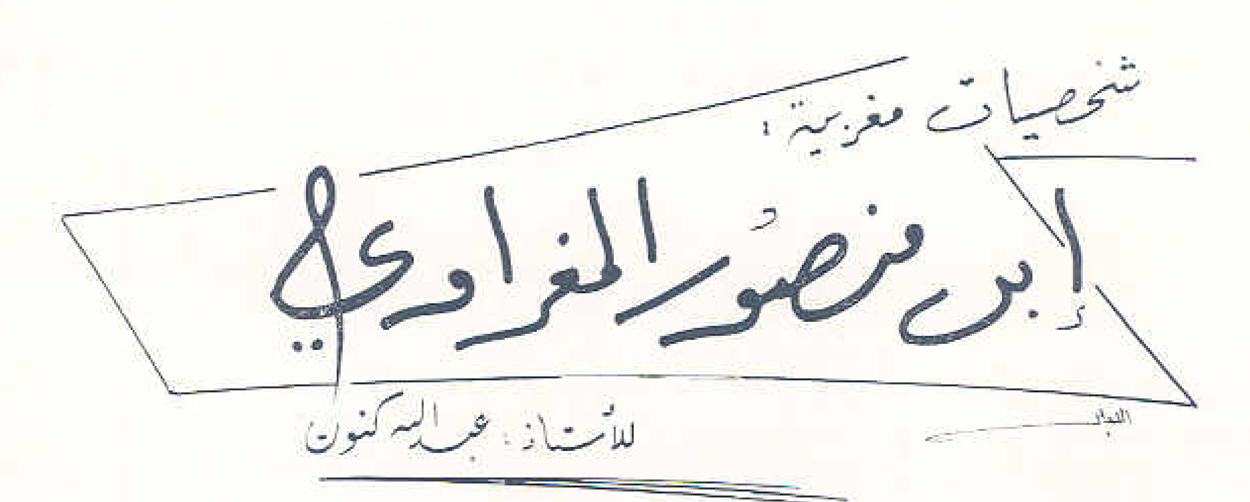
« للبحث بقية »

---

8) ابن خلدون : كتاب العبر وديوان المبتدا والخبر ، ج 6 ص 104 و 105 طبعة القاهرة بدون تاريخ .

كيف يحبذ الاسلام الاحسان ايجابيا وسلبيا

عن ابي شريح الخزاعي ان النبي (ص) قال من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحسن الى جاره ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ومن كان يؤمن بالله واليوم الاخر فليقل خيرا او ليسكت .



هو ابو عبد الله محمد بن منصور بن حمامة المغراوي السجلماسي الفقيه الحافظ صاحب التآليف العديدة في اللغة والحديث ، هذا الرجل لم نر من ذكره من اصحاب كتب التراجم ، وانما وقفنا على كتابه شرح غريب حديث الشهاب المعروف للقضاعي، فرأيناه كتابا قيما يدل على اطلاع واسع ومادة غزيرة من معاني المفردات اللغوية وشواهدها من كلام العرب بحيث لا يقل عن اي كتاب من كتب الغريب التي الفها الاقدمون في هذا الصدد ، وقد حلي في اوله بما حليناه به هنا وهو الفقيه الحافظ ، اذ جاء في طالعته هذه العبارة : « قال الفقيه الحافظ ابو عبد الله محمد بن منصور رحمه الله تعالى ورضي عنه ، شارحا لغريب الشهاب .

وشرحه هذا لا خطبة له وانما يبتدىء هكذا : « باب قوله الاعمال بالنيات ، النية من كلام العرب عزيمة القلب ، وقيل الطلب ، وقيل القصد والوجه الذي تذهب فيه ، يقال التويت الى كذا اي ذهبت في وجه من الوجوه » الخ .

وهو يشير في اثنائه الى انه سيتكلم على معنى الحديث وحكمه في الفقهيات اي في شرح آخر للشهاب يتناول معاني الحديث والاحكام المستنبطة منه ؛ كما يشير الى ان له كتابا آخر في غريب حديث البخاري ، وثالثا في غريب حديث الموطا .

ومن حسن الحظ اننا وقفنا على بضعة كراريس من شرحه الفقهي الذي اشار اليه في غريبه ، وهو مفيد جدا يتعرض فيه لبيان عرض الحديث ودلالته الفقهية بعبارة واضحة وكثيرا ما يستدل عليه بالآيات القرآنية ويورد بعض الاشعار التي تناسب المعنى ، وربما اشار الى مخرج الحديث او شاهده من رواية اخرى والطريف انه يطبق الحديث على واقع الحياة فلا يبقى فيه غموض ولا ابهام ، واليك مثلا ما كتبه على حديث كيلوا طعامكم يبارك لكم فيه : « قيل في هذا الحديث ان اقواما شكوا اليه (ص) سرعة فناء طعامهم فقال (ص) اتكيلون ام تهيلون ؟ قالوا نهيل . قال كيلوا ولا تهيلوا . يقال لكل شيء ارسلته ارسالا من رمل او تراب او طعام ونحوه قد هلته هيلا اذا ارسلته فجرى ؛ ومعنى الحديث الحض على صيانة الاموال عن الاهل وغيرهم لان الانسان اذا اكتال طعامه وعلم اهله انه مكيل انقبضت ايديهم عنه فلم يسرع ذهابه ، واذا تركه غير مكيل ربما خانوه فيه فذهبت بركة الطعام » .

وهاك ما كتبه على حديث استعينوا على اموركم بالكتمان : « وكذلك قوله عليه الصلاة والسلام استعينوا على نجاح الحوائج بالكتمان ، هو كما قاله عليه الصلاة والسلام لان الانسان قد يبث سره الى من يفشيه وهو لا يريد افشاءه ، وربما حضر ايضا عند ذكرها من يعكر فيها عند غيبته ، وربما ايضا يريد امرا ولا يقضي بوقوعه كمن يريد حجا او سفرا وغير ذلك فاذا لم يفعل شيئا من ذلك عرض نفسه لان يهزا به الناس » .

وقد ذكر في هذه الكراريس شرحه لغريب الشهاب مرارا ، كما ذكر ان له على الموطا شرحا اسمه الروض الانيق ، وكتابا اسمه المسائل الفقهية المنوطة بالمعاني

الشرعية ، وكتابا اسمه فك اغراض البخاري المبهمة في الجمع بين الحديث والترجمة ، وسمى نفسه اثناء شرحه لحديث اياكم ودعوة المظلوم ، اذ جاء فيه هذه العبارة : « قال ابو عبد الله محمد بن منصور » وروى فيه عن شيخه ابي الحسن علي بن عبد الرحمن وحلاه بالفقيه الموقر مرة ، وبالشيخ الصدوق مرة اخرى ، كما روي عن شيخه علي بن احمد بن ابي بكر الكتاني وحلاه ايضا بالشيخ الصدوق ، وكلاهما انما يذكره على انه يروي بعض الاحاديث من طريقه ، ونقل فيه عن المهلب شارح البخاري ، وهو من اهل القرن الخامس حسبما هو معروف ، كما انه في شرح الغريب نقل مرارا عن الخطابي ، وذكر مرة ابا علي بن سكرة يعني الصادفي واولهما من اهل القرن الرابع والثاني من اهل الخامس وادرك السادس ، وفي شرح حديث تفرغوا من هموم الدنيا ما استطعتم انشد بعض الابيات من نظمه في الموضوع .

وكتابه في الجمع بين الحديث والترجمة من صحيح البخاري ذكره العلامة القسطلاني في اول شرحه للبخاري وسماه حل اغراض البخاري .. وهذه عبارته الواردة في اوله عند تعرضه لمن شرح البخاري : « وللفقيه ابي عبد الله محمد بن منصور بن حمامة المغراوي السجلماسي حل اغراض البخاري المبهمة في الجمع بين الحديث والترجمة ، وهي مائة ترجمة » وذكر هذه العبارة نفسها صاحب كشف الظنون وزاد بعد وصف السجلماسي قوله « المتوفى سنة .. » وبيض للسنة ولم يذكرها .

وعلى كل حال فنحن انما عرفنا ان صاحبنا منسوب الى مغراوة ثم الى سجلماسة من القسطلاني ، وكنا نعرف هذه العبارة عنده منذ ايام الدراسة ونعرف شرح غريب الشهاب المكتوب عليه انه لمحمد بن منصور فنقدر انه ربما كان لابن منصور الشفشاوني محشي السعدي وغيره ، وهو من رجال العصر العلوي ثم نجد نفس الكتاب غير نفس المذكور ، ونرجعه لابن منصور المغراوي هذا فلا نجد بيدنا حجة على ذلك حتى وقفنا على هذه الكراريس من شرحه الفقهي للشهاب التي صرح فيها بانه صاحب كتاب حل اغراض البخاري فثبت لدينا حينئذ انه هو المذكور عند القسطلاني . استفدنا من هذه المطابقة اسم جده ونسبه القبلي والبلدي ، ولكن بقي علينا ان نعرف عصره الذي انحصر بين القرن السادس والتاسع باعتبار تاريخ من نقل عنهم وتاريخ القسطلاني الذي كان اول من ذكره فيما علمنا ، فعلينا بعد ذلك تقريب الشقة بين هذه الفجوة الواسعة ، وتعيين تاريخه بالضبط ، وذلك ما نؤمل الوقوف عليه في يوم من الايام بحول الله .

هذا وكان صديقنا المؤرخ الكبير النقيب مولاي عبد الرحمن بن زيدان رحمه الله اطلعنا على الكتاب الذي الفه في رحلة جلالة الملك الى تافيلالت وهو كتاب موعب في تاريخ سجلماسة ورجالها ، ولما لم اجده تعرض للمترجم سالته عنه فلم يعرفه وحدثته عنه بما لدي فسالني ان اعلق على ذلك في الرحلة المذكورة ففعلت فهذا رجل من كبار علماء المغرب ضاعت ترجمته بالمرة وكم له من نظير والامر لله . خلاصة هذا البحث :

اسم المترجم : ابو عبد الله محمد بن حمامة المغراوي السجلماسي

حاله : من رجال الفقه والحديث ومن علماء اللغة المتطلعين .

آثاره : 1) شرح غريب الشهاب ـ 2) الشرح الفقهي للشهاب ـ 3) شرح غريب البخاري ـ 4) حل اغراض البخاري المبهمة في الجمع بين الحديث والترجمة ـ 5) شرح غريب الموطأ ـ 6) شرح للموطأ يسمى الروض الانيق 7) المسائل الفقهية المنوطة بالمعاني الشرعية .



- 2 -

المحـــاكـــم :

هناك كثير من المحاكم تطبق القانون الانجليزي ، وهناك عدة اصناف من القضاة ، فالقضاة الاعلون يتقاضون مرتباتهم من الدولة ، اما القضاة الذين دونهم — ويسمون مامورين قضائيين او عدولا — فانهم عادة لايتقاضون مرتبات ، ولا احد منهم جميعا يعد موظفا حكوميا ، وحتى هؤلاء الذين يتقاضون مرتباتهم من الدولة فانهم لايختارون من بين موظفي الحكومة ، وانما ينتخبون من بين المحامين المزاولين لمهنهم الحرة.

وقد يمكن ان يعزل قاض بالمحكمة العليا ، ولكن ذلك لايمكن ان يقع الا بواسطة ملتمس يرفعه الاغلبية من اعضاء كل من مجلس العموم ومجلس اللوردات الى صاحب الجلالة — الملك او الملكة ويكون موقعا باسمائهم ، على ان هذا لم يقع فعلا الا مرة واحدة سنة 1701 .

وهؤلاء القضاة في المحاكم العليا وفي محاكم الاستيناف يختارون من بين المحامين بواسطة صاحب الجلالة بناء على ترشيح قاضي القضاة المسمى بالسيد المستشار : (the Lord Chancellor)

ورئيس الوزراء فيما يختص بكل منهما ؛ اما قضاة الصلح فانهم يعينون من قبل قاضي القضاة وكبير موظفي الحكومة بناء على ترشيح الاشخاص المحليين من السكان ، على ان يكون من المحبين لخير الشعب والمحترمين منهم ، وهؤلاء القضاة ليسوا محامين ولا هم يتقاضون مرتبات ، ولقاضي القضاة ان يعزلهم .

وفي بعض المدن الكبرى فان القاضي الذي يتقاضى مرتبه — وهو من المحامين — يحل محل القضاة المحليين ، ويسمى هذا قاضيا مرتبا ، (Stipendiary) وكل مدينة لها قضاة الصلح او قضاة مرتبون يجلسون للحكم مرة او مرتين في الاسبوع .

وبما ان قضاة الصلح ليسوا محامين فان لهم مستشارا شرعيا يدعى كاتب القضاة (the clerk to the justices) يرشدهم الى مسائل القانون ، واجتماع هؤلاء القضاة المحليين يدعى بالجلسات الجزئية او المجالس الصغرى (Petty Sessions) حيث يقضون في الجنايات التي ترتكب بين الجيران ، وكذلك في بعض القضايا المدنية (النزاعات) ، غير ان هؤلاء القضاة لايمكنهم ان يزجوا باحد في السجن ممن يحكم عليهم باكثر من ستة اشهر سجنا ، فاذا كانت الجريمة تستوجب اكثر من ستة اشهر سجنا ، فان المواخذين بها يحالون على المحكمة العليا ، حيث يستطيعون ان يستانفوا في نفس المحكمة العليا ، معارضين حكم القضاة في الجلسات الجزئية ، او في لندن وبعض المدن الاخرى التي لها قضاة مرتبون، وتلك المحكمة العليا تدعى عادة بالجلسات الفصلية ؛ (Quarter Sessions) ويجتمع قضاة الاقليم اربع مرات من كل سنة بالمجالس الفصلية ، حيث يستطيعون ان يصدروا الحكم باية عقوبة ؛ ما عدا العقوبة بالموت (بعض الاقاليم الكبرى مثل يوركشير (Yorkshire) قد قسمت على مقاطعات لكل منها مجالس فصلية) ويتولى رئاسة المجالس الفصلية عادة محام محنك ماهر ، ويحال المتهمون من المجالس الجزئية على المجالس الفصلية حيث يقضي فيهم بواسطة هيئة

المحلفين (a jury of twelve people) المكونة من اثنى عشر شخصا ، ونفس الشيء يقع في بعض مدن الاقاليم التي نظرا الى كبرها او قدم تاريخها (1) قد اتخذ لها قاض محلي يسمى (Recorder) يقوم بنفس المهمة التي تقوم بها المجالس الفصلية ، فهذا القاضي يحل محل المجالس الفصلية ، كما ان القاضي المرتب يقوم مقام المجالس الجزئية ، وفي القضايا الخطرة بما فيها كل القضايا الجنائية المعاقب عليها بستة اشهر سجنا فاكثر ، وقضايا القذف ، لابد ان يكون هناك محلف (Jury)

المحلفـــــون :

غالب الاشخاص الذين يملكـــون في حوزتهـــم ماقيمته عشرة جنيهات(2) او يؤدون هذه العشرة قسطا سنويا يمكن ان يدعوا ليقوموا بمهمة المحلف ، ولكـــن لابد للمحلف ان يكون انجليزي الجنسية ، والا يكـــون قد ارتكب جريمة خطرة ، وان يكـــون لـــه صوت في الانتخابات ، وان يناهز عمره الحادية والعشرين ، فان كان فوق الستين فيمكن ان ينحى عن هذه الصلاحية ، والمحلف يقرر في المتهم ما اذا كان بريئا او مذنبا ، فاذا ثبت على شخص جريمة فان المامورين القضائيين او القضاة هم الذين يقررون في حقه العقوبة ، وفي بعض الاحيان ايضا يقررون ما اذا كان احد طرفي النزاع على صواب او خطأ ، وحينئذ فان هيئـــة المحلفيـــن ــ لا القاضي ــ تقـــرر العقـــوبـــة .

وعلى هيئة المحلفين ان يوافقوا جميعــا علـــى قرارهم ، وللمدعي عليــه ان يعترض على اي محلف يعتقد انه لن يكون منصفا في حقه ، كما ان للمدعي حق هذا الاعتراض ، وكذلك رجال الشرطة في حالة ما اذا اقاموا دعوى باسم الملكة (او الملك) .

ولا يصلح للقيام بمهمة المحلف هؤلاء الاشخاص : النبـــلاء (Peers) ، واعضاء البرلـــمان (Members of Parliament) ، والرهبـــان (Priests) او الوعاظ (Pastors) والمحامون (Barristers) والوكلاء (Solicitors) واعضاء مجلس الشورى (Councillors) وموظفو البريد والجمرك وضباط الجيش .

المحاكم العليا والقضاة :

قليل جدا من القضايـــا المدنيـــة (نزاعات بيـــن الناس) تسمع من قبل المامورين القضائيين ، ذلك انه في كل اقليم من انجلترا وولز (Wales) يوجد قضاة مرتبون متجولون في انحـــاء البـــلاد للفصـــل في الخصومات ، فاذا ما حدث ــ مثلا ــ ان مبلغا عظيمـــا من المال تنوزع فيه ، فان القضيـــة عمومـــا تـــسمـــع في المحاكم العليا بلندن ، وعموما ــ وليس دائما ــ ان قضاة المحكمة العليا (باستثناء بعض الخواص منهم سنيين مهمتهم فيما بعد) يتنقلون حول الاقاليم فيما يسمـــى بالدوائر (Circuits) وكل دائرة عبارة عـــن مجموعة اقاليم ، اما مجالس القضاة بالمحاكم العليـــا المتنقلين فتسمى بالمحاكم الدورية (The Assizes)

والاشخاص الذين نشب بينهم نزاع جد عويص بالنسبة الى قاضي المحكمة الاقليمية (County Court) يمكنهم من ذات نفسهم ان يقـــرروا في قضيتهم ما اذا كانت تعرض على محاكم لندن ، او ينتظروا فيها حضور القاضي من لندن الى دائرتـــه .

وفي المحاكم الدورية يفصل القاضي ايضا في هذه القضايا الجنائية ، حيث يكون الفصل في الدعوى المقامة على المتهم عويصة جدا بالنسبة الى المجالس الجزئية ، وقليل من المظالم العظمى ، من هذه الجرائم الخطرة ، يمكن ان يحكم فيها بالمحاكم الدورية فقط ، فالحكـــم بالموت في عقاب القتل ، والخيانة العظمى ، لايمكـــن ان يقع في مكان آخر ، والاغلبية ــ على كل حال ــ مـــن الجرائم التي هي جد خطيرة بالنسبة الى المحاكـــم الجزئية ، يمكن ايضا ان يفصل فيهـــا لـــدى المحاكـــم الفصلية ، وكذلك السجين في هذه القضايـــا يمكـــن ان يساق ليحاكم لدى المحاكم الدورية او المحاكم الفصلية ، بحسب ما يكون منها اكثر ملاءمة ، وفي كل من هـــذه وتلك لابد ان يكون محلف دائم .

---

1) للقدم مكانة عظمـــى في نفوس الانجليـــز

2) مـــسألة المال خطرها في مقومات الشخصية الانكليزية فعشرة جنيهات كانت منذ زمن بعيـــد وما زالت تعتبر حاجزة بين الشخص الذي يمتلكها وبين الجنوح الى قبول الرشـــوة ..

حـق الاستينـاف :

١ ـ فى القضايا الجنائية :

اي شخص ادعى عليه ، فكان مواخذا بجريرتـه من طرف المحاكم الفصلية ، او المحاكم الدورية لـه الحق فى ان يستانف لدى المحاكم الاستينافية الجنائية بلندن ، وتتالف هيئة المحكمة من عدد غير متساو من القضاة ، ولهذا فانه سيكون هناك حكم غالبي ، يصاغ من قبل القاضي الرئيس ، فاذا ما اثيرت مشكلـة قانونية فى محكمة الاستيناف الجنائية ، ويعتقد النائب العام (the Attorney-General) (المحامي الرئيس وعضو من الحكومة) انها مهمة بالنسبة الى الدولة ، واذا كان حكم المحكمة فى ذلك مدافعا ، فان المتهم المدعى عليـه يستطيع ان يستانف لدى مجلس اللوردات (the House of Lords)

والجرائم الخطيرة التي تقترف فى لندن ، يقع الحكم فيها لـدى محكمـة الجنايـات المركزيـة (the Central Criminal Court) وهي مشهورة جـدا باسم « بلـي » العتيقة (the Old Bailey) وتقع فى المدينة القديمة للندن ، وتحتل المحكمة الجنائية المركزية مكان المحكمة الدورية فى لندن . فمدينة لندن لها قضاة مرتبون ومن ثم فلا توجد فيها محاكم صغرى (جزئية) ولكن توجد بها المحاكم الفصلية .

والذين يحكم عليهم لـدى المحاكم الجنائيـة المركزية ، او المحاكم الفصلية ، لهم الحق ان يستانفوا لدى المحاكم الجنائية الاستينافية ، وفى كل من المحكمة الجنائية المركزية والمحاكم الفصلية بلندن يكون هنـاك محلفـون طبعـا .

ب ـ فى الاحوال المدنيـة :

وفى القضايـا المدنيـة (خصومات بيـن افـراد متنازعين) هناك عادة استيناف مـن قاضـي مجلس الكونتيـة (the County Court judge) او مـن قـاضـي المحكمـة الـدوريـة او المحكمـة العليا بلندن الى محكمة الاستيناف بلنـدن ، غيـر ان محكمة الاستيناف لاتتصرف حسب الوقائع ولكـن حسب نصوص القانون فقط ، بخـلاف محكمـة الاستيناف الجنائية ، اذ ان محاكم الاستيناف ماذون لها فقط فى المسائل التي قد اجري فيها القانـون ، وانتهى فيها الى حكم من المحكمة التي هي دون محكمة الاستيـنـاف .

فهناك اذن فروق بين محكمة الاستيناف وبيـن محكمة الاستيناف الجنائية ، ففي محكمة الاستينـاف كل قاض يصدر فتواه حسب ما يرى ، اما فى محكمـة الاستيناف الجنائية فان قاضيا واحدا يصدر حكمـه باسـم الجميـع .

والاحكام فى كل من هذه المحاكم الاستينافيـة يمكن ان تقضى بواسطة مجلس اللوردات . وفى بعض الاوقات كان كل اعضـاء مجلس اللوردات يستطيعون ان يسمعوا قضايا الاستيناف اما الآن فاللوردات الذين احـرزوا علـى لقب النبـل (النبـلاء Peers) لاجل خدماتهم كقضاة ومحامين هم وحدهـم الذيـن يجلسون للنظر فيها ، والقاضي الذي يتـراس مجلس اللوردات هو السيد المستشار (قاضي القضاة) .

وفى هذه المجالس كل قاضي يدلي برايه علانية ، ويصدر الحكم وفق راي الاغلبية ، فيصبح راي الاغلبية قانـونـا للبـلاد .

والمحكمة العليا فى لندن لها ثلاثة اقسام : قسـم الاريكـة الملكيـة ، (the Queen (or King) 's Bench) يفصل فى القضايا المعتادة ويرسل قضاته الى الدوائر ، وقسم ديـوان المستشـار (the Chancery Division) الـذي يتصـرف حسب العـدل (Equity) وقسم الوصايا والطلاق والبحرية (the Probate, Divorce and Admiralty Division)

مـا هـو العـدل ؟

لقـد لوحظ ان بعض القضاة لاينتقلـون الـى الدوائـر ، وهـؤلاء يـدعـون قضـاة مستشاريـن (Chancery judges) ولابـد ان يبيـن عملهـم المنـوط بهـم والغاية مـن وجودهـم ، وقـد ذكـرنـا القانـون الـدستـوري (Statute Law) والقـانـون المعتـاد (3) (Common Law) وقـانـون الاقضيـة (النـوازل) (Case Law)

---

3) بعد صدور الجزء الاول من هذا الموضوع اشار على رئيس المحكمة الاقليمية بتطوان بأن يترجم ما سميناه القانون العام بالقانون العادي حتى لا يقع تداخل . فترجمناه بالقانون المعتاد وتجنبنا كلمة (عادي) لانها فى اللغة نسبة الى عاد .

ولكن الى جانب هذه الفروع من قانون انجلترا هناك دستور (Code) او قانون غير مسطر يسمى بقانون العدل (Equity) ويسود المحاكم فالعدل هذا قد عرف كعدالة طبيعية (natural justice) ولعله من الاحسن ان يشرح بانه (تشريع) يملا الفجوات التي تتغاضى عنها القوانين الاخرى ، وبذلك لن يكون في العدالة اية ثغرة ، وقد استفحلت هذه الطريقة حيث انه في القرن الثالث عشر الميلادي كانت هناك كثير من المخالفات ما زالت بعيدة عن القانون لم يتخذ فيها اي اجراء ، على حين انه لم يكن هناك لا القانون الدستوري ولا قانون الاقضية

وحينما كان القانون المعتاد يحاول ان يعالج مثل هذه القضايا ، فغالبا كان من الصعب على الاشخاص المجنى عليهم ان ينالوا حقهم منفذا لان الجاني ربما كان (بارون) قويا يتجاهل القرارات الصادرة عن قضاة الملك ، او ان المحلفين (كان هناك هيئة المحلفين حتى في ذلك الوقت) ربما كانوا يخشون ان يصدروا احكاما ضد هذا البارون ، وهكذا قد نما في انجلترا عمل مكن كل انسان — لم يكن يستطيع او اعتقد انه لا يستطيع ان ينال العدالة — من ان يستانف لدى قاضي القضاة. وفي اول الامر كان المستشار (Chancellor) بنفسه يبت في القضية ، او يعرضها امام الملك او مجلسه الاستشاري ، ولكن في سنة 1474 كانت هناك قد اسست محكمة خاصة تسمى ديوان المستشار (the Chancellor's Court) و المحكمة العليا الاستشارية (the High Court of Chancery) لتفصل في بعض القضايا ، وقد استمر ديوان المستشار قائما حتى سنة 1873 فاستغرقت قراراته 399 سنة ، وتأسس بذلك القانون الانجليزي للعدالة the English code of Equity وهكذا في سنة 1873 كان كل قضاة المحاكم العليا قد تمكنوا من القدرة التي يتصرفون بها حسب العدل (Equity) وكانت المحكمة الخاصة (the special court) قد الغيت رسميا ، والواقع ان خليفها القسم الاستشاري للمحكمة العليا (the Chancery Division of the High Court) يقوم الآن بكثير من الاعمال التي اعتاد ديوان المستشار (the Court of Chancery) ان يقوم بها ، وهناك قضاة مستشارون خاصة ، والقضايا الرئيسية التي يفصل فيها هؤلاء القضاة المستشارون اليوم هي :

ا — تدبير املاك الذين توفوا

ب — تنفيذ الوقوفات

ج — العناية بالصغار (القاصرين الذين هم دون الحادية والعشرين) وحماية ممتلكاتهم .

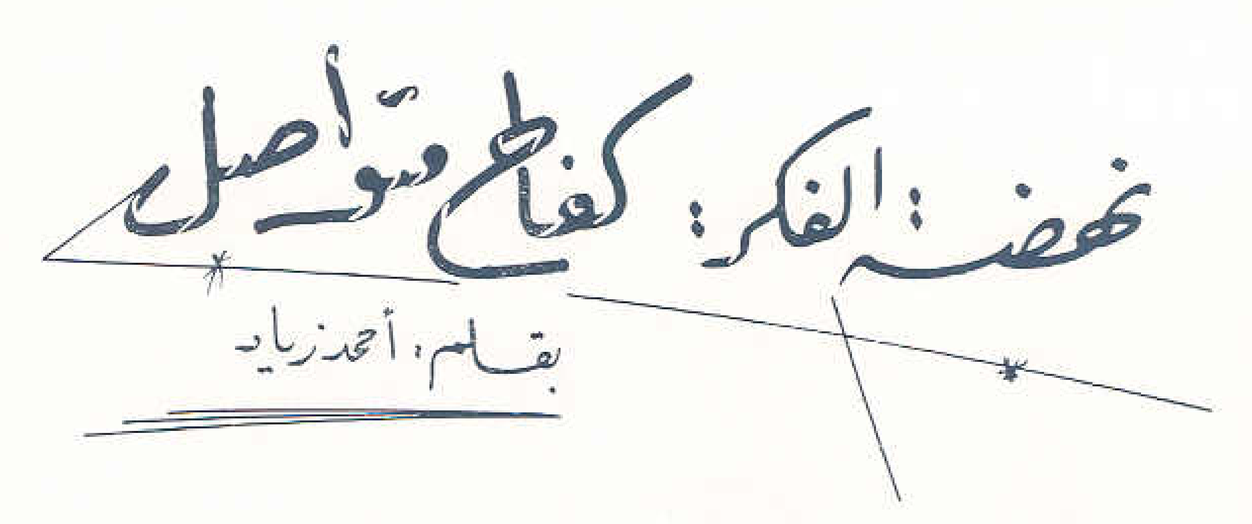
الوصية والطلاق والبحرية :

كان تحقيق الرغبات (الوصية) وسماع قضايا الطلاق الى سنة 1857 مما تختص به الكنيسة في انجلترا ومحاكمها الخاصة .

اما النزاع حول السفن في عرض البحار ، والاصطدام ، والقرصنة ، والنزاعات الاخرى في البحار او الانهار فكل ذلك اعتيد ان تبت فيه محكمة ديوان البحرية (the Court of Admiralty)

واليوم صارت هذه الميادين الثلاثة من القانون يباشرها قسم من المحكمة العليا يسمى قسم الوصية والطلاق والبحرية (the Probate, Divorce and Admiralty Division)

(يتبع)



ترتفع الاصوات من حين لاخر مستنكرة هذا الجمود الفكري الذي نحياه ونعيشه ، وتستعرض اسباب هذا الجمود ودواعيه في شيء من الافاضة حينا وفي شيء من الايجاز في احايين اخرى ، وتستعرض الحلول التي من شانها ان تخرجنا من هذا الجمود وتجعلنا نعيش في حياة فكرية مشرقة ، ومهما اختلفت العروض وتباينت الحلول فان الشيء الذي يتفق عليه الجميع وناخذه على انفسنا بل ونواخذ نفوسنا به هو اننا نعيش في جمود فكري ، وان عزائمنا في هذا الباب لم تتجدد وحتى انها لتكاد تكون عزائم فاترة لا يزيدها مرور الايام الا فتورا على فتورها .

والحقيقة اننا نعيش في جمود فكري ، والحقيقة ان لهذا الجمود الفكري عوامل واسبابا ، ولعل من اهم هذه الاسباب هو ان روح الكفاح التي كانت تحدونا فيما قبل لان تبدد ذلك الجمود الذي كان اعداء الحرية الفكرية في بلدنا يفرضونه فرضا علينا ـ هي التي خفتت في نفوسنا ، ومهما يكن للاسباب الاخرى من تاثير في هذا الجمود فان انخفاض مستوى الحرارة في هذه الروح هو السبب الاصيل ، فالنهضات الفكرية لم تقم دعائمها في شعوب فتية بما يمكن للدولة ان تقدمه اليها من تشجيع ومساعدات ، وانما قامت النهضات الادبية مثلما تقوم كل رسالة من رسالات الحق والخير والفضيلة التي بذلها المفكرون المكافحون الذين ناضلوا طويلا وما هانوا وما استكانوا وما ضعفوا في اداء هذه الرسالة ، ويحدثنا التاريخ في كثير من فصوله وفي شيء غير قليل من الاسهاب عن هذا الكفاح ويقدم لنا صورا من النضال المرير الذي خاضه المفكرون لاداء هذه الرسالة اسهاما منهم في رفع مستوى شعوبهم ، وتعترضنا من حين لاخر عند قراءتنا ، لهذه الفصول صور من هذه العوائق التي كان اعداء حرية الفكر ونهضته يضعونها في طريق المفكرين عسى ان ييأسوا وعسى ان ينضب معين قرائحهم فيكون مثل هذا الجمود الفكري الذي نعيشه ونشتكي منه ونظهر اننا متبرمون منه غير راضين عنه ويحدثنا التاريخ كذلك ان جهود المفكرين كانت تصاب احيانا بخيبة وتمنى بما يشبه الفشل ، ولكن المفكرين الذين كانت روح الكفاح قوية في نفوسهم لم يسأموا ولم يستسلموا او لم يكونوا ليياسوا ويستسلموا، فكتبوا بنات افكارهم في مسودات ورقعات رديئة ونشروا افكارهم بكل وسيلة ممكنة ، فكانوا يلقنونها للرواة ليذيعوها ويروجوها ، وكانوا ينجحون كل النجاح او بعض النجاح في جعل الناس يشتغلون بشؤون الفكر والثقافة وكانت النوادي الفكرية تعقد في المنازل وفي المتاجر وكانت النشرات تصدر عنها في غير زخرفة وبدون اخراج فكان مما لابد منه بد ان يشغل الناس بامر الفكر ، وكان مما لابد منه ان يصبح النشاط الفكري جزءا لا يتجزأ من الحياة الاجتماعية وكان مما لابد منه ان يخضع خصوم الفكر للامر الواقع ، حتى اصبح للفكر تاثيره الذي لا يمكن التغاضي عنه لانه اصبح حقيقة واقعية في حياة الناس، ويحدثنا التاريخ الفكري عن عصر النهضة الفكرية في ايطاليا ـ مثلا ـ فيذكر لنا كيف كان دكان الحلاق « بوتشيني » في مدينة البندقية منتدى الادباء والشعراء ، وكيف كان بعض الادباء يتبادلون فيه الاراء الفكرية فيحملها الزبناء الى الشارع لتروى وتذاع .

ويحدثنا تاريخ الفكر في فرنسا كيف كان دكان الاسكافي « بورمان » يكون ندوات فكرية ، تنتشر منه الافكار الحية الواعية في مختلف شؤون الفكر والثقافة حتى ان الاسكافي «بورمان» نفسه قداسهم في هذا الكفاح

الفكري وكان لهذا النادي اثره في الحركة الفكرية وفي توسيع نطاقها .

لقد استطاع المفكرون غربا وشرقا في ايام خلت ان يكافحوا وان يواصلوا الكفاح في غير توان ، ولقد كان ذلك ممكنا يوم ان كانت وسائل النشر والاذاعة ويوم ان كانت الامكانيات محدودة وفي غاية ما يمكن ان يكون عليها الضيق . وسيظل التاريخ البعيد والقريب يقدم لنا دروسا في كثير من المشاكل التي تعترضنا ، فالمسالة اذن بالنسبة لهذا الجمود الفكري انما هي مسالة بعث روح الكفاح في نفوسنا ، خصوصا وقد اثبت التجربة في تاريخنا القريب اننا قادرون على خلق نهضة فكرية ، ذلك لاننا كنا ونحن في ظروف عسيرة استطعنا ان نضع نواة لنهضة فكرية ما تزال بعض صورها تشهد في تاريخنا القريب باننا قادرون على الخروج من هذا الجمود الذي ربما تكون قد اخترناه اختيارا لحياتنا الفكرية ، ولئن كان النشاط الفكري في عهد الاستقلال قد اعتراه ضعف ثم توالى هذا الضعف حتى اصبح جمودا فان مرد ذلك اولا وبالذات الى اننا فقدنا روح الكفاح التي كنا نصاول الاستعمار ونتحداه بها ، فكنا نصدر المجلة الادبية براس مال مضحك بسيط وكنا نطبع في مطابع تكاد تكون بدائية . وكنا نكتب ونقدم ما نكتبه للرقابة الفرنسية وكانت هذه الرقابة لا توافق في كثير من الاحيان على نشر ما نكتبه وكنا نتحداها ونعيد الكرة فنكتب ونقدم ما نكتبه لها ، وكان هدف الرقابة الفرنسية ان تجعلنا نستسلم ونياس ليخيم على حياتنا الفكرية جمود تام ، وبعبارة اخرى اوجز كنا في صراع مع العوائق والمثبطات فانتصرنا عليها حتى يئست هي فرضخت للامر الواقع .

قد يقول البعض ان ما كان يكتب في تلك الفترة لم يكن في كميته ولا في كيفيته شيئا يذكر بالنسبة لما تتطلبه حياتنا الفكرية اليوم ، وذلك باعتبار مظاهر التطور التي اصبحت عليها شؤون الفكر الثقافية ، وهذا صحيح ، ولكن المؤسف هو اننا لم نستطع في عهد الاستقلال ان نجاري مظاهر هذا التطور فظلت شؤوننا الفكرية حيث هي ، بل ان البعض من الناس يقولون انها ربما تكون قد تاخرت قليلا عن المكان الذي كانت تقف فيه ، وايا ما يكون التعليل الذي نعلل به هذا الجمود الفكري فاننا نرجع في خاتمة المطاف الى العلة الاصلية التي هي ضعف روح الكفاح في نفوس بعض الادباء المثقفين ، وعدم وجودها بتاتا عند البعض منهم .

لقد اصبحت اجتماعاتنا الدورية عبارة عن صرف الوقت في اشياء تافهة ، واحيانا تكون سخيفة ، واصبحت احاديث السمر في بيوتنا مملة لانها تدور حول اشياء تافهة ، وانصرف الذين كانوا يقرؤون عن القراءة انصرافا مزعجا، بينما لم يقبل المثقفون المحدثون عليها ، ويضاف الى كل ذلك عامل آخر الا وهو خلو حياتنا العامة من روح الحياة الاجتماعية التي تجعل افراد الشعب يكيفون حياتهم باشكال مختلفة تجعل هذه الحياة تتسم بشيء من التنوع وذلك مثلما تتسم الحديقة الغناء باشكال وانواع من الازهار ، ومن مظاهر الجمود في حياتنا الاجتماعية ان الاغلبية منا تنصرف باجمعها الى نوع واحد ، فالهواية الوحيدة التي يتجه اليها البعض تنساق اليها الاغلبية دون روية او تفكير ، فالنوادي التي وجدت عندنا تكاد تكون كلها على شاكلة واحدة ، ولذلك يلاحظ انها من القلة حتى انها لاتكاد تذكر ودوائرالتوجيه في اجهزة الدولة لاتقوم باي نشاط فكري سواء اكان ذلك من اختصاصها أم لا ، وهذا بعض ما ساعد على استمرار هذا الجمودالفكري، على ان من رسالة المثقفين ان يكافحوا لازالة هذا الجمود وان يحاربوه في جميع الواجهات وان يكون كفاحهم يتسم بالاستمرار والمثابرة .

ويقول البعض من ادبائنا ومفكرينا انهم لا يكتبون لانهم لا يجدون من يقرا ما يكتبونه ، وفي رايي ان الامر يختلف باختلاف صور الانتاج ، فاذا قدمنا للقراء المغاربة انتاجا يوافق ميولهم ويراعي مستواهم فاننا ولا شك نجد من يقرا وما الاحجام عند المحاولات الاولى في هذا الباب سوى احد الادلة على ضعف روح الكفاح عند المفكرين في بلدنا .

فلنكتب مثنى وثلاث ورباع ولنواصل الانتاج مع مراعاة مستوى المستهلك – كما يقال بلغة الاقتصاد – واعتقد اعتقادا يكاد يكون جازما باننا سنجد هذا المستهلك وسيجدنا هو ، لاننا في هذه الحالة سنظل نبحث عنه وسنظل ننتج له ما يتناسب مع قدرته الاستهلاكية حتى نتمكن من ابتلائه بالقراءة ، اما الذين يكتبون وينتجون دون الاخذ بهذا الاعتبار فهم الذين قد لايصادفون المستهلك رغم تعدد المحاولات ، ويجب كذلك ان نتردد الى الحلاقين والاسكافيين مثلما كان يفعل الادباء المكافحون الذين استطاعوا ان يقاوموا الظروف وينشروا نور الثقافة لننتج ادبا يعبر عن احساس الجمهور القاريء ، ان

اصول الثقافة والفكر هي بدون شك لاتكاد تختلف عند كثير من الامم والشعوب ، ولكن رسالة الاديب او كفاحه باصح تعبير يتحصران في تكييفها وصياغتها في قالب يمكن القارىء من اكتساب القدرة على استيعابها والاستفادة منها ، وهذه هي رسالة الادباء والمفكرون في هذا البلد ، انها رسالة تحتم عليهم العمل والاستمرار فيه ، وتحتم عليهم كذلك ان يكونوا مكافحين ، والكفاح لايمكن الحصول منه على مكاسب ايجابية في جولة او جولتين ، بل لابد فيه من تعدد المحاولات ومواصلة الجولات ، ولا بد فيه كذلك من اعتبار الجماهير التي يرمي الفكر الى خلق وعي صحيح بين مختلف طبقاتها ، ولئن اشرت الى بعض صور من تاريخ الفكر القديم في مطلع هذا المقال لأدلل على صدق هذه النظرية فانه من تمام الفائدة ان اشير الى بعض الصور من تاريخ ادبنا المعاصر وليكن هذا المثال من قطر عربي ، ولاضرب لذلك مثلا بانتاج الكاتب نجيب محفوظ انه انتاج يتلقاه المستهلكون سواء في الاقليم الجنوبي او في الاقليم الشمالي وفي اقطار عربية اخرى بشيء غير قليل من الشوق ، ويلاقي انتاج الكاتب احسان عبد القدوس مثل هذا الاقبال ، ذلك لان انتاج هذين الكاتبين يتجاوب تجاوبا عميقا مع نفسية القراء ولئن كنت شخصيا لا اقر بعض آراء السيد احسان عبد القدوس فانني اقدر فيه الكاتب المتشبع بروح المجتمع الذي يعيش فيه ، واقدر فيه كذلك عظمة روح الكفاح التي تتجلى في آرائه واستنتاجاته ، واتمنى ان نتمتع جميعا بشيء من روح هذا الكفاح الذي يكلل دائما بالنجاح التام ، ذلك مثال واحد من تاريخ الفكر الحديث يضاف الى المثال الذي قدمناه من تاريخ الفكر القديم ، ومن خلالهما تتجلى الحقيقة التي لابد من الاعتراف بها والايمان بها ايمانا قويا والعمل بمقاييسها حتى نستطيع تبديد هذا الجمود الذي نعترف بوجوده جميعا ولا نرضاه لان يكون صورة من صور حياتنا العامة في عهد الاستقلال.

اما دور الدولة في مقدمة هذا الكفاح فهو يحتاج الى مهمة اخرى تعزز هذا الكفاح حتى يسود الوعي الثقافي في هذه البلاد .

الجد هذا وقته

يا رجال الجد هذا وقته
آن ان يعمل كل ما يرى
ملجأ او مصرفا او مصنعا
او نقابات لزراع القرى

حافظ ابراهيم

المكتبة المغربية وذخائرها

للاستاذ سعيد اعراب

كان المغرب ولا يزال غنيا بكنوزه العلمية ، وآثاره التاريخية ، وآية هذه المكاتب المتسعة الارجاء المنبثة هاهنا وهناك في حاضره وباديته ، في مدنه وقراه

تلك المكاتب التي تزخر بالعدد العديد من آثار المؤلفين مغاربة واندلسيين لا يعرفهم التاريخ المقروء بيننا ولا يذكر من اعمالهم شيئا ، وليس الذنب ذنب التاريخ ، وانما الذنب ذنب الآباء الذين اضاعوا آثارهم الفكرية واعمالهم الانسانية .

تلك آثارنا تدل علينا   فانظروا بعدنا الى الآثار

وان من آفات العلم والجهل والاهمال ، حقا لقد خلفت المكتبة المغربية تراثا خالدا ، وكنزا ثمينا ، وكانت ولا تزال حافلة بآلاف المخطوطات العربية ، والاعلاق النفيسة التي ربما لا توجد في غيرها من مكاتب العالم ، حتى انه ليذكر بعض المختصين في هذه الناحية ان مكاتب المغرب من حيث قيمة مخطوطاتها تلفي في الدرجة الثانية ان لم تكن في الدرجة الاولى .

ولكننا ـ مع الاسف ـ نجهل عنها كل شيء ولا نعرف ولو احصائيات بما نملك من هذه المخطوطات وناسف اكثر اذ نرى جل هذه المكاتب مبعثرا في شتى البقاع ، مغمورا في زوايا الاهمال مقبورا في خزائن رثة ، واماكن غير مناسبة ، مهجورا من القريب والبعيد ، بل هناك قسط كبير على حالة يرثى لها ، وخصوصا المكاتب الخاصة ، واعني بها مكاتب الزوايا والمساجد ، فقد تراكم الغبار على رفوفها واثرت الرطوبة في اكثرها، وعاثت فيها الارضة فسادا، وكأني بها تناديننا انقذوني ، انقذوني ، ولا من مجيب !

ولا نبالغ اذا قلنا ان اسعد مكاتبنا حظا ما كان عليها امناء يتفقدون احوالها ، وينفضون الغبار عن وجوهها وربما فتحوا لها الابواب والنوافذ فتستنشق الهواء ، وذلك غاية ما يستطيعون .

اما تنظيمها وفهرستها ، اما دراستها ونشرها، اما جعلها منار اشعاع تنير السبيل امام الباحث والدارس ، والقارىء والكاتب ـ فذاك ما نأمل من كل قلوبنا ان تتجه اليه عناية المسؤولين .. اننا نعتقد ان تاريخ المغرب لم يكتب بعد ، وان هناك اخطاء واخطاء فيما كتب او يكتب ، وان المكتبة المغربية هي وحدها تستطيع ان تكتب هذا التاريخ ، وهي وحدها تستطيع ان تصحح هذه الاخطاء ، وتزيل ما الصق به من هنات .. واليك بعض الامثلة :

1) قرات لبعض المستشرقين ممن كنت اظن به الاطلاع الواسع في تاريخ المغرب وشؤونه الفكرية ـ في بحث له عن شعر المتنبي ، واثره في المغرب الاسلامي ـ قال : (انه لم يكتب اقل شيء عن المتنبي في المغرب الاقصى بعد عبد العزيز الفشتالي) ـ ونحن نقول له ان في المكتبة المغربية كتابات وكتابات عن المتنبي بعد عبد العزيز الفشتالي حتى ممن عاصروا الفشتالي نفسه ، فقد وقفت في بعض مكاتب تطوان على تأليف (مخطوط) لابي جمعة المراكشي المعروف بالماغوسي ، المتوفى في حدود (1020) وهو كتاب (مقدمة ترتيب ديوان المتنبي) جمع فيه من شعر المتنبي كل شاذرة وباذرة واستوعب كل ما قاله وروى عنه رواية صحيحة ورتبه على حروف المعجم عند المغاربة ، وهو ترتيب له فلسفته ومغزاه ، يمهد فيه لكل قصيدة ، ويذكر تاريخها ، والاسباب التي قيلت من اجلها وقد قدم لهذا

الديوان بمقدمة شرح فيها باسهاب الاسباب التي جعلته يقتحم هذا الميدان ويشير في هذا الصدد الى ان السلطان ابا العباس المنصور الذهبي هو لذي كلفه بهذا العمل على عادته مع رجال الفكر من اهل دولته ، وهو نفسه وضع له الخطة بعد ان هيا له كل الوسائل وجمع له من الاصول والدواوين الشعرية ما لم يتهيأ لغيره ، ثم يذكر ان بعض معاصريه حاول هذه المحاولة ولكنه اخفق ، وكأنه يعني بذلك معاصره الفشتالي الآنف الذكر ثم يحلل الاغراض الشعرية التي عالجها المتنبي ، ثم ينتهي بترجمة الشاعر احمد بن الحسين المتنبي ، وهنا يجب ان نشير الى ان الاديب الماغوسي هذا كان من العلماء الافذاذ الذين كان لهم مكانهم المرموق في بلاط المنصور السعدي ، لما كان يتحف به بين الفينة والاخرى الخزائن المنصورية من المؤلفات العلمية ، والابحاث التاريخية والادبية ..

ويوجد على هامش الديوان تعاليق يرجع اكثرها الى السرقات الشعرية التي كان يتهم بها المتنبي ، والتي كان يجيب عنها فيقول : الشعر ميدان ، والشعراء فرسان ، فربما وافق الخاطر الخاطر ، كما يقع الحافر على الحافر . ولعل هذه التعاليق للمؤلف نفسه .

وقد قارنت هذا الديوان وما طبع اخيرا من الدواوين المشروحة وغير المشروحة حتى التي اضيفت اليها زيادات شعر المتنبي لعبد العزيز الميمني فالفيت فيه من القصائد والمقطعات الشعرية ما يربو على العشرين لا توجد في غيره من الدواوين على ان المؤلف نفسه يشير الى ذلك في غضون الكتاب فيقول مثلا هذه قصيدة لم تثبت في اصل الديوان وثبتت في النسخ المتداولة ، وهذا شعر لم يثبت في الاصول المنتسخ منها وثبت في اصل كذا وهذه ابيات لم يروها اكثر الرواة ، وجاءتنا من رواية كذا وما الى ذلك من اوجه الرواية وصيغ الاسناد التي امتازت بها كتب الاقدمين ، والتي كان لابد منها في اخذ العلم وروايته حتى في الادب والشعر ، وكان من سنة السلف ان لا يقبلوا رواية شفوية او مكتوبة الا بسند يصلها بمصدرها لذا كانوا اصح منا علما ، واوثق فهما .. ولو ان الناس رجعوا الى هذه السنة لوفروا على الباحث وقتا كبيرا ، ولخففوا عليه من عبئه الثقيل الشاق ومهما يكن من امر فان هذا الديوان الذي يحمل شتى المزايا جدير كل الجدارة بالنشر والتحقيق وان المكتبة العربية احوج ما تكون الى مثل هذه الاصول التي كلفت اجدادنا ثمنا غاليا .

2) ورايت الذين يؤرخون الادب العربي على العموم ، والادب الاندلسي على الخصوص يضربون صفحا عن حياة الشاعر ابي البقاء الرندي خاتمة ادباء الاندلس (684/601) ولا يعرضون – لا في قليل ولا في كثير – لانتاجه الفكري وحياته الادبية حتى اذا جاء في كلامهم ذكره جاء عرضا ، واتوا به في غير موضعه ، وادرجوه في عصر غيره ، واذا حاولوا ان يذكروا شعره لم يتجاوزوا قصيدته المشهورة التي بكى فيها الاندلس (الفردوس المفقود) وابكى المشرق والمغرب ، وكأنه لم يقل غيرها او لم ينتج سواها ويمكن القول بانه لولا هذه القصيدة لما عرف الناس الرندي كشاعر ، ولما ذكر له ذكر في سجل التاريخ ونحن نستطيع ان نقول لهؤلاء ايضا : ان في المكتبة المغربية – عن حياة هذا الشاعر الذي جهله الناس ، وجهلوا عنه كل شيء ، ومن انتاجه الفكري والادبي ما فيه الغناء كل الغناء ، ذلك : ان هناك عدة نسخ من كتابه (الوافي في صناعة القوافي) الذي سلك فيه مسلك ابن رشيق في عمدته ، وسايره في ترتيبه واكثر ابوابه وهو كتاب ضمنه فصولا مختارة في محاسن الشعر وآدابه ، وابوابا مختلفة في العروض والقوافي وهو الى ذلك يضم نماذج حية ، وصورا مشرقة من ادبه الرفيع ، واسلوبه الشيق ، تتجلى فيه روح الشاعر ، وعبقرية الاديب ، وسمو الكاتب ، وانك لتجده يتصيد الفرصة ، ويخلق المناسبة ليقول فيها شعرا او ليكتب نثرا حتى اذا تصفحت الكتاب – تجمع لديك ما يشكل باقة من شعره ، وما يرسم الوانا مختلفة من نثره والى جانب ذلك فقد اورد فيه لادباء مغاربة واندلسيين شعرا كثيرا من ذلك قصيدة في الغزل للشاعر المغربي مالك بن المرمل وهي من عيون الشعر قال في مطلعها :

طاف الخيال بوادينا زارا
الا وواقع سرب النوم طارا
لا ذنب للنوم بل للعين تدفعه
بل للحشا بل لمن حشا الحشا نارا
لا آخذ الله احبابي بما صنعوا
ان الحبيب لمحبوب وان جارا

وهذه القصيدة من اصيل شعره الذي لا تعرفه كتب الادب . ويبدو ان الشاعر الرندي عاصر طائفة من ادباء المغرب ، وقارضهم الشعر ، ومن يدري ؟ فلعل ابا البقاء عاش بالمغرب ردحا من الزمان ، فهذه قصيدة مطولة يتحرق فيها شوقا الى مسقط رأسه (رندة) قال انه قالها وهو بمراكش وهذه بعض ابيات منها :

بلغ للاندلس السلام وصف لها
ما بي من اشواق وبعد مزار
واذا مررت بـ «رندة» ذات المنى
والراح والديموس واللوزار
سلم على تلك الديار واهلها
فالقوم قومي والديار دياري

ومع هذا فاننا نجهل تماما هذه الفترة من حياته التي قضاها بالمغرب ، وغاية ما نستطيع ان نقول انه قلما تجد في هذا العصر عالما واديبا بالاندلس لم يزر المغرب او بالمغرب لم يزر الاندلس . ومن اغرب ما قرات لصاحب قصة الادب في الاندلس ان القاضي عياض وجماعة ممن عبروا البحر الى الاندلس في مناسبات يعتبرون — في نظره — من اعلام الاندلس (لا المغرب) لانه لم يذكرهم فيمن ذكر من ادباء المغرب الذين لا يتجاوز عددهم رؤوس الاصابع (في قصته) . فليكن ذلك وليكن الشاعر الرندي ايضا من ادباء المغرب لانه عبر البحر الى المغرب .

ومن كتب الرندي التي احتفظت بها المكتبة المغربية — كتاب « روضة الاندلس ونزهة النفس » الذي كتبه برسم السلطان محمد بن الاحمر وهو مجلد كبير في تاريخ الاسلام والخلفاء الراشدين ، والدولتين الاموية والعباسية .

وربما كان له غير هذين الكتابين ، ولكن الذي اريد ان اقول هو ان كتابه الوافي ، الذي احتفظت به المكتبة المغربية بعدد من نسخه — يستطيع ان يفي بحاجة للباحث او على الاقل يصح ان يعتبر المفتاح الاول لدراسة حياة ابي البقاء الرندي الذي لا تزال مغمورة حتى الآن .

(يتبع)

الاحتياط في السلوك

اعلم ان بعض العطية لؤم ، وبعض السلاطة غم ، وبعض البيان عي ، وبعض الحلم جهل . فان استطعت ان لايكون عطاؤك جورا ، ولا بيانك هذرا ، ولا علمك وبالا ، فافعل .

عبد الله بن المقفع

صيانة الوثائق وأهميتها في التاريخ

بقلم : محمد كليطو

— 1 —

الوثائق جمع وثيقة ، يدل معناها على ما وثق صاحبها — اعني — كاتبها من اخبار او نص قانوني وغيرهما قد حرر في ابان حوادثها ثم يستند عليها فيما بعد كل من يتوقف عليها او اراد الرجوع اليها ، والوثيقة تتعدد اصنافها كما تختلف فنونها . وما هو موجود الآن من وثائق جله من الورق — الكفيط — او زق الغزال او على جلد آخر كان يستعمل للكتابة قبل ظهور الورق ، وكذلك توجد وثائق على البردي (Papyrus) ومنها المنقوش على صفائح معدنية كالذهب والفضة والبرنز والرخام والحجر والخشب الـخ .

والمؤرخون كثيرا مايرجعون الى هذه الوثائق نفسها اذ هي بمثابة المصدر الوحيد التي يستمدون منها دراساتهم التاريخية في شتى مختلف النواحي سواء منها الثقافية أم السياسية او العلمية ، وعليها ترتكز الحقائق في جميع العلوم والفنون المختلفة وكذا تقارير ادارية وما شابه ذلك ومن حقي ان اتساءل ، متى تكون رهن اشارة كل من هو باحث ليطلع على ما فيها من اخبار سؤال اذ نجد جوابه ولا شك عند من يقدر اهميتها ويعرف مدى دورها الخطير الذي تلعبه في اثبات تاريخ امة من كل ناحية سواء كانت اقتصادية ام اجتماعيـة .

والوثائق اذا كانت موجودة عند الامة لا تكون مرعاة الا اذا كان يشملها النظام ، مصونة عند الدولة يحافظ عليها مسئول وتسهر عليها وزارة التعليم على الخصوص وتجعل لها قواعد وانظمة للمحافظة عليها ليستفيد منها المجتمع . لكنها اذا كانت في طي الاهمال فان المرء لايجني منها نفعا مهما كثر عددها . فهي قد تكون عرضة للتلف والاختلاس والحريق ، ولنفرض انها سلمت من هذا وذاك ولم يقع لها اي حدث من الاحداث فهي لاشك عديمة الجدوى وليس لها اعتبار بل هي ككومة غبار واوراق مبعثرة لايستفاد منها والكثير منها يتلاشى ويندثر .

اذا فعلى الحكومة ان تعير لها كامل الاهتمام وتبذل اقصى الجهود لصيانتها وجمع شتات هذه التراث المركومة بعموم الادارات والطائش منها عند عامة الناس ، لان هؤلاء عادة يملكونها فمنهم من يصونها فترة من الزمان ثم تبقى بعد موتهم للارث وتوزع كيفما تم النزاع بين التوالي وكل هؤلاء لا يحسب لها قدرا ولا يعرف ما لها من مزايا ، ومن قيمة عند الاجيال المقبلة والوارث غالبا لا يحافظ الا بدريهمات او عن مافيه نفع كرسم عقار وعقدة رهن او شجرة نسب او مرسوم الافتخار لعائلته وما سوى ذلك مآله غير مصون ولا مضمون ، فالابن له نصيب والبنت لها حظها ، وهكذا بين الاحفاد تتوزع الوثائق بدايتها عند الاول ونهايتها عند الاخير والكل يجهل ما فيها ، اما مصيرها من جد الى اب ومن اب الى اتون الحريق متى اراد احد منهم ان يحمي حمامه ومثل هذه النكبات ليست بظاهرة غريبة في تاريخ الوثائق فمنذ فجر التاريخ والكتب تهمس لنا عن احداث مماثلة لهذا النـوع .

ومتى كانت الوثائق محفوظة والحكومة تسهر عليها لتنميتها وتجمع شتاتها فلا خوف عليها والفائدة منها قد تكون مضمونة لا محالة في ذلك

ولقد وصف التاريخ في كل عصر : ان الامم التي تقدمت وتركت مدنية وحضارة قد صانت الوثائق من التلف وادخرتها لغيرها تستمد منها ما سلف من علوم وفنون . وكلما ظهرت وثيقة نادرة وعريقة في القدم كانت معروفة ام مجهولة الا ويعلق عليها اهمية كبرى فيسال عنها كل باحث وتصبح موضوع الدرس والتحليل والنقد والتعليق بعدما كانت في طي الخفاء ويتمخض عن ذلك نشاط في شتى الميادين الثقافية .

وقد شهدت بمتحف لوفر اثناء تدريبي مع زملائي بدار الوثائق الوطنية ـ وثائق قديمة جدا على رق الغزال واخرى على ورق البردي حجمها يتراوح ما بين ستة وثمانية امتار على ستين سنتيمترا ، يرجع تاريخ كل واحدة منها الى عصر عائلات الملوك الفراعنة ـ (الاسرة السادسة عشر) وهذه الوثائق لازالت مصونة لم يؤثر فيها قدم الدهر شيئا ، ومع هذه الذخائر نفائس واشياء اخرى ثمينة منذ ذلك العهد ثم صور وتماثيل وهياكل منذ العصر الحجري .

وقد تساءلت وانا اتفحص هذه الوثائق وغيرها من الاشياء القديمة كيف كانت الامم تصون وثائقها منذ كان الانسان يعيش على البديهة وكيف استطاع الزمان الغابر ان لايمحو من قائمة الوجود الى يومنا هذا ، هذه التراث ، رغم انها لم تكن تتوفر على نظام او جمعية تحميها وتدرا عنها الاخطار .

الوثائق ليست هي الكتب

كانت الوثائق ولا زالت الى الآن اساسا ومصدرا لشتى الفنون وانا لنجد في بطون الكتب مرتعا خصبا مليئا بتاريخ الوثائق منذ نشأتها في العالم كله ، والغريب ان جل الناس يخلط بينها وبين الكتب ، فكلما عثر على خرم في بناية هدمتها الكوارث والاحداث الطبيعية الا واعتبر في نظر العامة خزانة كتب ، وشتان بين الوثيقة والكتاب ، فالكتاب يهدف لغاية معلومة وضع كاتبه فحواه بعد ما استقى مواده من مصادر خاصة ، وقد يتكرر نسخه ان لم يقع طبعه ويتداول بين ايادي الخواص والعلوم ثم يعرض في الاخير للبيع او يهدى من شخص لآخر ، وله انظمة خاصة بوضعه في الخزائن سواء كان مطبوعا او خطيا بينما الوثيقة على النقيض من ذلك رغم انها تشابه الكتاب وله تنتمي ، فهي تنفرد بلون خاص وقد يمكن ان تكون احيانا ادبية او علمية او تاريخية صرفة . فنجد الوثيقة مثلا عبارة عن صك او معاهدة دولية واوامر رئيسية خاصة لممثلي السلطة او نص حكم ومنها رسائل خصوصية ونبذ تاريخية لم يسبق لها نشر ، اذا اودع فيها صاحبها افكاره واحتفظ بها لظروف ما ، لانه يخشى النزعات المتطرفة عن نظرياته التي يمكن ان يرتب عنها ما لا تحمد له العقبى ، وكذلك السلطة قد لا تسمح في بعض الاحيان للكاتب ان يتجرا في حالة الطوارىء او ابان حرب باعلان قوله للملاء ، ربما قد يكون غير ملائم لتلك المناسبة ، ومثل هذه الوثائق تحتفظ بها الادارة وتتركها وشأنها للتاريخ ليتصرف فيها بحكمته ثم تحتفظ الادارة بسرها على الاقل مدة طبقا لقوانينها المقررة حتى لا تحدث هي ايضا في الاوساط مشاكل تنجم عنها اصطدامات بين طبقات الامة وفحول الكتاب من جهة وصرامة السلطة من جهة اخرى .

والوثيقة في نظام الادارة ليست كالكتاب ، فالكتب تعار من الخزائن بينما الوثائق تقرا بمركزها ولا تبارحه حتى لايقع فيها ضياع او بتر ومحافظها يحافظ عليها اكثر مما تحرص الابناك على الاوراق النقدية ، والوثيقة لها قواعد خاصة في الترتيب حتى لا تبتعد عن سابقتها في الموضوع .

نظرة وجيزة عن الوثائق

في مختلف العصور

كان الاشوريون يخزنون الوثائق في قصورهم ومعابدهم اهتماما به اومحافظة عليها وكذلك فعل الفينيقيون وقد تركوا لغيرهم من الامم من مستندات الشرق الاوسط وما كان عند البابليين ويوسف الصديق ملك مصر .

والعبرانيون جمعوا من الوثائق والذخائر شيئا كثيرا لايستهان به وكانوا يخزنونها ايضا في معابدهم كغيرهم من الدول السابقة ، لكن النيران قد التهمت كل ما اختزنوه عند ما احتل طيطوس مدينتهم ولم يبق منها شيء يذكر والمصريون القدماء قد اشتهروا بجمع الوثائق وصيانتها ولا زال الكثير منها موجودا في جل المتاحف العالمية .

وارض الكنانة ملئت متاحفها بالعدد الوفير من الذخائر النادرة والنفائس الممتعة ، فقد يخيل للزائر « على ما قيل لي » بانه ينتقل فجأة من عالمه الذي يعيش فيه الى عالم تلك العصور الغابرة التي كانت تطفى فيها الحضارة الفرعونية الخالدة

وكلما لمس المرء بيده وثيقة مكتوبة كيف ما كان صنفها او نوعها الا ويتشخص حينا عظمة ومجد تلك الامم التي استطاعت ان تصون للاجيال المقبلة هذه الوثائق والاشياء الاثرية التي هي بمثابة صرح متين شيدت فوقه حضارة مصر منذ ذلك العصر الى وقتنا الحالي .

وفي باريس بمتحف لوفر (Louvre) شاهدت اثناء زيارتي جناحا ضخما مملوء بهياكل حجرية من صنع المصريين يرجع تاريخها الى العصور الاولى الفرعونية ، كما شاهدت وثائق من الورق البردي لا ادري كيف نقلتها الايدي من مكانها الى عاصمة فرنسا التي صانتها وهي الآن تفتخر بامتلاكها على غيرها من سائر الامم . وقد يستطيع الزائر بالقائه نظرة على هذا الجناح ان يلم الماما تاما بتاريخ قدماء المصريين دون ان يرجع الى اي مصدر او مرجع لاستقاء المعلومات الضرورية عن هذا الرقي وهذه المدنية التي حققها الانسان في عصور لم تكن فيها موجودة هذه الآلات الاوتوماتيكية ولا هذه الطاقة الكهربائية التي سخرها العلم الحديث بمشيئة الانسان

ولقد استغرق طوافي في هذا المكان ـ متحف لوفر ـ مايزيد عن ثلاثة ساعات رغم انني اجهل جل ما فيه من مآثر استولت على مشاعري ، وقد يصعب على الزائر ان يحيط بها احاطة تامة نظرا لكثرتها ووفرتها ثم ان ضيق الوقت كان لايسمح لي بامعان النظر بتدقيق وذلك لتضخم عددها كما وصفته سابقا . والغريب ان هذه الاشياء في حد ذاتها ليست الا نقطة من ذلك البحر الزاخر الموجود بالوطن المصري الشقيق وبدون ريب ان بالكنانة ما يحير النفوس ويدهش العقول والعارف قد يستطيع ان يدرك مما وصفته الكتب بجميع اللغات ما تحتوي عليه دور الآثار المصرية التي لها مآثر جمة ووثائق لاتحصى ضمت خبر امم خلت ، فيما يرجع لعوائدهم وطقوس طبائعهم ثم عقائد دياناتهم ونظام احكامهم والعقود التي ابرمت بينهم ومع من تعامل معهم لنمو الاقتصاد وازدهار التجارة والصناعة والفلاحة وكذا تطور البيئات الاجتماعية عبر العصور .

وجل ما هو معروف من الوثائق السياسية والقضائية بمصر يرجع تاريخ قدمها الى عصر اخناطو

اما اليونان فقد دونوا تاريخ مصر القديم ونقلوه الى الاجيال التي اتت بعدهم من الوثائق المصرية التي عرفوها حق المعرفة ، فقد اخذوا منها كثيرا من العلوم واقتبسوا منها حضارتهم ، وهذا ما يدل على انهم تمكنوا منها واطلعوا على خباياها واسرارها ولولاها لما نقلوا الينا ملحمات ولا قصص ممتعة ومن تلك الوثائق عرفت الاجيال خبر مصر والاغريق وآثار حضارتهم .

وفي نهضة اثينا كلف مسؤول بصيانتها واهتمت الدولة بالوثائق غاية الاهتمام واسندت مهامها لوزير المالية وقام هذا الاخير بالسهر عليها بينما كان كل وزير يصون مستنداته وقتا ما في كل معبد من معابد المدينة ثم يسلمها للمنوط به حفظها ليضعها بدوره في مقره الدائم بالمعبد الكبير : سيبيل (Cybelle) او في معبد ديلفوس (Delphos) او اولومبيا (Olympia) ومن هذه الكنوز دونت وقائع تاريخية اثناء الحرب والسلم وعرفنا منها معاهدات ابرمت اذاك بين الدول وفهمنا من خلال ذلك نصوص الاحكام والقوانين السائدة اذ ذاك ونظام الادارة في تلك العصور ، وقد اتسع المجال لادباء الاغريق فتركوا لنا مصنفات وقصصا عديدة تتخذ شكل ملحمات تتخللها بطولة قام بها شجعان اغريقيون ثم اخبار اخرى تتصل بالمباريات الاولومبيا ونبذ تاريخية جمعت سياسة واقتصادا ونهضة الحركة الفكرية من الادب والاجتماع .

وروما نفسها نهجت ايضا نظام اثينا عندما شمخ فلكها واتسعت امبراطوريتها ، فكان وزير المالية في كل عصر هو المسؤول عن محافظة الوثائق من وجهة عامة ، وكان كل وزير يدفع بانتظام مستندات ادارية وفروعها الى امين المستودعات بعد اجل معين عن انتدابهما ليضعها في مقرها الدائم ومنذ ذلك الحين ابتكرت لها انظمة للترتيب وشرعت لها قوانين للمحافظة عليها .

غير ان هذه الطريقة لم تستمر ، فقد اقتضت مصلحة القياصرة بعد حين من الدهر استحوذوا عليها

وجعلوها في حوزتهم وتحت تصرفهم ، فكان القياصرة حريصين كل الحرص على ان لاتفارقهم لحظة حتـــى انهم كانوا يصحبونها في اسفارهم وفي حروبهم وكانهم بهذا يعدمون الثقة في اي احد يتركونها لديه ، فالقصيـر كان يفضل حملها معه مهما كان الامر ولو بتدميرها .

لقد سلكت ملوك العالم نفس الطريقة وتشبثت بها عبر العصور فكان الملك هو المتصرف فيها ولا يأتمن احد غيره عليها .

وفرنسا ايضا كغيرها من الدول كانت خاضعة لهذا النظام الى اواخر القرن الثاني عشر المسيحي اي حوالي سنة 1194 ، عندما انهزم الملك فيليباوجيست (Philippe Auguste) في واقعة فريتيفال (Fretival) وترك الوثائق وطابع ملكه لقاهره ريشارد كور دوليـون « قلب الاســـــد » (Richard Coeur de Lion) وكانت هذه الهزيمة خسارتها فادحة على فرنسا لا من المتاع والرجال فحسب بل من الوثائق التي كانت صحبة الملك ، وعلى اثر هذه الصدمة اضطرت فرنسا ان تنسخ كل ما ضاع لها في هذه الواقعة متى استطاعت ان تجد منه شيئا محفوظا بالكنائس او مؤسسات اخرى وكانت الاديرة والكنائس تدخـران بدورهما الوثائق . فقرر منذ ذلك الحين وضعها نهائيا بمقرها الدائم . « قصر لوفر » ـ المتحف الحالي بباريس ـ واقفل عليها في صناديق خشبية ولقبت انذاك : بالوثائق الملكية ثم صدر مرسوم بعدم السماح باخراجها او نقلها من مقرها مرة اخرى وكان هـــذا سبب في الاحتفاظ بكنز الوثائق في فرنسا التي تفتخر به الآن بين الدول ثم تنوه بصانعه اكثر مما تفتخر بالوثائق نفسها حيث الفضل يرجع لمن صانها وحافظ عليها ، فاخرجها من العدم الى الوجود بعدما كانت عرضـة لكل خطر واصبحت فرنسا اليوم ـ التي عرفنـا ذخائرها ـ تحتل مكانا مرموقا بين صفوف الامم الراقية ان لم اقل في طليعتها .

اعتناء الكنيسة بالوثائق

لقد لعبت الكنيسة دورا هاما في شتى الميادين ، وكانت تستمد نفوذها من الدين لتسيطر على السياسة والحكم اللذين هما من شؤون الملك والدولة وكانت تكسب بذلك سطوة في الحرب والسلم رغم وجود دولة على راسها ملك ، فهي التي تنصب الملك واعضاء الحكومة وترسم لهم الخطط الادارية وتتدخل في الشاذة والفاذة الى ان قامت الثورة الفرنسية في القرن الثامن عشر ، وجردت اسرة الكنيسة من النفوذ التي كانت تحتكره وتسخره لاستغلال السلطة المطلقة واستعباد الشعب . واقتدت دول الغرب المسيحية بفرنسا وثارت بدورها فتخلصت هي ايضا من حكم الكنيسة وسيطرتها .

ومن المعلوم ، ان الكنيسة كانت منذ قرون سائدة بسلطانها ولها ادارة فوق دولاب الدولة كما كانت بيدها نفوذ وميزانية ومقررات رسمية وسرية ثم مستندات منظمة جمعت كل فن ومطلب كما هو موجود ولا زال الى حد الآن بالفاتيكان « Vatican » وكانت الكنائس مصونة من كل خطر اجنبي او اعتداء ثوري داخلي، فلا يلحقها اي سوء سواء في الحرب او في السلم لكون اوروبا تتدين بالمسيحية وسكانها يحترمون الكنيسة فلا يسطو عليها اي مسيطر مهما كان طغيانه ولو كان لادينيا ، ولذلك نجت وثائق الكنائس من النهب والتدمير بالنسبة لما حدث في مؤسسات اخرى .

واذا ما وقع ضياع وثيقة في مكان ما وجد نظيرها

وعند قيام الثورة بفرنسا صدر مرسوم يامـر بتأميم الوثائق اينما كانت لفائدة الدولة والشعب ، ووجد بدور الكنائس نفائس لا مثيل لها وعددها قد يصعب تحديده او احصاءه من فنون وعلوم وتاريخ زد على ذلك رسوم عقار الكنيسة والاملاك الموهوبة من ذوي الاريحية في سبيل البر والاحسان ، ولقد استفادت الدولة والامة بكثير من هذه الاوراق التي كانت كالسيل الجارف وبرزت منها حقائق عن التاريخ كانت مجهولة من ذي قبل .

ولهذا البحث صلة سابعثها اليكم عما قريب بحول الله .

على هامش مؤتمر جنيف لقوانين البحار :

المغرب ومشاكل الحدود البحرية

بقلم : المهدي البرجالي

يثير وجود الدول كوحدات متمايزة كثيرا من المشاكل والتعقيدات التي تختلف صورها واشكالها باختلاف الظروف والاحوال والملابسات ، ومن بين هذه المشاكل والتعقيدات مشكلة الحدود الموجودة بين مختلف الاقطار والتي تكون بحق الفواصل الطبيعية والجنسية والسياسية وغيرها بلدان العالم وشعوبه ، وبقدر ما تتسم به الحدود بين الدول من اهمية بالغة – باعتبارها الاساس الضروري لتجسيد الكيان المادي الخاص لكل مجتمع انساني ذي واقع جنسي او ثقافي او سياسي معين – بقدر ما تثير من معضلات ومصاعب فى المحيط الدولي تقود احيانا الى نشوب النزاعات المسلحة ذات النطاق العالمي احيانا مثل الحرب العالمية الثانية مثلا .

وبما ان حدود دولة ما تعني – مبدئيا – مجموع المواقع التي تحدد نطاقها العام وتميز كيانها المادي عما عداها فان الحدود بهذه المثابة تشمل جميع نقط التجاور بين تلك الدولة وبين العالم الخارجي اي مواطن التماس بين اراضينا وبين ما يصاقب هذه الاراضي من دول اجنبية او جبال او بحار عامة او غيرها .

والحالة الاخيرة – حالة الحدود البحرية – هي ادعى الاحوال فى هذا الموضوع الى الالتفات والاهتمام بالنظر لما تثيره فى المفاهيم القانونية الدولية من مجادلات موصولة وما تحدثه فى الاسرة العالمية من مشاكسات ومصادمات صاخبة وحادة تصل احيانا الى مستويات عنيفة نسبيا .

وليس للمغرب – فى الواقع – ان يبقى بمعزل عن الاهتمام بالتطورات السياسية والقانونية التي تتصل بهذا الموضوع ؛ لانه يتوفر فعلا على جميع المبررات التي تدعوه لهذا الاهتمام من موقع جغرافي ووضع اقتصادي وارتباط سياسي وغير ذلك ، زيادة على ما يوجد – بصفة عامة – بين مشاكل الحدود البحرية وبين نظام البحار الذي يعني كافة الدول والشعوب ، من صلات ووشائج اصيلة وملحوظة فالخلاف الدولي حول الحدود المائية ليس فى جوهره الا جزءا من خلاف على مستوى اعلى ويتصل بنظام استغلال البحار العامة وما يثيره بين مختلف الشعوب من منافسات ومزاحمات متعددة الصور والاشكال، فالبحار والمحيطات وجميع المجالات المائية المشاعة فى العالم لم تكن نسبة الاهتمام باستغلال مواردها واستنفاذ امكانياتها فى حقبة من حقب التاريخ اعلى مما توجد عليه فى العصر الحاضر ، وهذا ما يفسر العناية البالغة التي تبديها مختلف الامم بموضوع قوانين البحار والروح الاستئثارية التي تحدو كل امة الى التماس اسباب الحصول على اوفر قسط من الامتياز فيها والسيطرة على اكبر حيز ممكن من مسافاتها وابعادها .

وقد كان من دواعي تضاعف الاهتمام بامر البحار وما اصبح لاستغلالها من ارتباط بمقتضيات التقدم الاقتصادي والمواصلاتي وازدهار الحياة المعيشية والاجتماعية بالنسبة لكثير من الاقطار ، فالبحار والمحيطات تتأكد صفتها – مع الايام – كمصادر هامة واساسية لاستخلاص انواع من عناصر الطاقة واستغلال كثير من الثروات الطبيعية على اختلاف الوانها واصنافها وتباين منافعها وصلاحيتها ؛ كما ان التقدم الفني الحديث ما فتىء يساهم فى تعبيد سبل هذا الاستغلال وتنويع اساليبه وتوسيع نطاقه وذلك فى اشكال عدة تختلف انواعها باختلاف الغايات والمرامي التي توجه كل جماعة وجهتها الخاصة ، فهناك مجال فى البحار للمعنيين بالدراسات الجغرافية والجيولوجية وكذلك للمهتمين بالتطبيقات العلمية والفنية وغيرها كما ان هناك فى البحار ايضا متسعا

للبحث عن مختلف الوان الثروة من استهلاكية وصناعية وترفيهية وطبية وغيرها ، بل ان الثروات البحرية باشكالها المختلفة هذه لم تعد موضوع عناية الافراد ومرتكز نشاطهم المهني الخاص فقط ، بل اصبحت الاستفادة منها — على اوسع نطاق — شأنا هاما من شؤون الدولة تستعين به في بناء هيكلها الاقتصادي وتستند اليه — بالتالي — في ضمان بعض الجوانب في ميزانياتها الاساسية او الاضافية ، فقد غدا النشاط البحري المرتبط بالسمك مثلا يؤلف نواحي هامة من الاقتصاد القومي لكثير من البلدان والاقطار وذلك كالمغرب الذي تعتمد فصول ضرورية من موازنته العامة على حركات اصطياد السردين وتعليبه وتصديره ونمت كمثال ايضا كثير من الاقطار الاخرى التي تتميز باحوال مماثلة ، بل ان من بين هذه الاقطار ما يكاد اقتصادها القومي ينحصر — بصورة اساسية — في نطاق الموارد الصيدية خاصة ، ومن امثلة ذلك : ايسلاندة ، تلك الجزيرة النائية التي يعتبر السمك قاعدة رئيسية في بنائها الاقتصادي الوطني سواء في ذلك ما يتصل بمستواها المعيشي الخاص او يتعلق بتطور تجارتها الخارجية ، وهكذا الشأن بالنسبة للصور الاخرى التي يتمثل فيها الاستغلال البحري كاستخراج الاحجار الكريمة او غيرها .

واذا كان امر البحار يعني بهذه الصورة عموم الدول والحكومات التي تحدوها اهتمامات علمية او مصالح اقتصادية او ستراتيجية او غيرها فانه يهم بصورة اخص الدول التي تتوفر على امتداد ساحلي خاص نتيجة لموقعها الجغرافي البحري او المحيطي ، فالامر بالنسبة لهذه الدول ليس فقط استثمارا او استغلالا بقدر ما هو امر حفاظ على الحوزة والحمى وتامين للذاتية والكيان ، ذلك ان الشواطىء كما هي منفذ للبحث عن الثروات واستخلاص المنافع والمصالح فانها تبدو كذلك مصدرا لكثير من المتاعب المعقدة بالنسبة للبلدان التي تنتسب اليها تلك الشواطىء ، ومن اهم هذه المتاعب ما يتصل بموضوع السلامة القومية التي هي مناط اهتمام كل شعب يهفو الى الحياة المتحررة المطمئنة الكريمة ، والسلامة القومية هنا يراد مفهومها الواسع الذي يعني الحفاظ على جميع العناصر التي تساهم في تامين استقرار البلد وضمان مصالحه وحقوقه وحماية مظاهر سيادته وكيانه وذلك في مختلف الظروف والحالات وبكافة الوسائل والاسباب .

ان تحقيق مبدا السلامة القومية هذا يقتضي التوفر على القدر اللازم من العناية بالسهر على الحدود ومراقبة كل ما يجري وراء هذه الحدود من حركات مبطنة او مكشوفة واستطلاع اهم ما يمكن ان تنطوي عليه هذه الحركات من استمالات حسنة او سيئة .

ومن البديهي ان الاضطلاع بهذه المهام يكلف الدولة — في الغالب — كثيرا من الاعباء الجسيمة ، غير ان هذه الاعباء تغدو اكثر جسامة اذا كان الامر مرتبطا بتامين الدفاع عن الحدود البحرية وضمان حصانتها ، ففي هذه الحالة يكون تامين السلامة القومية للبلد مهمة دقيقة وعلى جانب لا باس به من الصعوبة والتعقيد ، خاصة وان السواحل تشكل — في الغالب — مجال انطلاق لقدر من الاحتمالات المثيرة للاهتمام كثيرا .

وليس هناك من تحديد للحالات التي يبدو فيها وجود السواحل كأمر يثير مشاعر الحذر والاهتمام لان ما قد يترتب عن اهمال مراقبتها لا ينحصر في اطار معين من الاحتمالات ، بل ان هذا الاهمال يقود — في بعض الحالات — الى كثير من النتائج التي يوجد بعضها على نسبة من الاهمية والخطورة سواء في ذلك ما يتصل بالناحية المدنية او العسكرية .

فمن الناحية الاولى فان الشواطىء قد تغدو احيانا مجالا رحبا للنشاط التهريبي الذي يسهم — غالبا — في خرق الانظمة الاقتصادية للدولة بما يعين عليه من حركات تجارية غير مشروعة من بينها :

1) تهريب المواد المحظورة (الافيون مثلا) .

2) تهريب البضائع المقننة (بعض الوسائل الطبية غير المباحة مثلا) .

3) تهريب السلع غير المجمركة (التي لم تؤد عنها واجبات الجمرك) .

كما انه من الجائز ايضا ان تلعب الشواطىء دورا اساسيا في تنقل عدوى الامراض والاوبئة الوافدة من الخارج .

ان ثمة حالات كثيرة من تسرب الجراثيم الوبائية الى داخل بلد ما بهذه الصورة البسيطة ومن العادي ان يتم ذلك عن طريق النزول السري في السواحل دون اطلاع مصالح المراقبة البوليسية او الصحية وبالتالي دون لاحق تدخل منها .

وهناك غير هذا من الامثلة والصور الجائزة الوقوع والتي لها اهميتها واعتبارها في هذا المقام .

اما من الناحية الحربية فان الشواطىء تعتبر ذات اهمية استثنائية جدا في موازين التقديم عند الاستراتيجيين والعسكريين سواء في ذلك ما له ارتباط بالمقتضيات الدفاعية او ما يتصل ايضا بالترتيبات الهجومية ، فالامتداد الساحلي في قطر من الاقطار قد يجوز في بعض الحالات — وخاصة في حالة وجود حرب اقليمية او دولية — ان يكون مصدرا لكثير من المتاعب والصعوبات التي تمس جانب الامن والاستقرار في ذلك القطر ، فقد يفضي بها الامر الى ان تصبح منفذا مختارا للتسلل العسكري وخاصة ما يتصل منه باجهزة الاستخبارات والاستعلامات الاجنبية ، بل انها قد تكون احيانا ميدانا مفضلا لعمليات الغزو الاجنبي المفاجىء وما في نوعه كما كان يتم عليه الامر كثيرا في عديد من الحالات خلال الحرب العالمية الاخيرة ، هذا بالاضافة الى ما يمكن ان تحدثه البوارج المعادية من اضرار بالمناطق الساحلية اذا اتيح لها سبيل الاقتراب منها وخاصة في النقط التي توجد فيها ثغور او مواقع ستراتيجية هامة، وليس من ريب في ان هذه الاحتمالات تنطوي على كثير من امكانيات الوقوع وذلك في حالة الحرب التي تقع بين دول يوجد بعضها او كلها متوفرا على مواقع ساحلية الا ان هناك حالات اخرى قد تتعرض فيها الدولة الساحلية لآثار حرب قائمة ولو لم تكن تخوض غمارها بالفعل وذلك اذا كانت سواحل هذه الدولة تقع في منطقة العراك الدائر بين دولتين اخريين توجدان في حالة حرب .

وعلى هذا فيبدو بديهيا ان تأمين مبدا السلامة القومية بالنسبة لبلد ما يعد منوطا — في بعض الجوانب — بما يتوفر عليه هذا البلد من كفاءة في مراقبة المناطق الساحلية التي تكتنفه ، وكان من شان هذا بالطبع ان يركز التفكير منذ بعيد في هذا الموضوع الحيوي بكل ما له ارتباط بحياة الانسان وطمانينته واستقراره : موضوع الحدود البحرية ، وعلى الرغم من تشابك المصالح القومية المتناقضة وتعقد اساليب التعامل في مضمار الحياة الدولية العامة فان فقهاء القانون الدولي قد استطاعوا ان يستخلصوا من الاعراف والقواعد التي درج عليها الناس منذ بعيد مجموعات من الضوابط القارة التي تحدد علاقات الانسان بالبحار والمحيطات والتي لها الاثر العملي اليوم على تنظيم هذه العلاقات في اطارها الحالي ، الا ان صورة القانون الدولي في وضعه الراهن لا تحمل على النقيض من ذلك اية حلول حاسمة للمشكلة القانونية الاساسية .. تلك التي تتمثل في الخلاف الدولي الحاد حول تعيين الحدود البحرية ، ورغم ان الموضوع يهم على العموم مجموع اعضاء الاسرة الدولية فانه يمس على الاخص مصالح الاقطار التي تقع جغرافيا في مناطق بحرية او محيطة والتي لها —بالنتيجة لذلك— شواطىء ذات اهمية مختلفة ، لقد اثار الموضوع منذ بعيد انتباه الاوساط القانونية والدولية وغيرها ، ولم يكن هناك مناص من ان تتباين الاراء حوله وتتناقض في نتائج التقديم والتقييم ، لقد امكن للاتجاهات حقا ان تتلاقى على الاقل حول نقطة اساسية في الموضوع وهي الاعتراف بمبدا السيادة الوطنية لكل دولة على ما يجاور اقليمها من قطاعات بحرية او محيطة مباشرة وهذا ما يدعى في العرف الدولي بالمياه الاقليمية ، ولا غرو ان التسليم بهذا المبدا كان شيئا معقولا ومقبولا جدا ، ولكن هل كان مجرد التسليم بالمبدا سبيلا لحل المعضلات القائمة عنه ؟ والا فماذا يراد بمفهوم المياه الاقليمية بالتحديد الدقيق ؟ ما نسبة امتدادها في عرض البحر ؟ وكم يجب ان يندرج في مسؤولها من حجمه الواسع العريض .

لقد كان من الطبيعي ان يكون الموضوع — وهو بهذه الدرجة من الاهمية البالغة — محط التساؤل والاستفهام ، وكان طبيعيا ايضا الا يكون لهذا التساؤل محل معقول لو كان القانون الدولي ينطوي بالفعل على النصوص القارة التي تحدد الموقف الدولي العام من هذا المشكل ، الا ان الامر — في واقعه — يبدو على النقيض من ذلك ، فالمياه الاقليمية في مختلف انحاء العالم ليس لامتداداتها حد مرسوم او خط معلوم ، والآراء الفقهية في الموضوع تتباين فيما بينها كل التباين وبقدر ما يشتد الجدل والاختلاف على الصعيد النظري بقدر ما يتشعب هذا الاختلاف وتعنف مظاهره في الميدان العملي من الحياة الدولية العامة .

ويتركز الخلاف خاصة حول الحد الاقصى لامتداد المياه الاقليمية فهناك من الدول من يلتزم بمبدأ الحفاظ على ثلاثة اميال بحرية (خمسة كيلومترات ونصف تقريبا) كحد اعلى بينما يوجد ثمة من الدول الاخرى ممن لا يقر هذا الحد ويتجاوزه الى مدى اربعة او ستة اميال كاملة الامتداد ، هذا بالاضافة الى فريق ثالث من الحكومات ... تلك التي تستبيح رفع حدود مياهها الاقليمية الى مستوى اعلى من ذلك بكثير (اثنا عشر ميلا) .

وهكذا يتعقد هذا الجانب الهام من جوانب الحياة الدولية وتتضاعف موجبات تعقده كلما ازداد ارتباطه بالمصالح القومية المتضاربة واشتد تأثيره على هذه المصالح فى اشكالها المختلفة .

والواقع ان القضية خلال هذه السنوات الاخيرة قد تأزمت الى حد بعيد وزادها تأزما اصطدام المصالح الدولية فى ميدان الصيد البحري وخاصة بالنسبة لبعض الدول التي تعتمد فى بناء اقتصادها كليا او جزئيا على هذا القطاع الهام من الحياة الاقتصادية العامة ، ومن امثلة ذلك : النزاع الحاد الذي نشب اواره بين بريطانيا العظمى وايسلاندا حول استغلال مناطق الصيد بالقرب من المياه الاقليمية الايسلاندية فقد اعلنت حكومة ريكفا جيك (ايسلاندة) فى اواخر غشت 1958 عن قرارها القاضي بتوسيع حدود بحرها الاقليمي الى مسافة اثنى عشر ميلا ، ولم يكن القرار صادرا عن رغبة تحكمية بل انه كان ناشئا عن رغبة ملحة اقتضتها رغبة سكان تلك الجزيرة النائية فى حماية اسماك بحرهم الاقليمي من خطر البواخر الصيدية البريطانية ! ! الا ان المملكة المتحدة لم تتردد فى معارضة القرار الايسلاندي فكان ذلك سببا لمناوشات عنيفة بين الصيادين البريطانيين والايسلانديين كادت تؤدي الى المس باستقرار الحلف الاطلسي ، وكما نشب الخلاف بين بريطانيا وايسلاندة سنة 1958 على مشكلة الصيد وما لها من ارتباط بموضوع المياه الاقليمية فقد قامت ايضا من قبل كثير من حالات الخلاف الدولي حول جوانب قريبة من هذا الموضوع كانت تتفاوت فى نسبة الاهمية والخطورة ومن امثلة ذلك : الخلاف الفرنسي الانجليزي حول موضوع الصيد فى الارض الجديدة والخلاف الانجليزي الامريكي المتعلق بمشاكل الصيد فى بحر « بهرين » (1893) ولكن مثل هذه الخلافات كانت تفض فى الغالب بواسطة التحكيم او بالتوصل الى اتفاقيات ثنائية خاصة بيد ان اساليب التحكيم والتفاوض من هذا النوع لم يعد لها — فى العقود الاخيرة — ما كان لها من فعالية سابقة فى فض النزاعات حول هذا الموضوع وذلك بالنظر للتطورات العميقة التي تجد فى عصرنا الحاضر والتي تتميز خاصة بما غدا للدول الصغيرة المستقلة من تأثير على مستوى التوازن الدولي .

ولذا كان عاديا ان تبدو المشكلة وهي تكاد تستعصي على الحل الحاسم بالرغم عن وجود محكمة دائمة للتحكيم وبالرغم عن تطورات اساليب التفاوض الدولي ، ومن البديهي ان هذه الظاهرة ستمتد فترات اخرى ما دام ان العامل الاساسي فى وجودها لا يزال قائما موجودا ، فمن الجائز جدا ان تنجح مبادرات التحكيم الدولي فى تحديد نطاق كثير من مظاهر النزاع حول هذا الموضوع ولكن مبدأ التحكيم ذاته لا يمكن ان يصلح اساسا لاقصاء العامل الرئيسي الذي يثير النزاع ، وهذا العامل هو ناشيء — كما قدمنا — عن عدم التوصل الى صيغة دولية مقبولة لتحديد المياه الاقليمية تحديدا رسميا وقارا .

وقد ادرك الراي العام الدولي بالفعل جوانب هذه الحقيقة فكان من ذلك ان عمدت — منذ عهد بعيد — بعض المؤسسات الدولية الى النظر فى الموضوع بصورة جدية واقتراح ما يمكن ان يكون صالحا من الحلول لتصفيته وكان من ثمرات ذلك : ما اعلنه معهد الحقوق الدولية فى جلسته بباريس (1894) من مقترحات تقضي بتمديد المياه الاقليمية الى مسافة ستة اميال ، وقد وقع تطبيق هذا الاقتراح بالفعل فى بعض المعاهدات .

وفى سنة 1928 امكن لمعهد الحقوق الدولية فى جلسته باستوكهولم ان يعلن عن تبنيه لنظريات فى الموضوع تغاير ما تقدم بعض الشيء ، وتقضي بالاقتصار على ثلاثة اميال كتحديد لمسافة المياه الاقليمية على ان تضاف اليها عند الاقتضاء اميال اخرى اذا استوجب ذلك ضرورات خاصة كمصالح الجمرك او غير ذلك ، وعلى هذا النحو كانت الآراء حول الموضوع تتلاحق وتتوالى باستمرار ولكن دون ان يترتب عنها شيء هام فى الميدان العملي ، على ان النظر فى مجموع المشكلة قد اتخذ بعد كل ذلك صبغة دولية واسعة النطاق وذلك حينما تم انعقاد مؤتمر لاهاي سنة 1930 للنظر فى المعضلات القانونية وما يتصل بها ، والحق ان المؤتمر كان خطوة عملية معقولة فى طريق التفاهم الدولي حول موضوع المياه الاقليمية ولكنه لم يسفر فعلا عن نتائج ايجابية بالنسبة لما يتعلق بالنقطة الاساسية المرتبطة بتحديد المسافات بالاميال ؛ وان كان الاعضاء خلاله قد استطاعوا التوصل الى المصادقة على صيغ عامة لها مساس بمبادىء المشكل لا بجوهره (1) .

1) من بين هذه الصيغ تلك التي تتعلق بتعريف البحر الاقليمي وقد جاء فيها : « ان يشمل اقليم الدولة منطقة من البحر يطلق عليها اسم البحر الاقليمي تمارس فيها الدولة جميع اعمال السيادة وفقا لقواعد القانون الدولي ...

وكان اخفاق مؤتمر 1930 في تحديد مسافات البحار الاقليمية ايذانا باستمرار الجو الفوضوي الذي يسود الحياة الدولية في هذا الموضوع وقد تضاعفت عناصر هذه الفوضوية بالفعل وازدادت عوامل تعقدها الامر الذي حدا بالاوساط الدولية مرة اخرى الى التفكير في تناول المشكل بالعلاج على ضوء الحقائق العالمية التي تكشف عنها عالم ما بعد الحرب وانبثق التفكير بالفعل عن بادرة دولية جديدة كانت هي مؤتمر 1958 الذي تم انعقاده بجنيف .

وقد كان المفروض ان يفضي المؤتمر الجديد الى نوع من الاتفاق العالمي حول الموضوع وذلك بالنظر لما سجلته تطورات ما بعد الحرب من تقدم في وسائل التفاهم الدولي (الامم المتحدة) الا ان تناقض المصالح المختلفة لم يكن من شأنه ان يساعد على تحقيق خطوة من هذا النوع ولهذا فقد كان على الجو الدولي ان يعاني ـ بعد ارفضاض المؤتمر ـ المزيد من المشاكل والمعضلات الناتجة عن استمرار مشكلة تحديد المياه الاقليمية وذلك لما سجله الاعضاء المعنيون سنة 1958 من عجز وقصور في طريقة حلها على اساس مقبول .

وبالفعل فلم يكن هناك بد من ازدياد تشابك المصالح الدولية في الموضوع وبالتالي تضاعف مظاهر الاصطدام بين هذه المصالح وتناقض صورها بشكل عنيف وحاد ، وقد بدا ذلك واضحا في محاولات التوسيع التلقائية من جانب بعض الدول لحدودها المائية وما اثاره ذلك من ردود فعل سريعة من جانب الدول الاخرى التي تناوىء مبدا التوسيع .

وعلى هذا فقد كان ضروريا ـ امام هذه الحالة ـ ان يتجدد التفكير مرة اخرى في اللجوء الى محاولة توفيقية جديدة اوسع نطاقا واكثر احكاما من سابقاتها سنة 1930 و 1958 وعلى هذا الاساس تم انعقاد مؤتمر قوانين البحار بجنيف ايضا (اواسط مارس 1960) ذلك المؤتمر الذي لم تنفض جلساته الا منذ اسابيع معدودة وقد كان ذلك الجمع الدولي جديرا حقا بالتقدير والاهتمام لا بالنسبة لخطورة المشكل الذي كان يتغيا معالجته فحسب بل ايضا بالنسبة لعلاقاته بمصالحنا القومية كأمة ذات كيان دولي هام وكجزء اصيل من الجسم العربي الكبير وارتباطه بموقفنا العام من المجموعة الافريقية ومن عالم باندونغ .

وقد كانت لنا من قبل مصالح دائمة تحدونا الى الاهتمام منذ قديم بموضوع المياه الاقليمية وتطوراتها على الصعيد الدولي وذلك بالنظر لما ننعم به من وضع بحري ممتاز ، ولكن نظام الحجر الذي كان يلف هذه البلاد في طياته لم يكن بالطبع من العوامل التي تساعدها على البت في هذا الموضوع او غيره .

الا انه اصبح لنا الآن ان نولي قسطا من الاهتمام بالامر نتيجة لوضعنا الجديد في العالم الدولي ولمشاركتنا العملية في مؤتمر قوانين البحار ، تلك المشاركة التي تتيح لنا فرصا هامة للاسهام في تقرير الاتجاه الدولي في هذا الموضوع الهام ، هذا بالاضافة الى اعتبارات اخرى تستوجب منا المزيد من الاهتمام بالامر لانها تتصل باتجاهاتنا ومصالحنا واهدافنا اتصالا دوليا ثابتا ومن بين هذه الاعتبارات :

1 ـ بروز القوى الافريقية الجديدة كعامل فعال في تقرير الحدود الدولية على النقيض مما كان عليه الامر قديما .

2 ـ تأكد ارادة الشعوب الصغيرة في مناهضة القوات البحرية الكبرى وتبلور هذه الارادة في شكل منظم وصارم .

3 ـ تراجع الدول الكبرى عن غلوائها وقبولها بمبدا مد حدود المياه الاقليمية ستة اميال عوض ثلاثة بالاضافة الى ستة اميال اخرى للصيد البحري .

لقد كان مؤتمر قوانين البحار الاخير اساسا قويا لتأكيد هذه الحقائق الدولية البارزة وكان الى ذلك مجالا فسيحا للتدليل على ما يوجد بين الشعوب الصغيرة على اختلاف هواياتها من تناسق وانسجام في المصالح والاهداف وقد بدا ذلك واضحا في قضية تحديد مسافة المياه الاقلمية ففي نفس الوقت الذي كانت فيه القوات البحرية التقليدية ـ وفي طليعتها المملكة المتحدة ـ تجتهد في اقناع الملا بوجوب الحفاظ على مبدا الستة اميال كحد نهائي لامتداد الحدود المائية كانت الشعوب الصغيرة من افريقية وآسيوية وامريكية لاتينية تعبر عن ارادتها الحازمة في المطالبة بضرورة تمديد هذه الحدود الى مدى اثنى عشر ميلا ، ولعله كان من اليسير جدا استجلاء موقف المغرب في خضم هذا الصراع ولم يكن هذا الموقف بالطبع الا موقف المناصرة المطلقة لمبدا الاثنى عشر ميلا .

وبديهي ان مطالبة المغرب بتمديد الحدودالبحرية على هذا الاساس لا تعود فقط الى شعوره بالتضامن الافريقي الاسيوي ، بل انها ناشئة كذلك عن انسجامها مع مصالحها الخاصة بالاضافة الى ما لها من ارتباط بالمصلحة العربية التي هي بالطبع جزء من مصلحتنا القومية العليا ، فحدود المغرب الشمالية والغربية هي بالفعل حدود بحرية هامة ، والشاطىء المغربي يمتد على مجالين مائيين عالميين : المتوسط والاطلسي وهذا مما من شأنه ان يجعل قضية المياه الاقليمية بالنسبة الينا قضية حيوية وجوهرية لارتباطها المتين بما ننشده من انتعاش اقتصادي (مقاومة التهريب التجاري) وما نصبو اليه من تضخم في الطاقة الاستهلاكية (الصيد مثلا) ولاتصاله الوثيق كذلك بمقتضيات الحفاظ على امننا القومي (مقاومة التسلل السياسي والعسكري) وحماية تطورنا الاجتماعي الانساني (مراقبة الهجرة غير المشروعة) ومما يزيد في قيمة هذه الاعتبارات ويضاعف من اهميتها: الخصائص الفريدة التي يتميز بها وضع بلادنا من الناحية الجغرافية فمقدراتنا الاقتصادية البحرية قد لا تتوفر لها ـ اذا لم يقع توسيع مياهنا الاقليمية ـ اسباب التامين ضد النشاط الصيدي الاجنبي (البرتغال مثلا) كما ان وقوعنا على ممر عالمي كمضيق طارق يلقي علينا اعباء باهضة في تامين حيادنا الدولي وخاصة في حالة نشوب حرب عالمية محتملة هذا بالاضافة الى ما يجوز ان ينشأ عن وضعنا الجغرافي امام اوربا وافريقيا وامريكا من اتساع نطاق الحركات التسللية الى بلدنا من سياسية واقتصادية واجتماعية « النشاط التجسسي العالمي » (التهريب التجاري الاقليمي والدولي) (حركات الهجرة الدولية غير المراقبة) .

وكما ان هذه الاعتبارات الاقليمية لها وزنها في حمل المغرب على المطالبة بتمديد مسافة المياه الاقليمية فان هناك من الاعتبارات القومية الاخرى ما من شانه ان يحدو ببلادنا الى التشديد على هذه المطالبة ويقودها الى مضاعفة مظاهر الحرص عليها ، ومن ابرز هذه الاعتبارات : ما يتصل بعموم المصلحة العربية الكبرى التي ترتبط قليلا او كثيرا بموضوع الصراع الدولي حول المياه الاقليمية . ومن نافلة القول الاشارة الى ان اغلبية الدول العربية لم تتردد غداة انعقاد مؤتمر جنيف الاخير في تنسيق مواقفها على اساس تبني نظرية الاثنى عشر ميلا كحد اقصى للمياه الاقليمية ، وواضح ان اتخاذ هذا الموقف كان ناشئا عن الرغبة في حماية الشواطىء العربية من اخطار التدخل الاجنبي ، هذا التدخل الذي يوجد في طليعته بالطبع امكانيات التسلل الصهيوني بمختلف اشكاله والوانه (قضية الملاحة عبر خليج العقبة مثلا) والى ذلك فان اقرار مبدا الاثنى عشر ميلا ينسجم تماما مع صالح الوضع الجغرافي الممتاز الذي تنعم به اغلبية اجزاء الوطن العربي . ذلك ان البلاد العربية تكون في مجموعها امتدادا فريدا يسيطر فعلا على الضفتين الجنوبية والشرقية ، للبحر الابيض المتوسط هذا بالاضافة الى امتدادها على ضفتي البحر الاحمر والخليج العربي وبعض الاجزاء الشمالية الشرقية من المحيط الهادي مع اشرافها على الممرات العالمية الهامة كمضيق طارق وقناة السويس ومضيق باب المندب .

ووضع جغرافي من هذا الطراز يتيح بالفعل كثيرا من الميزات الاساسية لساكني الوطن العربي ، الا ان تمديد مسافة المياه الاقليمية ليس من شأنه بالطبع الا ان يعزز عناصر الاستفادة من هذه الميزات ويوسع من نطاقها ، وذلك بما يوفره للبلاد العربية من فرصة الحصول على نطاق ضخم من البحر المتوسط يمتد على طول ضفته الجنوبية هذا بالاضافة الى البحر الاحمر الذي تعتبر ضفتاه عربيتين خالصتين ، وهكذا الشان بالنسبة الى الشواطيء العربية الاخرى . كان مؤتمر قوانين البحار الاخير اساسا لاستخلاص كثير من الحقائق الدولية المثيرة وكان من ابرز هذه الحقائق واهمها : تطابق وجهات النظر المغربية والعربية تطابقا تلقائيا مع اتجاهات دول باندونغ والشعوب الصغيرة الاخرى التي تواضع الناس على تسميتها بالشعوب المتخلفة ، ومن هنا كان على المغرب ان يلتقي في صعيد واحد مع العديد من الاقطار الاسيوية (برمانيا الهند واندونيسيا) والافريقية (غينيا) واللاتينية (الشيلي الايكواتور المكسيك وبيرو) والاشتراكية (يوغوسلافيا) وغيرها ومن هنا ايضا كان مصدر التباين الواسع في وجهات النظر بين هذه التكتلات الدولية الفتية وبين التوسعيين البحريين في الغرب وفي طليعتهم : بريطانيا والولايات المتحدة .

لقد كان الخلاف بين الجانبين خلافا عميق الجذور ، بعيد الاغوار لانه لم يكن ناشئا عن اسباب سطحية عابرة وانما كان تجسيما للصراع الكبير الذي يحتد كل يوم في كثير من جوانب الحياة العالمية بين القوى البحرية التقليدية في الغرب ومن يسبح في فلكها وبين القوى الجديدة الناشئة في البلاد المدعوة بالمتخلفة اقتصاديا .

ولا ريب ان الخلاف على عدد الاميال البحرية لم يكن الا مظهرا لبواعث الصراع الكبير الذي يستحر بين الدول الصغيرة والكبيرة حول حدود المياه الاقليمية ، ان وراء هذا الصراع تكمن بالفعل كثير من الحقائق الضخمة التي لها دلالتها ، ومن بينها : التحدي الكبير الذي تواجه به الدول الكبيرة عالم الشعوب المتخلفة اقتصاديا ولا يكتسي هذا التحدي — في الواقع — صبغة مباشرة وسافرة وانما يتبدى في اشكال اكثر دقة وعمقا ويتركز اغلبها في نسف معنويات الشعوب الصغيرة والتشكيك في كفاءتها وقدرتها على ممارسة شؤون الحياة العامة في نطاقها الواسع الكبير، ومن هنا كان منشأ المدعيات الغربية التي ما فتىء الغربيون يرددونها للتدليل على عجز الشعوب الافريقية الاسيوية وقصورها عن ادارة بحار اقليمية موسعة ، واذا كان لهذه المدعيات فعلا بعض المظاهر الواقعية فانها لا يصح ان تتخذ اساسا معقولا لاستمرار اوضاع بحرية دولية لا تتفق اقتصاديا وعسكريا مع حقائق العالم الحديث وضرورات الحياة المعاصرة بكل ما يستوجبه تامينها من وسائل ضخمة وامكانيات واسعة .

ان المسافات الضيقة التي يجتهد الغرب في اقرارها كحدود نهائية للبحار الاقليمية لا يمكن ان تنسجم مع معطيات السلامة القومية كما نعرفها اليوم، واذا كانت الدول البحرية في الغرب تناصر الاخذ بنظرية هذا التحديد الضيق فلان ذلك لا يساهم فعلا في المس بمصالحها ما دام انها تتوفر على وسائل جبارة قاهرة من فرص العمل المباشر بالقرب من حدود الدول الاخرى التي لاتقوى ماديا على مقاومتها مقاومة فعالة ولعله من المفيد لنا ان نتذكر ان الدول البحرية الكبرى في الغرب لم تنجح في بناء كياناتها الامبراطورية الا عن طريق التوسع البحري المتواصل الذي كانت تمارسه باشكال عدة على حساب الاقاليم المتخلفة في افريقيا وآسيا ، ولهذا كان جديرا بشعوب هذه الاقاليم — وقد استردت حريتها — ان تولى قدرا غير يسير من العناية والاهتمام بمستقبل شواطئها وتامين هذا المستقبل تامينا كاملا وفعالا ، وهذا هو محور النزاع الدولي الراهن حول موضوع البحار الاقليمية ، وليس امام المغرب — في الواقع — الا ان يكون طرفا في هذا النزاع ، ولكن على اساس الانسجام مع مصالح الشعوب الصغيرة التي ينتسب اليها ويندمج حاضره بمستقبلها. وبعد فقد انتهى — في اواخر ابريل الماضي مؤتمر جنيف لقوانين البحار دون ان يفضي الى اية نتيجة ايجابية كما كان الشأن بالنسبة لمؤتمر لاهاي (1930 ومؤتمر جنيف الاول 1958) واذا كان لهذا المؤتمر من نتائج فهي مساهمته في التدليل على ان الخلاف الدولي حول موضوع المياه الاقليمية ليس — في جوهره — مجرد خلاف عابر ومحدود المدى ، بل انه ينطوي — كما يبدو — على كثير من الاعتبارات التي تستعصي تصفيتها — في الوقت الحاضر — على وسائل التوفيق الدولية العادية وعلى هذا فان الاساس الذي تنطلق عنه عوامل التصادم حول هذا المشكل سيبقى قائما فعالا قوي التاثير بعيد المدى وسوف لا يكون لذلك من نتائج بالطبع الا استمرار الجو الفوضوي الذي يسود الاتجاهات القانونية الدولية في موضوع حيوي كهذا ، ومن شأن ذلك كله ان يؤدي في المستقبل الى المزيد من مظاهر اللجوء الى طريقة القرارات الانفرادية في توسيع مجالات البحار الاقليمية هذه الطريقة التي بدات بعض الدول تلجا اليها كالصين الشعبية ويخشى ان تصبح قاعدة متبعة مع كل ما تحمله من عناصر التوتر والحدة في الجو الدولي .

واذا كان لنا نحن في المغرب ان نعبر عن حرصنا على احترام المشروعية الدولية فان ذلك لا يجوز ان يكون على حساب مصالحنا الحيوية التي ترتبط بحاضرنا ومستقبلنا اوثق الارتباط .

ان هناك من الارهاصات ما يوحي بان الدول البحرية الكبرى في الغرب ومن يوجد متأثرا بها قد تلجأ الى اقرار اتفاق فيما بينها حول موضوع البحار الاقليمية ، وذلك — حسبما يلوح — على اساس اعتبار مبدأ الستة اميال كحد اقصى ويبدو ان الهدف الاساسي من اتخاذ هذه الخطوة هو العمل على اصطناع سوابق مبدئية معينة يمكن ان تصبح بالتدريج اعرافا دولية قارة ، وهذه الاعراف هي التي يجوز ان تتخذ في المستقبل اساسا لاستدراج الرأي العام العالمي الى اعتناق وجهة النظر الغربية في تحديد المياه الاقليمية ، ولهذا فانه سيكون في امكاننا — استنادا الى كل ما تقدم — ان نتخذ خطوة مماثلة فنعمد — بالتعاون مع

الاشقاء العرب – الى الاتفاق مع الدول العديدة التـي تشاطرنا الراي فى موضوع تحديد المياه الاقليمية وذلك على اساس اعتبار النظرية المشتركة التي تتبناهـا جميعا : نظرية الاثنى عشر ميلا ، وان هناك من تعـدد هذه الدول التي يجوز الاتفاق معها ، ومن تصاعد نسبة اهميتها العالمية واصالة مواقعها الجغرافية وامكانياتها الاقتصادية ما يمنح مثل هذا الاتفاق صبغة ذات قيمة خاصة ويزوده بالعناصر المعنوية اللازمة التي تسبغ عليه رداء الاحترام والاعتبار .

وخطوة من هذا النوع سوف لا يكون من نتائجها بالطبع زيادة تعقيد المشكل او مضاعفة اسباب تشعبه لانه يوجد بالفعل على درجة من التعقد والتشعب لـم تفلح معها جهود ثلاثين سنة فى ضمان تصفيتـه او تحقيقه ، ان هذه الخطوة يجب ان تستهدف فقط اقرار اوضاع دولية ثابتة نوعا ما يعم مفعولها اكبر قطاع ممكن من الاقطار التي تعنيها مشاكل المياه الاقليمية وتحل محل الاوضاع الفوضوية التي تسود المجتمع الدولـي فى هذا الميدان .

ولعله يصبح من الممكن جدا – بعد ان تتحـدد المواقف الدولية فى الموضوع على هـذه الصـورة الحاسمة – ان يتم التوصل فى المستقبل الى طريقـة لتقريب وجهات النظر المتضادة وانجاز حل عالمي شامل ترتضيه كافة الاطراف المعنية ، وذلك على اسـاس مراعاة الحقائق الضخمة التي يزخر بها عالم الشعوب المتخلفة وما ينبثق عن هذه الحقائق من مفاهيم جديدة فى اساليب التعامل الدولي . ان دور هذه الشعوب فى تقرير مصاير الامور بالنسبة لهذا الموضوع او غيره شيء يجب ان يكون له اعتباره .

وتلك حتمية اساسية يفرضها منطق التاريـخ المعاصر .

حـلاوة الايمـان

عن انس عن النبي (ص) قال ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الايمان من كان الله ورسوله احب اليه مما سواهما وان يحب المرء لايحبه الا لله وان يكره ان يعود فى الكفر بعد ان انقذه الله منه كما يكره ان يقذف فى النار

آراء للمناقشة :

اللغة العربية بخير يا دكتور ...

للأستاذ : جمال الدين البغدادي

يجتـــاز المغـــرب مرحلـة خطيرة فى بنائـه القومي وقد شعر بمسؤولياته كشعب حـر يريـد ان يمشي فى الطريق على قدمين ثابتتين منذ حصوله على الاستقلال السياسي بل لعله ادرك ان هذا الاستقلال انما هو نقطة انطلاق فقط وان المشاكـل الثقافيـــة والفكرية التي واجهته ربما تكون اصعب بكثير مـــن جهاد التحرير والتحرر ، ولذلك فمن الطبيعي ان نجد المفكرون والقادة يبحثون جادين عن السبيل الاميـــن وعن المسلك الذي نخرج منه الى النور دون تشويـــه للشخصيـة المغربية العربية المسلمـة ودون تقويـض جذري لحضارة انسانية عريقة تنتظر منها الانسانيـة نفسـها ان تنهض لتساهم فى بناء مجتمع افضل ، انـه من السهل ان ننسلخ عن مميزاتنا الاساسية ولكن من الصعب ان نحافظ على وجودنا فى هذا العالم المضطرب لما ننسلـخ عن هـذه المميـزات .

نحن اذن فى مفترق الطرق ، ومشكلنا فى هـذه الفترة الخطيرة مشكل فكـري ، فالفراغ العقـائـدي الفلسفي فى بلادنـا يجب ان يمتلىء بمذهب عميـــق لا تردد فيه او بعده ، ووظيفة المفكرين الصادقين هي البحث والتنوير الشعبي ودحض كل رأي هدام يمس وجودنا كشعب مؤمن له حضارة ورسالة وانـه لمن البوادر الحسنة لهذا الاهتمام الفلسفي فى المغـــرب ما دار وما قد يدور من نقاش حول اللغـة العربيـــة وكنت اود ان استمع ممن لمعت اسماؤهم فى هـــذا المجال ولكن للاسف قل منهم من ابدى رأيه بشكل علمي وجدي . ومع ذلك فقد استفاد الحاضرون ورسخت بعض الآراء السديدة ، الا ان صوتا صـرح بافكـــار خطيرة حول اللغة العربية هذا الصوت هـو صـــوت الدكتور الجبابي استاذ الفلسفة فى كلية الاداب وذلك فى ندوة عامة كان اغلب الحاضريـن فيهـا اساتـــذة فرنسيين وقبل ان اناقش الدكتـور اريـد ان الخص ما جاء منشورا له فى مجلة (Confuent) عدد 7 مايو

قـال الدكتـور الجبابـــي :

— ان اللغة العربية امام فئتين من الناس : فئـة اولى تنظر اليها كحسناء وصلت الى ذروة الشهـــرة والاعتبار (ونحن لانستطيع مناقشة هؤلاء لاندفاعهم الشديد مع العاطفة دون العقل والمنطق) وفئة ثانيـة أحاطت باللغة العربية كما يحاط بفتاة فى سن المراهقة فكادوا يخنقوها ويكتموا انفاسها لشدة خوفهم عليها.

— كان ندوة اليوم هي ندوة تحكيم بين مرشحتين لمسابقة ملكة جمال المغرب : المرشحة الاولـى حبتهـا الالهة والخالدون بابدع الصفات منذ ثلاثة قرون وهم لايزالون يجملونها ويسبغون عليهـا آيـات الحســن والجمال ، فما ارشقها وما اخف روحها وما اعمـــق ذكاءها ، كانت محظية الآلهـة والادبـاء العباقرة مـن « كورني » الى « ساغان » ، وجمالها يتجدد كتجـــدد سيل نهر « السين » المتدفق الخالـد — والمرشحـة الثانية هي صاحبتنا السالفة الذكر تقدمت فى حركات مضطربة وهي ترتدي عباءة مهلهلة ، انها من اصــل قروي وخلافا للاولى فلم تحظ بالابداع او الخلـــق الالهـــي .

— اذا نحن نعرف من الآن نتيجة المسابقة ولمـن تكون الغلبة ، ولكن الوضع يتعدى النظرة الجماليـة ، فالقضية اكثر تعقيدا لان اللغة العربية بالاضافة الـى

انها آلة التثقيف والتبادل الفكري فهي كذلك اداة هامة للاتصال الاجتماعي ـ ولعل بعضكم يظن ان هذه العروسة البدوية ساحرة الجمال ، ولكن اقتربوا منها وتمعنوا وجهها فسوف تبدو لكم التجاعيد والقطوب تحت الاصباغ والمساحيق .

ـ فنحن نعترف ان اللغة العربية شاخت او تكاد ولكنها لم تمت بعد ، انها منهوكة القوى وما يجب فعله هو خضها بعنف .

ـ اني الاحظ على اللغة العربية ملاحظات عديدة منهـا :

1) المترادفات الكثيرة للمسمى الواحد .

2) مشاكل النحو والاعراب .

3) الاهتمام بشكلية اللغة والبلاغة فيجب القضاء على زخرفة الالفاظ والابقاء على المعاني فقط .

4) القضاء على « الحشو » اي تلك الكلمات الجوفاء التي لاتحمل في طيها اي معنى .

وهنا استشهد الدكتور برسالة لاحد المعجبين به ونصها هكذا : حضرة الفاضل المحترم الاستاذ الحبابي استاذ ب . . . فالحشو هو تكرار ما لا واعي له ـ سخف معنى « الفاضل » ومعناها بالفرنسية « الشريف النبيل »

ـ كانت الفرنسية في عصر الجاحظ والمتنبي لغة حية معبرة لان هؤلاء الادباء كانت لهم افكار يعبرون عنها وبعد هؤلاء انحطت اللغة العربية مجرد رصف لفظي ـ وقد صادف عصر المقامات عصر انحطاط الثقافة الاسلامية . اما الحلول التي يقترحها الاستاذ الحبابي فهي :

ـ الحلول بسيطة جدا :

1) ابعاد اللغة عن المفهوم الديني التقديسي وجعل اللغة تجلس على الارض .

2) مد اللغة باعصاب وعضلات جديدة وبمحتوى واقعي ـ هذا المحتوى لايوجد في العالم العربي وعلينا ان نستجلبه من الغرب ـ ولكن على هذه الافكار الغربية ان تاخذ قالب العقلية العربية وعلينا نحن الذين نتقن الثقافتين ان نلعب هذا الدور .

3) علينا ان نكون اصحاب الثقافتين المزدوجتين

4) لقد تتلمذ الغرب على العالم الاسلامي فيما مضى وعلينا ان ناخذ من الغرب ما ينقصنا اليوم بدون خجل او مواراة .

ـ هناك بوادر حقيقية لانتعاش ثقافي عقلي يبشر بالخير الكثير »

هذه خلاصة امينة لما جاء في مقال الاستاذ الحبابي حول رايه عن اللغة العربية ، وهذه الافكار لغرابتها تحتاج الى شيء من المناقشة وتوضيح بعض المفاهيم التي تضمنت حقائق مغلوطة واقعيا وتاريخيا ولا سيما ان هذه الافكار جاءت على لسان فيلسوف فلا سبيل الى طرحها جانبا دون تمييز الخطأ منها من الصواب فلقد قال الاستاذ في افتتاح الندوة ان اللغة العربية امام فئتين من الناس ، الاولى رفعتها الى السماء واضفت عليها ابلغ ما توصف به لغة ، ولا ادري ما الامر الذي دفع بالاستاذ الى اعتقاد هذا الراي فمن قال بان اللغة العربية هي افضل اللغات على الاطلاق ؟ واذا كان بعضهم فيما مضى زعم هذا الراي فاين هو المفكر او الناقد الواعي ، الذي ارتأى هذا الحكم اليوم بعد ان تعمقت الدراسات حول اصل وفلسفة اللغات ، لعل بعضهم زعم انها بليغة جديرة بالبقاء ويؤمن بهذا الراي كل من له المام جامع بالعربية ـ او لعل آخرين ابدوا اهتماما زائدا بالعربية لاعتقادهم بان اللغة هي اداة الاتصال بين الشعوب العربية المجزاة ، وان هذه اللغة لو توحدت لقربت المسافة بينها وبين اللغات واللهجات العامية ولامكن لنا ان نوحد العقول واذا توحدت العقول والافكار وضمنا عالما عربيا موحدا كأعمق ما يكون الاتحاد ، فهذا الاهتمام عقائدي قومي وليس معناه فضل العربية على غيرها ولا عيب في هذا الانشغال الكبير باللغة لاننا اليوم في فترة بناء ونحن لانريد ان تكون المواد الداخلة في هذا البناء ارتجالية ومستعملة استعمالا اعتباطيا ولكن يجب ان نحاسب وان ندقق حتى لاينهار الصرح وتذهب الجهود عبثا .

ولا اعرف احدا خاف على هذه اللغة ان يصيبها سوء لان العربية لها مقاومة ذاتية ولا تخشى النزال او

الصراع وقد خرجت ظافرة من معارك شتى منذ اربعة عشر قرنا احتكت فيها باكثر من حضارة ولغة واحدة وكانت تؤثر اكثر مما تتأثر وكانت تعطي بسخاء اكثر مما تأخذ ، ونراها اليوم كما كانت في الجاهلية بنفس الصفاء ونفس الرنين والبلاغة ، فما رأيك يا استاذ في هذه الابيات من الشعر الجاهلي :

ولقد ذكرتك والرماح نواهل
منى وبيض الهند تقطر من دمي
فوددت تقبيل السيوف لانها
لمعت كبارق ثغرك المتبسم

او هذه الابيات :

لا احد الام من حطية هجا بنيه وهجا المرية
من لؤمه مات على فرية

او هذه :

لا يحمل الحقد من تعلو به الرتب
ولا ينال العلى من طبعه الغضب

الا تشعر يا استاذ ان اصحاب هذه الابيات كأنهم يعيشون معنا اليوم والواقع ان تاريخهم يعود اليوم الى اكثر من خمسة عشر قرنا — ولكن حاول ان تقرأ لشاعر فرنسي في القرن الرابع عشر ميلادي فسوف تركض باحثا عن المعاجم اللاتينية والفرنسية القديمة لتسعفك بالمعنى المقصود .

لقد وصف الاستاذ الندوة التي كان يحاضر فيها بندوة تحكيم لاختيار ملكة الجمال من بين مرشحتين هما الفرنسية والعربية ، وقد اطلق لخياله العنان حينما تحدث عن اللغة الفرنسية الحسناء فرآها ساحرة القوام فاتنة القد ، رائعة الحسن وحينما تكلم عن العربية تحدث بتقزز واشمئزاز فاضفى عليها الثياب البدوية ، كنت احسب الدكتور فيلسوفا حقا ينظر الى جمال الروح وسحر الابتسامة المشرقة والا يوقف النظر على السيقان والارداف ، بل كيف نجري المقارنة بين الفتاة الاوروبية الشقراء مع الفتاة العربية السمراء الكاحلة العينين وكل منهما يمثل ضربا من الجمال ولكل منهما عشاقها ومريدوها ، ان من السخف اجراء مقارنة بين لغتين مختلفتي الاصل والملامح ، قد تكون المقارنة في المعاني والادب دون اللغة والاسلوب لان اللغة تسمو او تسف حسب عبقرية القلم الذي يضفي عليها الروح والمعنى العبقري ، ان اللغة كالعجينة تاخذ الشكل الذي يصورها عليه الفنان وكم يختلف الفنانون فيما بينهم من حيث المقدرة والتذوق والتعمق والادراك — ثم اني لا ارضى من مغربي عربي مسلم ان يعطي هذه الصورة البشعة للعربية امام جمهور من الاجانب ، وقد اعترف المستشرقون انفسهم بدقة العربية ومرونتها وقدرتها على اجلاء اعماق النفس والتحليق في اجواء الروح (بروكلمن في كتابه : تاريخ الادب العربي) — ان الشرط الاساسي الذي يجب ان يتوفر فيمن يتصدى للكتابة بالعربية ان يكون من اهلها وان يمارسها طويلا حتى تلين له . لقد قيل قديما : ان العربية مطية لاتلين الا لاصحابها : فهل الاستاذ الحبابي من ابناء العربية الذين يعرفون اسرارها ومداخلها حتى ينطق بالحكم الفصل ، ان على الاستاذ ان يراجع ضميره وعلمه قبل ان يلحق بالعربية اقبح الصفات .

ويقول الاستاذ بعد ذلك ان اللغة العربية شاخت وكادت تموت ، ومرة اخرى من اين لك بهذا الراي ؟

ان نظرية تشبيه اللغة والمظاهر الاجتماعية الاخرى بالكائنات الحية هي نظرية الفيلسوف الانجليزي « سبنسر » صاحب المذهب العضوي والشبه حاصل من حيث التطور والمرور على مراحل الاعمار من الولادة الى الموت ، غير ان هذه النظرية لم تعد مقبولة واصبحت تاريخية فقط لان الحادث الاجتماعي حادث معقد متداخل وهو لايتبع سيرا منتظما متناسقا حتى تحكم على مصيره ، واذا اتفقنا جدلا على ان اللغات تولد وتشيخ ثم تموت فان اللغة العربية خاصة لايجري عليها هذا المفهوم اطلاقا خلافا للغات الاخرى ، لوقمنا باجراء دراسة مقارنة بين اللغة العربية في العصر الجاهلي واللغة العربية في القرن العشرين لما راينا خلافا جوهريا ، ان طلابنا في المدارس الثانوية يقراون بسهولة الشعر الجاهلي ويتذوقونه واذا كان هناك فارق بين اللغتين ففي التبسيط واختيار كلمات دون اخرى ، واظن ان السبب الرئيسي في كون العربية لم تتغير بعد تغيير اللغات الحية الاخرى هو القرآن فلولاه لاصبح الادب العباسي مثلا ادبا اعجمي اللسان لايفهمه الا المختصون في الاداب القديمة — ومثال ذلك في اللغة اليونانية

فبالرغم من ان آدابها القديمة خالدة (الالياذة والاوديسا) فلم تستطع ان تقاوم الزمن واصبحت اللغة اليونانية اليوم غير اليونانية فى عهد ارسطو وزينون ، فالقرآن الكريم هو السر فى بقاء العربية صافية الاديم محافظة على بنيانها القديم ، ولهذا فلم تشخ العربية ومن الخطأ الفادح اعتقاد هذا الراي المرتجل بل ان آخر المطلعين على العربية يقول بانها اليوم فى انتعاش جديد وفى احياء حقيقي وليس بعيدا ان نرى العربية لغة دولية عالمية ، واتاسف لكون الاستاذ الحبابي لايقرا ما ينتجه الشرق وما يكتبه الادباء والعلماء هنالك ، ولو هو فعل ذلك لوجد العربية فى حال غير الحال التي هي عليه هنا فى المغرب لحداثة عهد النهضة هنا ولقلة الكتاب ، اما فى الشرق فقد قطعوا شوطا بعيدا فى ميدان الترجمة والتاليف ، فى لبنان مثلا نجد ان آخر ما يكتب فى الغرب يترجم حالا الى العربية بالنص الكامل وباسلوب واضح بليغ لا التباس فيه ، ان اللغة العربية لغة حية ، بشرط ان يكون صاحبها على علم بتكوينها تماما كجهاز الكتروني معقد يستحيل على من يجهله ان يستعمله استعمالا جيدا .

وبعد ذلك ياتي الاستاذ الحبابي ويلاحظ على العربية ملاحظات اقل ما يعلق عليها به هو : ان الذين قالوها فيما مضى قوم يجهلون العربية او دخلاء عليها ، والا كيف يعقل من دكتور فى الفلسفة ان ينتقد العربية بكثرة المترادفات وكل اللغات تحتوي على هذه الظاهرة (لينظر الاستاذ فى قاموس المترادفات الفرنسية) ثم ان المترادفات لاتدل دوما على معنى واحد بل هناك بين المترادفات فروق دقيقة ، اطلق العرب – مثلا – على شعر الراس اسماء عديدة منها : الذؤابة ، العقيقة ، الفروة ، الناصية ، الفرع ، الغفر ، وسيظن الغير المتعمق فى اللغة العربية ان هذه المترادفات لا فرق بينها وانها اسماء لمسمى واحد ، لنفتح كتاب فقه اللغة للثعالبي فسنجد فيه فصلا خاصا عن اسماء شعر الراس العقيقة الشعر الذي يولد به الانسان ، الفروة شعر معظم الراس ، الذؤابة شعر مؤخر الراس ، الفرع شعر راس المراة ، الغديرة شعر ذؤابتها الخ . . ان هذا التمييز الدقيق للمسمى الواحد يدل على ذكاء العرب ، وطلاب علم النفس يعرفون هذه الحقيقة فالطفل الذي يميز فى كتابه عدة صفات هو طفل ذكي فوق الوسط والذي لايطلق الا وصفا واحدا هو طفل محدود الافق ، واذا كان العرب اكثروا بعض هذه المترادفات على مسميات محدودة كالناقة والسيف والاسد فلان بيئتهم ضيقة المجال فقيرة المناظر ، والعربي متجاوب مع هذه الطبيعة الجرداء الشحيحة ، ومع ذلك فان اثارة مثل هذه الانتقادات اليوم هو نقد لامعنى له لان اللغة العربية المعاصرة لاتحتوي علىتلك الكثرة من المترادفات القديمة ، والحديث يدور اليوم على واقع العربية الآن والتي اصبحت مصفاة بعوامل الانتخاب الطبيعي وقانون التطور الذي يماشي العصر والزمن .

ينتقد الاستاذ صعوبات الاعراب والنحو فى اللغة العربية وانا لا ادري ماذا اقول لان الاستاذ يريد ان يجعل اللغة اللغة العربية تماما كاللغة الفرنسية او الانجليزية ولعله تناسى ان اللغة الالمانية مثلا اصعب بكثير من العربية ونحوها معقد الى حد بعيد وهذه الصعوبة لم تمنع الالمانية ان تكون لغة الفلسفة والآداب والعلم ولغة الشاعر (جوته) والفلاسفة « كانت وشوبنهاور ونيتشه » . اللغة العربية هكذا خلقت ولن تبقى لغة عربية اذا ابعدنا عنها النحو ، على ان الاتجاه الحديث فى النحو وتيسيره قد نجح ولم يعد الطالب فى المدرسة الثانوية مكلفا بالاحاطة بكل تلك المشاكل والنظريات الفلسفية فى النحو وتركت هذه الدراسة فى التعمق لطلاب الجامعة فى صف الاختصاص، ان النحو المدرسي اليوم سهل للغاية بل اجزم انه ابسط بكثير من صعوبات التصريف فى اللغة الفرنسية وتعقيد اعراب الجمل فيها ، والمهم فى الموضوع ان لكل لغة شخصيتها ومميزاتها الخاصة بها ان سهلا او صعبا

وبعد ذلك يقترح الاستاذ القضاء على شكلية اللغة والادب والاهتمام فقط بالمعاني دون اللفظ وشقشقة البلاغة الجوفاء ، اني لاعجب كيف يقترح الاستاذ هذا الراي وهذا المشكل قديم جدا ولم يبت فيه حتى اليوم ولا اظن انه ينتهي منه فهنالك انصار المعاني وهنالك انصار اللفظ ، اثير هذا السؤال حول سر اعجاز القرآن ، هل هو فى لفظه او فى معناه ؟ واعتقد ان الراي يتجه الى اعتبار اعجاز القرآن فى لفظه لان المعاني موجودة فى كل عصر ولكن تاديتها هو الذي يختلف من شخص الى آخر ، ويستحيل ان نقضي على شكلية اللغة والادب لان الشكل او الاسلوب او الاداء شرط لازم للكلام البليغ والكاتب العبقري هو من يوفق بين متطلبات المعنى واللفظ على حد سواء ، ففي اللغة الفرنسية مثلا اثير هذا الموضوع بين الكتاب

الكلاسيكيين او المدرسيين والادباء الرومانتكيين فى القرن التاسع عشر ، تعصب الاولون الى الاسلوب والاداء وكان الرومانتيكيون يرفعون من شان المعاني ، ثم اعادت المدرسة البارناسية حرمة وجلال اللفظ وهكذا دواليك حتى عصرنا حيث تجد الاتجاهين على على قيد البقاء ، ولذلك يستحيل القضاء تماما على اللفظ وعلى البلاغة ، وربما ينتقد الاستاذ تطرف انصار البلاغة ولكن هذا النقد يوجه كذلك الى المبالغين فى اهمية المعاني دون اللفظ ، والا كيف تستيغ معنى جميلا فى ثوب مهلهل ركيك او اسلوبا رصينا لمعنى سخيف ؟

ولا داعي للاشارة الى استدلال الاستاذ على ضعف اللغة العربية برسالة ذلك المعجب بالدكتور الفاضل لانه استدلال فاسد لاياتي به عاقل ، واكتفي بان اطلب من الاستاذ الحبابي ان يقرا قليلا كتب الحكيم والزيات والعقاد مثلا ليحكم على اللغة العربية ، واني آسف جدا ان تكون هذه الاسماء قد غابت عنه فاحتج بمن ياخذ صفرا لو تقدم الى مادة الانشاء فى الشهادة الابتدائية .

ذكر الدكتور الفاضل ان اللغة العربية فى عهد الحريري كانت منحطة وان هذا التاخر اللغوي صادف تقهقر الثقافة الاسلامية ، وهذا راي خاطىء تاريخيا على الاقل لان زمن الحريري هو القرن الرابع الهجري والقرن الرابع هو عصر اكبر فلاسفة العرب (ابن سينا ، الفارابي ، الغزالي) واشهر الرحالة والمؤرخين: اليعقوبي ، الطبري ، المسعودي ، ابن الجوزي) واعظم علماء الرياضة والفلك (الخوارزمي ، الكندي ، ابن الهيثم ، الخيام ، الطوسي) وفى هذه الفترة وصل علم الكلام الى اوجه وكذلك الفقه والتصوف ، وقد كتبت فى عصر الحريري اضخم الموسوعات الادبية : الاغاني للاصبهاني والكامل للمبرد وعيون الاخبار لابن قتيبة ، هؤلاء جميعا عاشوا فى القرن الرابع وعاصروا الحريري واذا كان الادب فى فترة الجمود فقد كانت الثقافة الاسلامية فى عصرها الذهبي الذي اشرقت فيه شمس الحضارة ونضجت ثمار الثقافة .

وبعد هذه الملاحظات ياتي الاستاذ باقتراحاته الخاصة لاصلاح اللغة العربية ، اولا بابعاد اللغة عن « المفهوم الديني التقديسي » واني لاود ان اقف طويلا عند هذه الفكرة لخطورتها ولكني ساخصص مقالا كاملا حول علاقة الادب بالدين فى الغرب وفى الشرق المسلم وذلك فى عدد قريب من « دعوة الحق » وساكتفي الآن بان اقول للاستاذ انه يجب الا يردد كل ما يقوله الناس بدون فهم وروية على الاقل لان فكرة فصل الادب عن الدين فكرة غربية لا اظنها صالحة بالنسبة الى عالمنا العربي ذي الطابع والتكوين الخاص والمعتز بدينه الانساني الخالد ، ولا اظن احدا قال بانه يجب ان نفصل اللغة عن المعاني الدينية لان اللغة اداة يمكن استعمالها فى الخير والشر فى التصوف واللاهوت او التنجيم والشعوذة ، ان اللغة تماما كالعلم الذي اعطانا الطاقة الذرية لتحرك بها المصانع فى خدمة الانسان والقنبلة الذرية لتدمير حضارة الانسان ، ولا ارى معنى لفصل اللغة عن الدين ما دامت اللغة حيادية بطبيعتها ، او لعل الاستاذ يريد منا الا نعتقد بقدسية نشاة اللغة اي ان اللغة كانت تخدم الدين الذي رفعها الى مستوى جليل ، وهذا الراي لايقوله الباحثون الا بتحفظ اذ ان العربية وجدت قبل القرآن ونزول الاسلام وان العربية لها قوة ذاتية وانها ظاهرة اجتماعية والدين ليس الا احدى العوامل التي جعلتها تبرز وتنتصر على باقي اللغات السامية الاخرى .

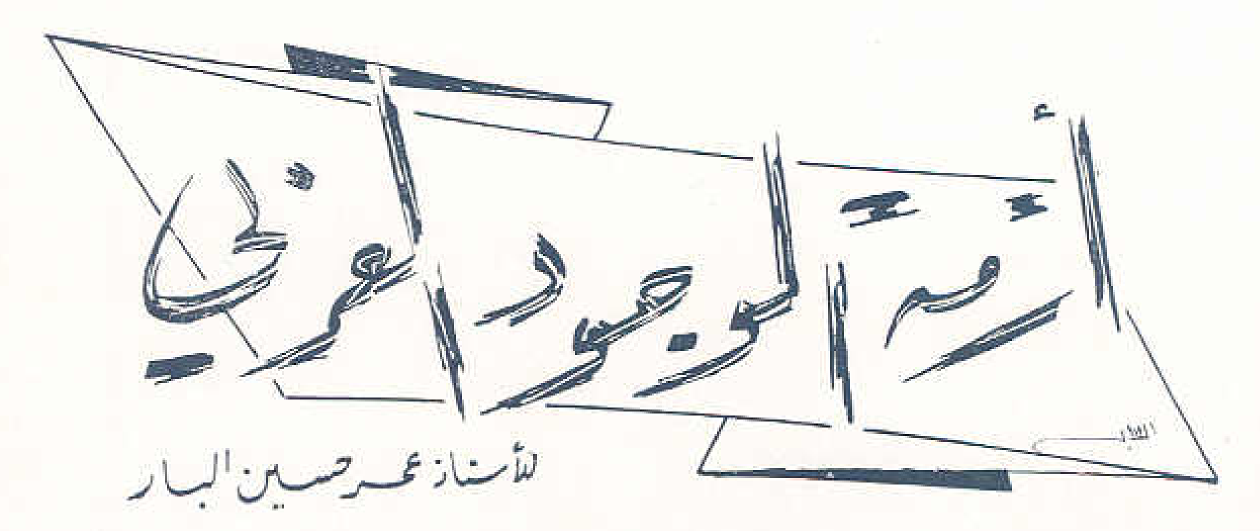
يقترح الاستاذ الكريم ان نتوجه الى الغرب بحثا عن المضمون الرفيع لان الشرق العربي اخفق فى هذا المجال ولم يعد صالحا ليكون محتذى وقائد المغرب المتحرر . فياله من راي خطير يا حضرة الاستاذ الفاضل ، انه لصوت نشاز ينطلق فى لحن شجي ، نحن اليوم نسعى لتكوين عقل واحد من المشرق الى المغرب والمجهودات ناجحة تبشر بقرب المنشود . فاذا بالاستاذ يطلقها زعقة مدوية مجلجلة بان افصلوا بين الشرق والغرب ، ومتى انفصل هذا الجسم الحي جسم العالم العربي عن بعضه بعضا حتى تريدوا له هذا المصير ؟ ومتى كان الغرب قائدنا فى دنيا الادب وصوت الشرق فى اعماق نفوسنا باسمائه اللامعة وكفاحه الجبار ؟ كيف نبحث عن مضمون ادبنا فى الغرب ونحن نعيشه هنا فى العالم العربي فى دنيا البناء والكفاح والتحرر ؟ هل تريد ان نتتلمذ فى الادب على «جيد» ذلك الشاذ جنسيا او على « سارتر » الهدام للقيم الروحية او على « سيمون دي بوفوار » التي لاتؤمن بالمراة كأم وانما كجسم للذة وكفى ؟ نحن يا استاذ نقرا لهؤلاء جميعا لنطلع على اجواء جديدة ولكن لانستطيع ان نتتلمذ عليهم لان هؤلاء لايعبرون عن واقعنا الشرقي العربي المحافظ :

اما ادباؤنا العرب فقد عاشوا ظروفنا وامتزج دمهم بدمنا ، ان هؤلاء قد يعطونا افكارا ولكن لن يعطونا روحا تنبض بالحياة ، قد يقدمون لنا بعض مواد البناء ولكن المقاول والمهندس منا من ادبائنا العرب في المشرق ؛ نحن نستطيع ان نستجلب من الغرب السيارة المكيفة الهواء وشفرة الحلاقة واحمر الشفاه ، ولكن هيهات ان تجد عندهم ادبا عربيا فصيح الروح واللسان الادب ليس سلعة تباع انه ينبع من ابنائه ومن ترابهم وكفاحهم وماضيهم ، قد كان الشرق العربي منارة للمغرب ولا عار علينا ان نحن تأثرنا بأدب شوقي وجبران والزهاوي وغنيم لان هؤلاء سبقونا في الزمن وسمحت لهم ظروف حرمنا منها ، واذا اخذنا اليوم فسوف نعطيهم غدا ، فنحن اخوة اشقاء من اسرة واحدة ولن تنجح وسائل التفرقة مهما كانت خفية او مقنعة .

وختاما لهذا الاعتراض على مقال الاستاذ الحبابي اود ان يكون الادباء عندنا والمفكرون في المغرب اكثر تحريا في اصدار الاحكام وان يزنوا الكلام والا يستخفوا بعواطف الشعب وان يكونوا بنائين عربا ، والشعب العربي لن يقبل منهم سوى عروبتهم واسلامهم ونضجهم الفكري العميق ــ ولا شك ان الاستاذ الحبابي له مكانته في عالم الفكر في المغرب فنرجو منه ان يكون اكثر جدية اذا ما تحدث عن الثقافة العربية وعن لغة الضاد ، ونصيحتنا اليه هي ان ينكب على دراسة هذا التراث العربي الجليل وهو لاشك فاعل ان اراد ان تبقى له حرمته كاستاذ جامعي تجري في عروقه الدماء العربية الصافية .

عناية الملوك باتقان العربية

قال ابو جعفر النحاس ويروى ان المامون كان يتفقد ما يكتب به الكتاب فيسقط من لحن ويحط من اتى بما غيره اجود منه في العربية ! فكان الكتاب يثابرون على النحو لما كان الرؤساء يتفقدون هذا منهم ويقربون العلماء ، كما قال الفضل بن محمد جاءني رسول الرشيد فنهضت ودخلت فسلمت عليه ، فأومأ بيده ومحمدعن يمينه والمامون عن يساره والكسائي بين يديه يطارحهم معاني القرءان والشعر ، فقال لي الرشيد كم اسم في « فسيكفيكهم الله » فقلت ثلاثة اسماء يا أمير المومنين اسم الله عز وجل والكاف الثانية اسم النبي (ص) والهاء مع الميم اسم الكفار قال الرشيد كذا قال الرجل واوما بيده الى الكسائي ثم التفت الى محمد فقال افهمت ؟ قال نعم ، قال فرده علي ان كنت صادقا ، فرده علي ما لفظت به فقال : احسنت امتع الله بك »



للأستاذ محمد حسين البار

العربي الذي افاق على النداء الرهيب منبعثا من صميمه يهيب به ، ويستصرخه للذود عن كيانه الذي اشرف على الانهيار ، ويدعوه الى حماية واقعيته الاصيلة ، المستكنة في اعماق نفسه والتي كانت هي الاخرى ، لقمة تتناتفها مناجل التمزق ، ويرهقها سيل جارف من القلق اللانهائي ، ويلفها ليل الاباطيل والاقاويل ، هذا العربي الذي شهد بام عينيه وجوده ينسحق على رصيف الذل والمهانة .. والفى كرامته تداس تحت اقدام الاستعمار الانجلو ـ فرنسي والموجات البربرية الضارية ، هذا الذي شهد ارضه تجود باسخى ما تملك ، وتفترس ساحات المعارك ، وميادين الوغى باضاحي الحق المقدس ، بفلذات اكبادها ، والذي احس عمق المأساة ، هذا العربي يكتنفه صراع رهيب ، مفزع ، ويقض مضجعه سراب كابوسي غاشم ، يجثم على صدره ويرعد فرائصه ، وينوشه باراجيفه ، ويخنق جوه بنظراته النهمة ، وتنبعث في اعماقه صرخة منطلقها ، اصالته الضاربة جذورها في اعماق التاريخ السحيقة ، ومداها المستقبل اللامتناهي، ولحمتها ، معطيات الحاضر المتفتح المشرق ، هذا النداء يوقظ في جوانحه ، اخيلة انتحار الحق المقدس ، ويشحن في احشائه جرح المأساة المندمل ، ويثير في كوامن نفسه ، جذوات اللهب الثوري الفاعل فيمتزج كل عناصر اليقظة ، وتختمر مقومات البقاء لديه من اصالة واحساس وتوثب ، فيؤخرها جاهدا في ابراز استعداده لتاكيد نفسه ، وتأهبه لاستعادة نضارته واشراقه ، ويقولبها في حقيقة وجودية ، ثورية ، متمردة على هذا الديم الخانق الذي ظل فترة من الزمن يخنق انفاسه ، ويختصر مطامحه ، ويثبط عزيمته : انه يدرك كيف نسجت هذه المآسي ، وكيف حيكت هذه المؤامرات على وطنه العربي ، ويعرف ، كيف تمزق كيانه العربي من خلال الانتحار الفظيع الذي ذهبت ضحيته قطع عزيزة من وطنه العزيز .

واذن فان فترة الارتخاء والكسل ، لم تعد ذات ارتكاز ، وعليه فان مرحلته هذه تضع امام عينيه مسؤولياته ، تبعات استعادة التلاحم الوجودي لامته ، وتهبه ، انبثاقات واعية جديدة تشكل لديه ، الخطر الثوري الذي ينبغي له اتباعه والانضباط فيه ، حتى يؤدي دوره ، في اثبات وجوده ، وتاكيد ذاته ، وحتى يعمل على تعميق منطلقه وارساء نزوعه الى الانعتاق على نحو من الجدية والرصانة ، وفي تربة خصبة ، تستطيع خلق البذور الانقلابية في اعماق نفسه .

لم يعد هذا العربي صدى لفكرة خارجية ، تمليها ظروف غريبة عنه ، ولم يعد انعكاسا لتجارب امة اخرى لاناقة له فيها ولا جمل ، وليس في امكانه ابتسار ايديولوجية لاتناغمه شكلا ولا مضمونا ، ولا تواكب تطوره التاريخي ، بل اصبح الآن ذا مضمون ثوري انقلابي جذري خاص ، يخضع لاملاءات الشحنات الوجودية الاصيلة المستكنة في طوايا نفسه ، ويستجيب للاخلاقية والقيمية والروحية حيث تمد جذورها ، الى طفولته ،الوجودية التكوينية ، وتنبثق من ادراك شمولي لمستنبطات المرحلة التاريخية المعاصرة ، تلك التي ، تستدعي الالمام الكامل بنفسية هذا العربي اللامطمئن ، حيث يمكننا اتخاذها منطلق الثورة العربية التقدمية ، ذلك ان اي تهمين حولها ، واي دوران حول محورها ، لايؤدي في النهاية الا الى الرجوع الانكماشي ، نحو نقطة البدء ، ولا يقود الى شيء سوى الانقسام

الرهيب ، في تلاحم الوجود العربي ، وفقدان الاصالة . وتكون من نتائجه ايضا التبعية والالحاق ، والتقليد الاعمى ، من هذه الحقيقة تنطلق ، ان العربي اليوم بين اجواء القلق والخيبة ، وتنتابه موجة من اعجاب بالحضارة الغربية ، منسحقا امامها ، انسحاقا غريبا ، وترن في اذنيه بشكل مرعب ، نغمة مسفوحة ، هي ذكرى الوجود المبعثر ، فهو متعثر مضطرب متقزز . ايستهويه عجيج الآلة ، وضجيج الافران الكهربائية وملامح الحضارة الغربية المادية فيتقمصها متجاهلا سماته وخصائصه ؟ فيغدو تابعا ، لاظل له ، لاحقا لايملك كيانه ، سطحيا لاجذر لديه . . ؟ ام ينبهر بتجارب شعب غريب في سحنته ، مغاير في ظروفه ، مختلف في مفاهيمه وذهنيته ؟ فيغدو بذلك تجاويبا جافا في تجويف هائل ، يكتسح خصائصه ويلتهم مقوماته ، ويستحق طابعه ، وليس ذلك فحسب بل هو يذيب في احشائه كل مقدرة على الانتفاض ، وكل استعداد للتوثب والتحفز ، ام انه يتوسط حالا مشكلته بالاخذ من كلا الطرفين فتستقيم له حلوله ، وتتسق نظرته حين يحسن الاخذ والاقتباس ، ويصبح في مقدوره الاحتفاظ بشخصيته ، واصالته دون ان يلحق بهما زيف او تشويه ؟

ما فتئت هذه التساؤلات تعصف بالعربي اليوم ، انه يجهل واقعه ، ويصعب نتيجة لذلك ان يتمرد عليه ، انه مهبول امام استفاقة الغرب ، ولكن دون بصيرة ، فيذهب ضحية الاعجاب الطفولي ، ذلك الذي تنميه عقد النقص ، ومركبات الاحساس بالقصور والضعة ان الانسان العربي معقد ، انه يصرخ ويتالم ، وهو يتأوه ، وينقد ، بل يبلغ به العبث الذي يحس به ان يقتال ويهدم دون تنظيم او انضباط ، انه يفكر في لقمته وياخذ عليه الكفاف جل تفكيره فينسى واقعه ، ويستصغر اخلاقيته ، ليمرغها في وحل الواقع المريض ، فما هو الحل اذن لمشكلته ؟ بل كيف نستطيع ايجاد الوصفة الطبية الناجعة لهذا العربي المتمزق ؟

ليست مسالة الانقسام الوجودي الا صدى لفترات الذل والعبودية اللذين غط فيهما العربي قرابة ستة قرون كانت كلها تتراقص امام عينيه ، نجيعا واشلاء ، ويبرزها التاريخ نصب عينيه ، حروفا كتبت بماء الغدر والخيانة ، وشتها اصابع العبث والتشويه ، وحملتها حروف النعي المجنحة ، الى مسمعيه ، لتصمه عن نداء الوجود اليقظ المستتر .

ان واقعه المتخثر الذي يلفه في سراديبه ، يحمل طابعين اثنين ،وان تمزقه هذا ذو وجهين مختلفين يتجليان كلاهما في الاحتلال باوسع معانيه ، فهو اذن مسلوب الحرية ، لايملك حق التنفس ، فليس من حقه ان ينفرط من عقد الواقع المقيت ، وليس في امكانه ان يستقل ، فيفكر كيفما شاء ، ، ويناقش اني اراد ، ويدرك على سليقته ، وبوحي من ذاته ، من هنا يبدو ان الاحتلال يتخذ شكلا معنويا روحيا ، فان جوانب العقلية العربية ما انفكت عرضة للتنافت والتنابز ، وهي مجال لاخصاب الهراء ، وتكاثر الاساطير والاشباح ، ومسرح تتراقص عليه المسوخ الميتافيزيقية ، لتملأ عالم الفكر العربي حلكة ، وتبعده عن الطريقة الموضوعية التجريدية ، فاذا فكر ، فلأن العبث يدعوه الى التصدي لسفاسف الامور ، والعناية بما هو خارج اطار كيانه ، واذا ادرك فان ادراكه منخور مريض ، تنقصه الدقة ، ويعوزه الشمول ، ويفتقر الى النظرة التجريدية ، في حين يغص بانعكاسات الرؤى العاطفية ، والمعاناة الرومانسية ... من تأوه وتألم ، وتوجع ، يؤدي به ذلك كنتيجة الى التشاؤم الممل ، واللجوء الى الزوايا النتنة التي طالما استمرا في اجوائها المركومة عيشه ورضع منها لبانات الذلة والمسكنة .

انه فقد اول حق له في الوجود ، بل انفلت عن عمود الوجود الفقري نفسه ، وحين طفرت منه صرخة التشبث بحريته المسلوبة لم يكن ذلك الا لانه ادرك العلاقة التبادلية الحتمية بين الوجود والحرية ، زاد ذلك معطيات الماضي النضر نفسه ، اذ ما فتيء يمده بدفقات الاستقلالية ، ويشيع في نفسه جوا بهيجا من الامل والثقة سرعان ما تذهب خواءا ، وتتبخر ذلك انها تائيه وهو في حالة الانقسام الوجودي العميق فهو لايوجد لانه لايفكر ، وهو لايفكر لانه سليب الحرية ، ولم يكن هذا الاستعباد ليتناول الجانب الروحي ، بل تعداه الى النطاق الحي ، فاصبح يمد اصابعه الى وجوده المادي ، الى يومياته فهو لايملك حق التمتع في خيراته ، وليس له في طيوب ارضه ، ومكتنزاتها غير ما يجود به السادة (السوبرمين) ولانه فقد الحرية ، فقد مات شعوره بوطأة الكابوس الذي يعيشه ، ولم يستشعر ثقل الجاثوم البغيض الذي يثقل كاهله ، فالعجز المادي يعوزه ، لانه يستغل ويستنزف ، ولان هذا الاستغلال والاستنزاف ، مدا جلابيبهما الى ارجاء فكره ، كالاخطبوط المخيف ، فلم يجد ما يمكنه من استعادة توازنه ، وضبط استقامة وجوده ، بل لم

يبق في مقدوره اعادة تصالح الاجزاء المتناثرة العاطبة من وجوده انه يقف كل يوم امام اتهام جديد ، يجرده من عروبته ، ومن وجوده ، ويفصله عن التربة التي نشأ تحت سمائها ، وزكا عوده في ربوعها بل اكثر من هذا انه يهاجم في صميم ذاته ، ولانه لايملك الحرية فليس في مقدوره اذن ان يجابه هذا التحدي السافر ، او يصد تلك المؤامرة الغربية الصهيونية على وجوده ، ومحاولة سلخه عن مهاده ، وطرده من ارضه ، وينقل بصره يمنة ويسرة نحو الاجزاء الداخلية لواقعه ، فيندهش اذ يلقاه يغص بمختلف ضروب النشاط الفكري ، وتكتسحه اول مايدلف تيارات مذهبية ودعوات حزبية ، حين يتبصرها ويمعن النظر في اغوارها ، تفجاه الحقيقة المفجعة ، وهي انها جميعها لاتناسبه ولا تحل له مشكلته ، فالنظرية الماركسية المادية ، بانحلالها وتفسخها تغاير انطواءاته الاخلاقية ، واصالته الروحية ، وهي بتمرغها في جوابي الوحل المادي ، تناقض المفاهيم التي حملها منذ ان كان يجوب الصحراء بحثا عن الكلأ والماء ، اذ هي نقيض الافكار المتغلغلة في خلاياه السارية في خلجات نفسه ، فهو يفهم العطف والرحمة ويدرك الشرف والاباء ، ويقدس التضحية والاخلاص ، ويعتز بالامانة والاخلاص ويذود عن عرضه وحرماته وهي ترقص هذه القيم الاخلاقية المطلقة على نغمات القرش او الدولار ، وهو حين يفكر في النظام والفرد والدولة ، يمقت نظرتها التي تجعل من الفرد مسمارا في جهاز ضخم هو الدولة ، ويفاخر بشخصيته ويأبى لها الذوبان ، ويرى في الماركسية تآمرا على اخلاقه وروحه ووجوده ، ودسيسة اريد بها طمسه والقضاء عليه ، فيلوي كشحه عنها ، ويعرض عن دعوتها الداعرة ، فتصدم عينيه نشاطات الراسماليين والاوليغاركيين والطبقات المترفة ممن ذهب بهم التنافس الاقتصادي الى القضاء عليه ، وحرمانه لقمة العيش التي تسد رمقه ، بل كان من جراء ذلك ان رقص المستهلكون من امثاله ، على سيمفونية الحرمان ، وذهبت دماؤهم واموالهم ، نهبا على شفير المصنع ليتلقى المنتجون والملاك دماءهم في اواني الجشع والطمع والنهم ، التي تغص بها بطونهم ، واذن فان عليه ان يقف بعيدا عن هذه النظرة ايضا ، اذ انها رغم ادعاءاتها الروحية ، وتشدقها برسالة بث الحضارة والمدنية ترتكب في حق وجوده ، القومي ، الجرائم التي يقف هو رغم ما اوتي من خشونة ، اماميا ، ذائبا متصلبا لما فيها من واد الضمير ، وتحلل من ابسط الوازعات الانسانية ، فهو اذن مطلوب ليرفض الحضارة الاستعمارية المتآمرة كما رفض النظرة المادية قبلا ، اما عن الصيحات التي تبدو لاذنيه احيانا ، كنعيق الغراب ، فانه يرى فيها قصورا فكريا وعجزا عن التصور الكلي المحض ، لقيم الجمال ، ولذا فهو لايأبه بالقومية السورية او المصرية الفرعونية ، ويركلها ساخرا بملء قدميه ، ولا يأبه للنظرة التقهقرية التي تريد ان تعود الادراج بعقارب الساعة وعجلات الزمن ، ويحاول ان يتعدى ذاته هازئا بالنظرات الاقليمية المحدودة والنظرات التقلصية التي تسعى جاهدة الى بث الاشواك وزرع العقبات في طريقه ، غير ان شبح المأساة ما زال ماثلا امامه ، فكيف ينطلق وما هي ملامح الطريق التي يتحتم عليه اتباعها ؟

ان مشكلته هي مشكلة الوجود المتمزق ، الوجود الذي يعلوه ركام الاتربة والاساطير والحذر ، وعليه اذن ان يعرى هذا الوجود وياخذ به الى مستوى المعركة التي ينوي اشعالها ، ثم يمضي في تحليل الداء انه متمزق ويجب ان تتصالح اجزاؤه ، ومستغل ، ولابد من اعادة الحق الى نصابه ، ومتخلف كنتيجة للاستغلال وسلب الحرية وعليه ان يلحم اجزاء كيانه ، ان وحدته هي الضمان الوحيد لاستمرار حيويته ، وهي وحدها التي يمكن ان تهبه ارتكازا في هذا المعمور ويلقي نظرة عميقة في اعماق التاريخ السحيقة ، ليعرف ما اذا كان التاريخ يجيب بمستنداته على سؤاله اللحوح .. **اعربي انا ؟ ؟**

وفجأة تتهلل اساريره ، وتنبسط تجعدات اليأس على وجهه ، ان التاريخ يجيب واثقا ، **نعم** ، واذن فليس العربي بحاجة الى اثبات هذه البدهية ، اذ هي احدى المسلمات ، والمقررات التي هي في غنى عن المجهود العقلي ، انها من الحقائق الاولية .. غير ان واقعه يتصدى له كالوحش الكاسر ، فالاحكام الرجعية والتخلف العلمي ، ومجموعة الاوهام ، والطراز الاجتماعي القديم ، وموجة الاستغلال التي تلفه في جرابها ، وتقف عائقا عن تقدمه ، فما عليه اذن الا ان يحرر نفسه منطلقا من اسار هذه الاغلال التي ارهقت كاهله ، وحزت على عاتقه ، ان استعادته لحريته هي الحل الاول لاثبات وجوده ، ولا يعتم ان يفجأ بسؤال رهيب ، وماذا بعد تحقيق وحدتك وحريتك ؟ انه سؤال خطير ، غير ان طرحه غير ذي انسجام او وفاق ، ان حريته ووحدته مرتبطتان ارتباطا حياتيا من

اعادة خيراته المسلوبة ، وتحقيق المستـوى المعيشي الذي يتطلبه ، وعليه فيجب الا يفصل هذه الاقانيـــم الثلاثة عن بعضها فارتباطها هو ذلك الذي نلمســـه في علاقة الداء بالداء ، او الغريق بقارب النجاة ، او البذرة بالماء ، وان اي فصل في صميمها يعتبر ضربة موجهــة لكيانه ، غير ان لديه اساليب مختلفة لتحقيق العدالة الاجتماعية هل ينجرف مع التيار الاشتراكي الخيالـي الذي نما وترعرع على يد سان سيمون واضرابــه في فرنســا ؟ ام تاخذه الاشتراكية العلمية بما فيها اجابات مادية حتى على ابسـط تساؤلات الفكر ؟ ام ان لــه في الاشتراكية الغابية مأربا ؟ ويظل يسأل نفسه هكــذا مستعرضا كافة الاساليب الاصلاحيـة الاجتماعيـة ، ناقدا ، محللا حتى يسمع في اعماقه نداء الى الاستقلال الفكري ان عليه ان يصلح ذات نفسه بما يتلاءم مـــع هذه الذات ، لاينبغي له ان ينتحل منهجا في الاصـــلاح لايطابق ظروفه واوضـاعه ، وليس جديرا به ان يأخـذ تجربة امة غريبة عليه لها ظروفها ومحيطاتها ليطبقهـا بحذافيرها ، ان مالك بن نبي الفيلسوف الجـزائـري يقول في كتابه « مشكلات الحضارة » (على انه لايجوز لاحد ان يضع المناهج والحلول مغفـلا مكانـة امته ، وظروفهـا واوضاعهـا) .

هذا مـا قالـه الفيلسوف العربـي ، وهـو اذ يستعرض هذه الافكار ، انما تزكم انفه رائحة التقليـد والاتباع ويبحث جادا عن شخصيته خلالها فلا يجدها، ان اشتراكيته هذه نابعة من ذاته لتعيد اليه ذاته ، انهـا الحركة التلقائية التي تقوم بهذا الذات النازعـة الـى التحرر لتعيد تصالحها وانسجامها ، واذن فان تمزقه وضياعه سيتلاشى اول ما يتخذ من الوحدة والحرية والاشتراكية العربية ميسما يتسم به حتى سلوكـــه اليومي ، ويكون دافعا له نحو الخلق الحضاري والابداع الفكـــري الشامــــل .

من اخـلاق الرسول عليه السلام

في الصحيحين عن عائشة ماخير رسول الله بين امريــن الا اختـار ايسـرهما ما لم يكن اثمـا ومـا انتقم رسول الله لنفسـه قط الا ان تنتهك حرمة الله فينتقم لله ، زاد مسلـم وما ضرب شيئا بيـده ولا امـراة ولا خادما الا ان يكون يجاهـد في سبيـل الله »

بحث اقتصادي

ماذا تعرف عن اتفاقية : بريتون وودز أو مشروعي صندوق النقد والبنك الدولي للانشاء والتعمير

للاستاذ محمد الصادق البقالي

قبل ان نتعرف على مؤتمر بريتون وودز يجدر بنا ان نقف على بعض العوامل التي كانت سببا في التفكير في انعقاده .

فمنذ بداية الحرب العالمية الى وقتنا هذا مرت النظم النقدية باطوار مختلفة وطرات عليها تغيرات هامة الى ان افضى بها المطاف اخيرا الى تعميم النظام الذي نشاهده الآن متبعا في العالم وهو نظام النقد الموجه .

عندما نشبت الحرب العالمية الاولى كان النظام النقدي السائد في العالم يقوم على « قاعدة الذهب(1) » بحيث كانت النقود المتداولة عبارة عن **قطع ذهبية واوراق نقدية** قابلة للتحويل الى ذهب .

واذا كان لتطبيق نظام قاعدة الذهب من نهاية القرن التاسع عشر الى قيام الحرب العالمية الاولى اثر محمود على العلاقات الاقتصادية الدولية فانه بمجرد اعلان الحرب عمدت معظم الدول الى الخروج عن هذا النظام وذلك بايقافها قابلية تحويل اوراق نقدها الى ذهب لندرته ولحاجتها الماسة اليه وقتذاك .. وكان لهذا التصرف وقع سيء على التجارة الدولية اذ فقدت العملات لهذه الدول قيمتها نظرا للتضخم الذي شمل عملاتها نتيجة الاصدار بدون مراعاة الغطاء الذهبي من جهة وفقد ثقة المثلين بها من جهة اخرى ، فسادت التقلبات في الاسعار مما عرقل عمليات التصدير والاستيراد وحل الفتور والكساد في التجارة العالمية .

وكان من الطبيعي بعد هذه الفوضى ان تفكر تلك الدول في امر لعلاج الموقف فلم تجد وقتئذ من وسيلة الا العودة الى قاعدة الذهب ثانية وذلك ابتداء من سنة 1924 .

واذا كانت بعض الدول قد ثبتت قيمة عملتها بعد الرجوع الى قاعدة الذهب عند المستوى المنخفض الذي وصلت اليه خلال فترة التضخم او اعلا منه قليلا .. فاننا نجد دولا اخرى كانجلترا مثلا ثبتت سعر عملتها (الاسترليني) عند نفس المستوى الذي كان عليه قبل الحرب ، وكان لذلك اثر سيء عليها لانها افترضت عدم تغير الظروف التي كانت سائدة قبل الحرب وهذا خطأ .. لان التجارة قبل الحرب كانت تتمتع بحرية التصدير والاستيراد اما بعدها فان معظم الدول عمدت الى فرض رقابة جمركية على تجارتها الخارجية فعرقل ذلك النشاط التجاري الدولي . . كما ان مستوى اجور العمال في انجلترا كان قبل الحرب منخفضا ولما نشبت الحرب اخذ هذا المستوى يرتفع وبانتهاء الحرب لم تتمكن انجلترا من تخفيضه الى المستوى الذى كان عليه قبل الحرب اضف الى ذلك ان الازمة العالمية التي صحبت فترة الكساد العالمي سنة 1929 التي بدأت في امريكا والتي زعزعت مالية

---

(1) يقال عن دولة انها تتبع نظام قاعدة الذهب اذا كانت تعتمد على معدن الذهب في تثبيت قيمة عملتها بالنسبة الى قيمة العملات الاجنبية مع توافر شرطين وهما حرية تداول الذهب بين جميع الدول وثبات سعر الذهب بالنسبة الى عملة كل دولة .
النظم النقدية والمصرفية ــ الدكتور عبد العزيز مرعى .

كثير من دول اوربا ومنها انجلترا .. فلم يعد والحال هذه امام انجلترا الا ان تخرج عن قاعدة الذهب مرة اخرى .

اما فترة الحرب العالمية الثانية فقد شهدت تطبيق نظام الرقابة على النقد بكل تشديد حتى تستطيع ان توجه الدول مواردها الانتاجية نحو تحقيق اهدافها الحربية ، وحفظ قيمة عملتها من الانهيار والتدهور فأصبحت عملاتها غير قابلة للتحويل الى ذهب ولا الى عملات اجنبية ، كما اصبحت التجارة الدولية مقيدة هي الاخرى اذ لم تعد للدول الحربية في ان تشتري ممن تشاء من دول بل تراعي الشراء فقط من تلك الدولة التي باعت لها منتجاتها وتكون لها رصيد دائن لديها .

ومنذ سنة 1942 بدا الحلفاء يفكرون في خلق نظام يكفل الرجوع الى ظروف السلم العادية بعد الانتهاء من الحرب (2) . وانشاء هيئة تقوم بتنظيم المعاملات بين الدول حتى لاتتكرر الفوضى التي شملت العالم منذ الحرب العالمية الاولى .

وقد اسفرت الدراسات التي اولاها دول الغرب جانبا خاصا من اهتمامهم الى وجود ثلاثة اتجاهات متضاربة في الراي هي :

1 ـ اتجاه يعرف باسم « **مشروع فريزر** » يرى العودة الى قاعدة الذهب بعد اعادة توزيع الذهب على الدول المختلفة توزيعا نسبيا . غير ان هذا المشروع لم يقدم بصفة رسمية .

2 ـ اتجاه يعرف « **بمشروع كينز** » (3) ويرمي الى احتفاظ كل دولة بحق تعديل القيمة الخارجية لعملتها بحيث يظل مستوى اسعارها الداخلية ثابتا .

3 ـ الاتجاه الاخير يعرف باسم «**مشروع هوايت**» نسبة الى واضعه الدكتور هاري هوايت « وكيل وزارة المالية بالولايات المتحدة حينذاك » ويرى ضرورة انشاء هيئة دولية تشرف على **عمليات الصرف وتضع** تحت تصرف الدول المختلفة اموالا مقومة **بالعملات** الاجنبية التي تحتاج اليها بحيث لايتعرض ميزان مدفوعاتها للخطر ويظل سعر الصرف ثابتا .

وقد تم التوفيق اخيرا بين المشروعين **الثاني المعروف باسم كينز** المقدم من طرف انجلترا والمشروع **الثالث المعروف باسم هوايت** الامريكي وذلك بمعرفة لجنة دولية من الخبراء الماليين ضمت مندوبي عشرين دولة .

على ان المشروع الامريكي اتخذ كأساس بعد ان ادخلت عليه بعض التعديلات لتقريبه من المشروع الانجليزي .

وكان البيان المشترك الذي أصدرته اللجنة المالية التي قامت بمناقشة المشروعين هوالاساس الذيدارت حوله المناقشة في المؤتمر العام للامم المتحدة والمتحالفة والذي عقد بمدينة بيرتون وودز (Bretton Woods) بمحضر الرئيس الامريكي روزفلت سنة 1944 وكان عدد الدول التي حضرت المؤتمر اربعا واربعين دولة .

وبعد النقاش الذي دار حول الفكرة الاساسية التي قام عليها وهي **ضرورة تحقيق التضامن والتوازن الاقتصادي في العالم لان اي اختلال في اية دولة سرعان ما ينتقل الى سائر الدول الاخرى** ـ انتهى المؤتمر الى وضع وثيقة نهائية اشتملت على مشروعين هامين هما :

1 ـ تثبيت النقد .

2 ـ الاقراض الدولي .

وقد وقع على هذه الوثيقة ممثلو كل الدول المشتركة في المؤتمر .

وقد نصت الاتفاقية على تأسيس هيئتين عالميتين لخدمة الاستقرار النقدي المتوازن والتمويل العالمي على نطاق واسع والهيئتان هما :

(2 الحرب العالمية الثانية .

(3 Keynes

1 ـ صندوق النقد الدولي .

2 ـ البنك الدولي للانشاء والتعمير .

وقد اصبحت نصوص الاتفاقية سارية المفعول ابتداء من 27 ديسمبر عام 1945 .

وقد جعل النظام الاداري لكل من صندوق النقد الدولي والبنك الدولي للانشاء والتعمير موحدا تحت اشراف مجلس من المحافظين تتركز فيه جميع السلطات ومجلس من المديرين يتكون من 14 عضوا تعين الدول صاحبة اكبر الحصص خمسة منهم اما التسعة الباقون والذين يمثلون بقية الدول الاعضاء فينتخبهم المحافظون . ويباشر المديرون جميعهم السلطات الممنوحة لهم بواسطة مجلس المحافظين ويراس هؤلاء جميعا مدير عام تليه هيئة الموظفين العاديين .

ولكي نتعرف على خصائص واهداف كل هيئة على حدة يجب ان نتناول كلا منها على انفراد بشيء من التفصيل .

1 ـ صندوق النقد الدولي :

تتكون اموال هذا الصندوق من الحصص التي حددتها الاتفاقية بالنسبة للدول الاعضاء على ان تدفع من تلك الحصة (Ousta) نسبة 25 ٪ ذهبا او 10 ٪ مما يمتلك رسميا لدى كل دولة عضو من ذهب ودولارات الولايات المتحدة وذلك حسب ما تقتضيه احوال البلاد الاقتصادية ومصلحتها المادية اما بقية الحصة فيدفع بالنقد الاهلي للدولة وتاخذ شكل رصيد دائم يودع بالبنك المركزي للعضو باسم الصندوق او بشكل اذونات خزانة لاتدفع عنها فوائد او اي شكل آخر تختاره حكومة الدولة العضو بحيث تكون مسؤولة عن دفعه بعملتها اذا طلب الصندوق ذلك

وتعتبر هذه الحصة اساسا لما يقدمه الصندوق للدولة العضو فى المستقبل من تسهيلات وخدمات كما تعتبر اساسا لعدد أصواتها فى اجتماعات الصندوق .

اما الاهداف التي يرمي اليها هذا الصندوق فهي الآتية :

1 ـ تهيئة الوسائل اللازمة للتشاور والتعاون فى بذل الجهود لحل مشاكل النقد الدولية

2 ـ تيسير وسائل التوسع فى التجارة الدولية .

3 ـ العمل على تحقيق الاستقرار فى اسعار مبادلة النقد بين الاعضاء مع تجنب المنافسة فى تخفيض قيم العملات

4 ـ العمل على التخلص من القيود المفروضة على مبادلة النقد التي تعرقل التجارة العالمية .

5 ـ سهولة تعديل تقلبات ميزان المدفوعات للاعضاء بجعل موارد الصندوق فى متناول يدهم مع اتخاذ الضمانات اللازمة .

6 ـ توفير الثقة بين الاعضاء وتقصير المدة التي تختل فيها موازنة المدفوعات الدولية . والحد من درجة اختلال التوازن .

اما الغرض الذي من أجله فضلت سياسة الصندوق الحصول على عملات البلاد المختلفة المنضمة اليه فهو التمكن من عملات هذه البلاد حتى تكون تحت طلب اعضائه بحيث اذا لم يكن لدولة ما عملة انجلترا مثلا فان تلك الدولة تلجأ الى الصندوق ليقرضها تلك العملة حتى تجري عمليات التجارة مع انجلترا وهكذا بالنسبة لعملات سائر الدول الاعضاء .

2 ـ البنك الدولي للانشاء والتعمير :

يبلغ راس المال الاسمي لهذا البنك 10 مليارات من الدولارات قسم الى عدد من الاسهم قيمة كل منها 100٫000 دولار للاكتتاب والتداول بين الاعضاء فقط على ان لايقل اكتتاب العضو عن سهمين ..

ولا تقتصر مساعدة البنك على الدول التي حل بها الدمار خلال الحرب ، بل يعني ايضا بمعاونة الدول التي ينقصها المال للانشاء والتعمير . وقد قام هذا البنك خلال عشر سنوات بعقد قروض تقرب قيمتها من الفي مليون دولار لاربعين دولة .

ويرى البنك ضرورة الحد من سياسة التوسع فى الاقراض وقصره على الحاجات العاجلة للدول

الاعضاء كما يضع فى تقديره الاعتبارات الاقتصاديـة دون تحيز او محاباة او تاثر بالأهواء السياسية ، مع مراقبة صرف المبالغ المقترضة فى الوجوه التي عقـد القـرض مـن اجلهـا .

وبمجرد الانضمام الى الاتفاق ترسل الحكومة المنضمة الى حكومة الولايات المتحدة الامريكية مبلغا يعادل واحدا فى الالف من اجمالي اكتتابها ذهبا او دولارات امريكية وذلك لمواجهة النفقات الادارية .

اما الاهداف التي يرمي اليها هذا البنك فيمكن اجمـالها فى الآتـي :

1 ـ مساعدة الـدول الاعضاء بتوفير رؤوس الاموال اللازمة لها للاغراض الانتاجية وتشجيع التنمية الاقتصاديـة .

2 ـ تشجيع عمليات الاستثمار الخارجي التي يقوم بها الافراد والهيئات الخاصة وذلك عن طريق ضمان القروض والاستثمارات والمساهمة فيها .

3 ـ العمل على توسيع نطاق موارد الانتاج لدى الدول الاعضاء حتى تكفل لها التنمية والتوازن .

4 ـ تنظيم القروض التي يقدمها البنك للاعضاء او ضمان القروض الدولية التي عقدت عن طريقه .

بقي لنا الآن ان ننظر الى المزايا التي تعـود على الدولة من الانضمام الى هذه الاتفاقية (بريتون وودز)

لما كان من المحتمل ان تندر عملة احدى الـدول بحيث يصبح الحصول عليها مستعصيا فانـه نص فى الاتفاقية على ان تقوم هيئة الصندوق باعـلان ذلك للاعضـاء فتصبـح هـذه العملة نـادرة رسميا (صعبة) وعندئذ توزع على الاعضاء بنسبة حاجة كل منهم على ان يراعى فى ذلك الموقف الاقتصادي الدولي بصفة عامة وغير ذلك من الاعتبارات .

كما نص فى اتفاق صندوق النقد الدولي على استئناف عمليات تحويل عملات البلاد المختلفة من بعضها الى بعض دون قيد مادام هذا التحويل لاغراض تجارية وفى حدود ميزان المدفوعات لكل بلـد ونـص كذلك ان وجد عجز فى ميزان مدفوعات اي بلد عضـو ان يلجأ للاقتراض من الصندوق لتحقيق الموازنـة وبالاضافة الى كل هذا فان للانضمـام الـى هيئـة الصندوق فائدة اخرى ذات اهمية كبـرى وهـي الاشتراك فى عمل ايجابي لتحقيق مشروع تعاونـي دولي يهدف الى استقرار عملات الدول الاخـرى وفى هذا مصلحة اخرى تتمثل فى ترويـج الحاصـلات فى الخارج ورفع مستوى المعيشة فى الداخـل .

كما ان فوائد الانضمام الى هيئة البنك لايستهان بها اذ يكفي ان يكون فى مقدور كل دولة الالتجاء اليـه لمساعدتها على عمليات الاصلاح والتجديد عن طريـق مدها بالاموال اللازمة على هيئة قروض طويلة الاجل .

مراجـــع :

* السياسات الاقتصادية الدولية
فـؤاد محمد شبـل

* الاتجاهات الحديثة فى الاقتصاد الدولي
الدكتـور منيـس اسعـد

* النظـم النقديـة والمصرفيـة
الدكتـور عبد العزيز مرعى

* مقـدمـة النقـود والتجـارة
الدكتـور عبد المنعم القيسونـي



ما يزال المغرب يعاني نوعا آخر من الاستعمار، ولربما كان هذا النوع من الاستعمار اشد مرارة من الاستعمار السياسي الذي تحررنا منه ، ونعني بهذا النوع من الاستعمار الاستعمار الفكري الذي يحول دون ابراز شخصيتنا القومية بجميع مقوماتها ، ومما لاشك فيه اننا نعيش فى القرن العشرين ، وانه يجب علينا ان نسعى سعيا جادا لتكييف جميع مظاهر التطور فى بلدنا وفى مختلف الميادين ، ومن اللازم ان نتفاعل مع هذا التطور ونسايره مسايرة تمكننا من الجلوس فى صف الامم المتحضرة والمتطورة ، ولكن ينبغي ان نسير فى هذا الاتجاه بشخصيتنا وبمقوماتنا الاساسية ، فهل نحن سائرون فى هذا الاتجاه ؟ وهل نبذل الجهود لكي نتحرر من الاستعمار العقلي الذي كان الاستعمار الفرنسي قد وضع له الخطط ليعزز به الاستعمار السياسي فى بلدنا ؟ وللاجابة على هذه الاسئلة ينبغي ان نرجع قليلا الى الوراء لنشير ولو اشارة عابرة الى الطريقة التي سلكها الاستعمار الفرنسي فى طمس الشخصية المغربية عقليا او سجنها على اقل تقدير .

لقد كانت برامج التعليم فى المغرب توضع بدقة وعناية لتكوين طبقة من المتعلمين او انصاف المتعلمين لا يعرفون سوى اللغة الفرنسية ، وتعمد الاستعمار ان تظل دائرة هذا التعليم ضيقة بحيث لا يستفيد منه سوى المحظوظين ، وزيادة فى انجاح هذه الخطة عمد الاستعمار الى ربط هذا النوع من التعليم بالوظيفة وجعل هذا التعليم هو مفتاح لابواب كل وظيف ، ولم تجد الاقلية من المتعلمين وانصاف المتعلمين فى عهد الحماية بدا من قبول هذا الوضع على علاته ، فنظام مدارس «ابناء الاعيان» التي انشئت فى اول عهد الاستعمار كانت فى واقع الامر تمثل حجر الزاوية فى بناء الهيكل للاستعمار الفكري والاقلية من اقلية المتعلمين هي التي كانت تستطيع مواصلة الدراسة الثانوية والتعليم العالي ، ولقد حرص الاستعمار كل الحرص على ان تكون هذه الاقلية تكوينا عقليا يبرز منه الطابع الاجنبي، وزاد الاستعمار فعمل على عزل التعليم العربي وجعل من اللغة العربية عملة لا يمكن صرفها فى السوق ، كما انه جعل من التعليم العربي تعليما تقليديا يحتفظ به مثلما كانت تحتفظ مصلحة بوزار فى عهد الحماية بالمآثر التاريخية . وجعل اللغة العربية تدرس فى المدارس العصرية على سبيل المجاملة ولكن الى حين ، فنشأ فى المغرب جيلان متباينان فى تكوينهما العقلي وتلك هي الازمة التي نعانيها اليوم ، وهي التي جعلت المغرب العربي المسلم تقوم فيه حملة من اجل مغربة الادارة وتعريبها ، ومعنى ذلك ان هذا المشكل الذي نعانيه اليوم لا يتعلق بتغيير اداري صرف يحتاج الى قرارات تتخذ لتغييره وقلب اوضاعه ، ان المشكلة فى رايي هي اعمق من ذلك بكثير ، انها فى واقع الامر ظاهرة بارزة تمثل الاستعمار العقلي واذا اردنا ان نكون واقعيين وعمليين فى علاج هذا المشكل فيجب ان نعترف بهذه الحقيقة وهي اننا نعاني استعمارا عقليا ، واننا مطالبون بتحرير العقول المستعمرة ، بحيث تصبح الناحية الفكرية فى المغرب متوفرة على مقومات الشخصية المغربية وهي معركة يجب ان نخوضها كذلك لانها لا تقل اهمية عن المعركة التي نخوضها من اجل الجلاء ، بل ان تحقيق هذا « الجلاء الفكري » يعد هو كذلك امرا اساسيا لاستكمال سيادتنا من جميع الوجوه وسيان فى الانتقاص من سيادتنا بقاء الاحتلال العسكري والاحتلال العقلي ، هذا هو الوضع الذي

نعيشه الآن ؛ اننا نعاني استعمارا عقليا ما في ذلك من شك ؛ فماذا يجب عمله لجلاء هذا النوع من هذا الاستعمار ؟ .

ان مراجعة برامج التعليم مراجعة عميقة وبروح محررة من كل تاثير لهذا الغزو الاستعماري هي أولى الوسائل التي ينبغي استخدامها لتغيير الوضع القائم وللقضاء على مظاهر الاستعمار الفكري في جميع صوره لعهد الاستقلال ؛ وليس من شك في ان اعداد جيل يتطلب وقتا وامكانيات، ولكن المؤلم هو ان واقعنا اليومي يشهد باننا ما نزال لم نعبأ ما لدينا من امكانيات ونبحث عما هو غير متوفر لنا منها ؛ حتى انه ليمكن القول بان برامج التعليم ما تزال خطوطها الاساسية على ما كانت عليه في عهد الحماية ؛ وصحيح ان وزارة التربية الوطنية بذلت وتبذل كل جهد ممكن لتوسيع دائرة التعليم ؛ وصحيح ان هذه الوزارة تسعى لتدارك ما فوته الاستعمار علينا ؛ غير ان الوسائل التي تستخدم في هذا الباب ينقصها العمق من جهة ؛ ويظهر انها وسائل ضعيفة المفعول بالنسبة الى ما تتطلبه معركة التحرير للقضاء على هذا النوع من الاستعمار من جهة ثانية ؛ وللوصول الى هذه الغاية ينبغي اولا ان يتوفر الجهاز الاداري في وزارة التربية الوطنية على عناصر حية وواعية تتمتع بكفاءة علمية وتومن ايمانا قويا بوجوب ابراز الشخصية المغربية وتكون لديها المقدرة العلمية والفنية على صياغة البرامج في مختلف مراحلها في اطار عربي ومغربي تعطى فيه العناية لانشاء جيل يتمتع بكيان قومي مع الاخذ بوسائل التطور التي يستوجبها العلم الحديث ؛ ويمكن الاستفادة في هذا الباب من خبرة وكفاءة الخريجين من المعاهد والجامعات العربية الذين يتزايد عددهم في المغرب دون ان تستفيد البلاد منهم في بناء الشخصية الفكرية للمغرب ؛ والذين يرمون هذه العناصر بضعف في الكفاءة والخبرة انما هم بعملهم هذا يمدون في عمر الاستعمار الفكري ولا ترتكز علتهم هذه على اساس صحيح اذ ما دامت هذه العناصر تتوفر على اصول الثقافة العربية فمن السهل جدا توجيهها والعمل على تقوية خبرتها للاستفادة منها ؛ وذلك في دائرة برنامج مدقق ومحدد في الوقت نفسه .

ان جميع وسائل التطور هي عبارة عن مواد خام قد تستورد لسد الحاجيات ؛ ومن الممكن جدا ان تجري عليها عملية سبك وتحويل لتخرج في القالب الذي يتفق مع كيان الشعب وروحه ويبرز شخصية الامة ويمتن جوانبها ؛ وهذا ما ينقصنا في المغرب فربح المعركة من اجل تحررنا من الاستعمار الفكري يتوقف على نجاحنا في تحويل وسائل التطور بحيث تصبح شخصيتنا العربية المغربية تتجسم فيها وتظهر من خلالها دون كبير عناء، ولقد عانت امم اخرى قبلنا وستعاني أمم أخرى بعدنا هذا النوع من الاستعمار ؛ ولكن الامم التي عانته قبلنا لم تتردد فور فوزها باستقلالها من اعداد العدة للتحرر منه ؛ فكانت لا تمر عليها سنة من سنوات الاستقلال الا وتقطع فيها الخطوات ساعية كل السعي ومجدة كل الجد لانتشال شخصيتها الفكرية من هذا الضباب الذي تعمد الاستعمار ان يحيطها به ؛ ففي الهند — مثلا — بذل الهنود كل جهد ممكن لان يفكروا هنودا لا انجليزا ؛ وقرروا ان يكونوا هنودا في تفكيرهم فكان لهم ما ارادوا او البعض مما ارادوه ؛ وقبل ذلك قرر المصريون ان يفكروا عربا بعد ما اريد منهم ان يفكروا اتراكا او انجليزا فكان لهم ما ارادوه ؛ وبذلك برزت الشخصية الهندية والمصرية في الميدان الفكري مثلما برزت في الميدان السياسي والتحمت هذه بتلك فكانت الشخصية القومية التي لابد منها ما دامت المقاييس في هذا العالم تعطى لبروز الشخصية اعتبارها حينما يقع ترتيب الشعوب ؛ ولئن كانت ما تزال بعض الرواسب في هذا الاستعمار الفكري هنا وهناك فان مآلها الى القضاء والانقراض ؛ وان المواطنين الذين ما يزالون يفكرون تفكيرا اجنبيا معذورون في ذلك لانهم لا يد لهم في ذلك ؛ ولانهم اضطروا اضطرارا ان لم يكن يكونوا ارغموا ارغاما على قبول العوامل التي كونت تفكيرهم وهي عبارة عن مواد اجنبية لا من حيث المادة ولا من حيث التحويل ؛ لقد اعطوا هذه العوامل وهي جاهزة تحمل الطابع الاجنبي فكان مما لابد منه بد ان يتكيف تفكيرهم بكل ما يترتب عن هذه العوامل ؛ وكان من نتيجة ذلك ان اصبح البعض ممن يعانون هذا النوع من الاستعمار الفكري يرمون لغتهم وتفكيرهم القومي بالقصور والتاخر ؛ وكان من نتيجة ذلك ان فتن البعض منهم بهذا التفكير فاستهوته اساليبه ومقاييسه فلم يعمل على تحويلها واضفاء الصبغة القومية عليها ؛ وكان من نتيجة ذلك ان المغرب في الوقت الحاضر اصبح يضم نماذج « وعينات » من التفكير ؛ وكان من نتيجة ذلك كله هذا الاضطراب الفكري الذي نلاحظه في عدد من الصور وفي عدد من قضايا الاجتماعية والسياسية والاقتصادية ؛ وبدون ان ندخل في تفاصيل اخرى فان الشيء الذي لا فائدة من تكراره هو اننا ما نزال نعاني استعمارا فكريا ؛ وانه يجب علينا ان نبذل كل الجهود

ونستخدم كل الوسائل لان نتحرر من هذا النوع من الاستعمار ، حتى تصبح لنا شخصية فكرية عليها طابع هذا المغرب الذي نعيش فيه ونستظل بسمائه ونشرب من مائه ، اننا لا نعني ان نسجن نفوسنا في محيط ضيق واننا نرفض ان نكون في عزلة فلا نتاثر بمختلف التيارات الفكرية ، بل اننا من اشد دعاة التطور والاخذ باسباب كل ما يقربنا من التقدم الحديث في مختلف اشكاله ومظاهره ، ولكن ليكن كل ذلك بمقاييس فكرية نقتبسها بل وننتحلها ان كان في انتحالها فائدة لنا ، ولكن الشيء الذي لا نقبله هو هذا الاستعمار الفكري الذي يستقبح ويستهجن كل شيء مغربي أو عربي ويرفضه « جملة وتفصيلا » ولا يحاول ان يبقى على الصحيح منه ، ويقوم الجانب المعوج فيه حتى يستقيم ، ان المغرب لا يستفيد الا من كفاءة وخبرة اولئك الذين يستطيعون تحويل المواد الخام التي يملكون الوسائل لاستيرادها ، اما الذين كفروا بكل شيء من مقوماتنا الشخصية فانهم خسروا انفسهم ، لانهم فقدوا الثقة بها ، ومن خسر نفسه خسر كل شيء .

من النوابغ الذين عاجلتهم المنون في سن مبكرة

في فنون ابن عقيل وجدت في تعاليق محقق : ان سبعة من العلماء مات كل واحد منهم وله ست وثلاثون سنة فعجبت من قصور اعمارهم مع بلوغهم الغاية فيما كانوا فيه ، فمنهم الاسكندر ذو القرنين وقد ملك ما ذكره الله ، وابو مسلم الخرساني صاحب الدولة العباسية ، وابن المقفع صاحب الخطابة والفصاحة ، وسيبويه صاحب التصانيف والتقدم في العربية ، وابو تمام الطائي في علم الشعر ، وابراهيم النظام في علم الكلام ، وابن الراوندي في المخازي وله كتاب الدافع مما غر به اهل الخلاعة وله الجدل » .

الطراز المغربي :

الفن الاسلامي بالمغرب زمن الأغالبة

للاستاذ :
عثمان عثمان اسماعيل

لقد اوضحت في المقال السابق المقصود من كلمة « الفن المغربي » هذه التسمية التي تطلق على الفن الذي قام به البربر في ظل الاسلام ، سواء كان هذا في افريقية (تونس) او الجزائر او المغرب الاقصى ، منذ اول فتح العرب في المغرب حتى بداية ضم المرابطين للاندلس . وهو الطراز(1) الاول من طرز الفن الاسلامي ببلاد المغرب والاندلس .

على اننا سنقتصر هذا المقال على المرحلة الاولى من مراحل ذلك الطراز المغربي لنتلمس معالمه ايام الاغالبة ونترك الحديث القادم للطراز المغربي زمن الفاطميين .

ويتمثل الفن المغربي زمن الاغالبة اكثر ما يتمثل في تحف (2) ثلاث تعكس علينا صورة صادقة لهذا الفن ، وهذه التحف هي :

رخام محراب المسجد الجامع بالقيروان من عهد زيادة الله 221 هـ ، ثم اللوحات الخزفية بواجهة ذلك المحراب والتي ترجع الى عهد ابي ابراهيم احمد الاغلبي 248 هـ ، واخيرا المنبر الخشبي بنفس المسجد ويرجع تقريبا الى ايام هارون الرشيد .

وسنقتصر الآن على دراسة مادتين فقط وهما : رخام جوفة المحراب واللوحات الخزفية بواجهته .

اولا ـ محراب المسجد الجامع بالقيروان :

ولعل اروع الآثار التي يتجلى فيها هذا الطراز ، هو محراب المسجد الجامع بالقيروان ، الذي يعد بحق اروع التحف الاسلامية جميعا .

ولقد حظي هذا المحراب بعناية وافرة من المشتغلين بالآثار الاسلامية ، وجل هذه العناية يتصل بتاريخ انشائه ، ولما كان هذا المحراب هو اول محراب مجوف في الاسلام ، فلم يكن هناك بد من أن نتعرض اولا لفكرة اشتقاقه من الكنائس المسيحية ثم نبحث عن الاصل في نشأته قبل ان ندرس زخارفه وقيمته الفنية .

لقد اتفق المؤرخون وعلماء الآثار على ان المحراب لم يدخل في نظام المساجد الاولى ويضطرنا هذا الاجماع ان نشاركهم هذا الراي ، الا ان اغلبيتهم يذهب الى ان هذا العنصر مشتق من الكنائس او انه محور عن محاريبها ، بينما ليست هناك صلة بين المحرابين ، فمحراب الكنائس فناء كبير في صدر الكنيسة يتسع على الاقل لمنصة تحمل معدات الشعائر الدينية ، وفضاء يتحرك فيه القائم بهذه الشعائر ، اما محراب المسجد فهو جوفة في حائط القبلة لا تتسع لغير ركوع الامام . فالاختلاف شديد بين الوظائف والمهام لكل من المحرابين .

هذا وتتلخص حجة المدعين في مرجعين نشك فيهما كل الشك ونكتفي بأن نورد دفاع أحد علماء (3) المسلمين فيما يلي :

الحجة الاولى اخرجها الاب لامانس من مؤلف للسيوطي مخطوط بدار الكتب المصرية عنوانه « كتاب اعلام الاريب بحدوث بدعة المحاريب » ونشرها في

1) عثمان عثمان اسماعيل ، طرز الفن الاسلامي في بلاد المغرب والاندلس ، دعوة الحق عدد مايو 1960 ص 60

2) انظر اللوحة رقم 1

3) احمد فكري ـ المسجد الجامع بالقيروان

المجلد الرابع من مجلة « الدراسات الشرقية » ويعزو السيوطي الى النبي انه قال « ان المحراب من شان الكنائس ، وانه نهى عن ادخاله في المسجد » . ويرد الدكتور احمد فكري العالم المصري ، باننا لا نأخذ بصحة هذا الحديث ، وناقله عاش في القرن الثامن الهجري ، فهو لم يسمعه بنفسه عن الرسول ، كما لم ينقله مؤرخ آخر قبله من طليعة مؤرخي الاسلام

اللوحة رقم 1 محراب المسجد الجامع بالقيروان

تجويف المحراب من زمن عقبة بن نافع 50 هـ. واللوحات الرخامية التي تبطن تجويفه من عهد زيادة الله 221 هـ. واللوحات الخزفية بواجهة المحراب من عهد ابي ابراهيم احمد 248 هـ . وتعتبر التحف المذكورة على المواد المختلفة من رخام وزليج وخشب من أروع نماذج الطراز المغربي .

اما الحجة الثانية فقد اخرجها الكابتن كريسويل من « خلاصة » السمهودي الذي ذكر فيها ان الوليد لما اراد ان يعمر مسجد الرسول كتب الى ملك الروم ليرسل اليه عمالا وفسيفساء ، فبعث اليه بأربعين من الروم ، وبأربعين من القبط . وانه نقل عن الواقدي ان عمل القبط كان بمقدم المسجد، فاستنتج كريسويل من هذا ان هؤلاء القبط احدثوا المحراب المجوف بمسجد المدينة .

في حين ان السمهودي لم يذكر هذا مع أن روايته نفسها تحتمل الشك ، حيث رواها على ثلاثة أوجه وكلها مختلفة من حيث عدد العمال وجنسياتهم ، كما أن السمهودي ينفرد بذكر رواية القبط ولم يشاركه فيها نقاة المؤرخين الذين نقلوا تاريخ مسجد المدينة وتطوراته ، كابن سعد واليعقوبي والطبري والبخاري وابن بطوطة وغيرهم .

واذا سلمنا جدلا بصحة رواية السمهودي ، فان هؤلاء العمال القبط او غيرهم كانوا يعملون تحت اشراف رئيس مسلم اسمه « صالح بن كيسان » . وليس من الجائز ان قلة من الاجانب يبدلون من نظام اول مساجد الاسلام واكثرها اعتبارا ، ويدخلون عنصرا جديدا فيه وخاصة اذا كان هذا العنصر اساسيا في نظام المسجد ، ويعترف المستشرقون بأن المحراب هو أكثر مراكز المسجد تقديسا واولاها بالاجلال .

كل هذا يدلنا على ان الحديث الذي عزاه السيوطي الى النبي ينقصه السند ولا يقبله النقاش وان رواية السمهودي يحوم حولها الشك ، وكلا المؤرخين عاش في عصر بعيد عن الحوادث التي ذكرناها ، ولم يشر اليها مؤرخ أقرب منهما لها بل ينقض روايتهما كثير من المؤرخين ، ومن هذا يتضح لنا ان الراي القائل باشتقاق المحراب من الكنائس لا يقوم على حجة ثابتة ويفتقر الى برهان .

هذا ، ويستخرج لنا الدكتور فكري حجة من مسجد القيروان لنقض آراء المستشرقين .

لقد اجمع المؤرخون على انه في سنة 50 هـ خط عقبة مسجد القيروان ، وابان مكان القبلة واقام محرابه فيه ، وظل هذا المحراب طوال السنين موضع اجلال القوم وتقديسهم ، ولم يمسه احد بسوء ، بدليل ان زيادة الله عندما اراد هدمه والح في ذلك لم يجبه احد وحيل بينه وبين هدمه بل يحدد البكري الكلمات فيقول « لما كان قد وضعه عقبة » . وهذا دليل تاريخي، فالبكري اولى بالثقة من الاب لامانس .

واذا تركنا العناصر المعمارية تتكلم ، فان محراب عقبة الذي رآه البكري قال: « هو على بنائه الى اليوم ». نراه نحن كذلك اليوم خلف اللوحات الرخامية التي اقامها زيادة الله فهي تخفي من ورائها جدارا منحنيا هو عبارة عن جوفة في جدار القبلة .

الا ان الاستاذ مارسيه (Mercais) يوضح ان هذه الجوفة امر طبيعي لاظهار زخارف الرخام المخرم الذي اقامه زيادة الله ، وان هذا الاحتيال هو الذي ادى الى نشأة اسطورة المحراب ، والى اختلاق القوم لحديث محراب عقبة .

ونحن لا نقبل رأي مارسيه لسببين : فاذا كانت هذه الجوفة قد شيدت وقت بناء زيادة الله لمحرابه الجديد ، لكان من الواجب ان تدل مظاهر بنائهما على وحدة الزمن ، فان محراب زيادة الله وقبته بصناعتهما البديعة وموادهما الثمينة يتنافيان مع بناء هذه الجوفة الغليظة الفقيرة ، فهذه الجوفة لا تنتمي لعصر زيادة الله بل هي محراب عقبة المجوف .

واذا كانت الجوفة بناها زيادة الله لتوضيح نقوش رخامه ، للزم ان تكون اكثر اتساعا ، في حين انها تقرب من لوحات الرخام حتى لتمسها احيانا فلا يخترق النظر خرومها ولا يمرح الهواء فيها ولا تتدلى اللوحات امامها بخفة ورشاقة ، فهي ليست وسيلة لاظهار جماله بل عائق لوضوحه ، وليس من المعقول ان يقوم هذا الحائط الغليظ ليكون ستارا انيقا لهذه المنسوجات الرخامية البديعة ، وينتهي حل هذه المشكلة برواية البكري عن بناء زيادة الله ، الذي حاول ارضاء رغبة الامير في هدم المحراب القديم وارضاء اعتقادات قومه المترفين ، عندما قال لزيادة الله « انا ادخله بين حائطين ولا يظهر في الجامع اثر لغيرك »

وبعد هذا تطور شكل المحراب واتخذ شكلا مستديرا لان عقود المسجد كلها انصاف دوائر ولا ينسجم شكل المحراب في نظام بيت الصلاة بغير هذا المظهر .

وبعد ان ابنا عدم اشتقاق المحراب من الكنائس نبحث عن الاصل في نشاته معتمدين ايضا على حجج الدكتور فكري ، فلو كان القصد به الدلالة على اتجاه القبلة لا ستعيض عنه بشيء آخر ، لوحة بارزة او ستارة او علم او خلافه .

ولما كنا نعلم ان المصلين يقفون في صلاتهم في صفوف مستقيمة بالمسجد ، خلف امام منهم وان هذا الامام يقف منعزلا ويحتل من المسجد صفا مستقلا ، واذا عرفنا اتساع جدار القبلة اكثر من عمقه بدافع من السنة التي جعلت للصلاة في الصف الاول بركة زائدة فقيل عن الرسول « لو يعلمون ما في الصف المتقدم لاسهموا » ولهذا رغب المسلمون ان يمتد الصف الاول الى اقصى ما يسع السبيل . فاذا ادركنا ان الصف الواحد في مسجد القيروان يتسع لمائتين من المصلين الذين كانوا يملاون بيت الصلاة وبهو المسجد وزياداته ثم يضيق بهم المسجد فيصطف اكثرهم في الطريق ، اذا علمنا كل هذا ادركنا انه من الحيف ان يحتل الامام صفا واحدا لنفسه ، ويدفع بمائتين من المصلين خارج المسجد بلا ماوى من القيظ او المطر .

الحق ان هذا كله لم يغب عن عقبة واصحابه ، فابتكروا المحراب المجوف ليدخل اليه الامام في صلاته، وهي فكرة بسيطة لا تتطلب اكثر من هذا البحث في نشاتها ، ولا يستقيم الادعاء باشتقاقها من الكنائس ويكون محراب عقبة هو اول محراب مجوف ادخل على المساجد منذ عام 50 للهجرة .

وننتقل الآن الى دراسة اللوحات الرخامية التي تبطن جوف المحراب ، ولقد سبق ان اشرنا الى رواية البكري بان هذا الرخام أقيم في عهد زيادة الله سنة 221 .

ولكن احد الكتاب التونسيين الذين عاشوا في القرن السابع الهجري، والمسمى عبد الرحمن الانصاري المعروف بالدباغ ، خلف مخطوطا اسمه « معالم الايمان في معرفة اهل القيروان » . الذي جمعه ابن ناجي التنوخي والذي طبع اخيرا ، يذكر في كتابه ان ابا ابراهيم احمد هو الذي اقام هذا المحراب الرخامي بعد التاريخ الذي اتفق عليه معظم المؤرخين بعشرين عاما ، اي عام 241 هـ ، قال الدباغ : « انه جلبت لهذا الامير (يقصد ابا ابراهيم احمد) تلك القراميد لمجلس اراد ان يعمله وجلبت له من بغداد اخشاب الساج ليعمل منها عيدان (اي ملاهي) فعملها منبرا للجامع ، وجاء المحراب مفصلا رخاما من العراق عمله في جامع القيروان ، وجعل تلك القراميد في وجه المحراب ، وعمل له رجل بغدادي قراميد زادها اليها ، وزينه تلك الزينة العجيبة بالرخام والذهب والآلة الحسنة » .

والظاهر ان الفقيه الدباغ خلط القراميد بالرخام، فلم تستقدم لوحات المحراب الرخامية من العراق ، والتي استقدمت هي تلك القراميد القيشانية التي تكسو جدار القبلة .

اما ابو ابراهيم احمد فاليه يرجع الفضل في زينة حائط المحراب بلوحاته الخزفية التي كان قد استقدمها من العراق لتزدان بها جدران مسكنه ، وكان حائط المحراب خلوا منها سنة 221 هـ ايام زيادة الله .



اللوحة رقم 2 تفاصيل زخرفة الرخام المخرم الذي يبطن جوفة المحراب بالمسجد الجامع بالقيروان توضح لنا سر الزخرفة الاسلامية .

على كل حال فتجويف هذا المحراب تبطنه حشوات من الرخام (Panels) تزدان بزخارف رائعة يمكن ان نلمسها اذا عرفنا ان زخرفة القيروان عامة تنتمي الى عصرين ، الاول يمتاز بغلبة الفراغ . والعصر الثاني يشتهر بكراهيته ، وتتكون المؤثرات الزخرفية في هذه الفترة الثانية من التناسب والاختلاف بين المسطحات ، اي ان عناصرها تستخلص من تجويفات وبروز ، وفوارغ ومنجوتات وكلها تتفرع من فكرة فنية واحدة .

(4) ومن السهل ان ندرك العوامل التي تداخلت في نشأة هذه الفكرة ، وانا لنجدها كلها في البيئة الخاصة التي نشأ فيها الاعراب ، في طبيعة بلادهم وصورة معيشتهم ، وثروة خيالهم ، واصول لغتهم واوزان شعرهم ، وقد اتفقت كل هذه العوامل على تكوين الفكرة الزخرفية في الفن الاسلامي ، بل كأننا نسمع صدى سير الابل المتتابع الحثيث ، وكأننا نرى انتظام توقيع اخفافها على الرمال ، وامتداده ، حين نقلب شكلا من اشكال العرب الزخرفية ، فاذا بتفكيرهم الفني مرآة تنعكس فيها حياتهم البدوية واذا بخيالهم اتخذ صورة مادية طغت عليها اصول الهندسة والحساب ، فنرى ان الاشكال الزخرفية تخضع كلها لقوانين القسمة والطرح والضرب ، وان الوحدة تقبل التكرار والتجزء معا ، اما الخطوط الهندسية فانها تقبل التشكيل بمركبات لاعد لها ، اختار نقاش القيروان عنصرين منها ، وهما الدائرة والمربع ، وصنع منهما اشكالا منفردة تارة ، وتارة متداخلة ، والعادة ان الزخرفة النباتية في القيروان تقتصر على ورقة العنب ، او على الاصح تتفرع منها .

وهذه الورقة (5) هي التي تكون العنصر الاساسي لاكثر المركبات الزخرفية فقد تنقسم الى قسمين متساويين كل منهما صورة منعكسة للاخرى ، وقد تكون ورقة العنب يانعة او منكمشة او ملفوفة او مقصوصة في مواضع ، وقد تستبدل بورقة ذات ثلاث شحمات طرفها الاعلى مدبب دائما ، كما تخضع هذه الزخارف كلها الى التعداد والتكرار المستمر ، مثل الرسوم الهندسية تماما ، وكثيرا ما تتصل الزخارف النباتية بالزخارف الهندسية (6) ، فنجد دوائر متصلة بخطوط افقية تتفرع من وسطها زهرة من ثلاث شحمات .

نستخلص من كل هذه الاشكال الزخرفية ، تلك الفكرة الاصلية التي حركت ثروة نقاش زيادة الله في القرن الثالث الهجري ، وهي فكرة تحكم القواعد الهندسية في رسم الخطوط والنباتات .

ولعل هذا هو السبب الذي جعل تلك الزخارف النباتية التي تدور حول ورقة العنب لم تبلغ الجمال العجيب الذي نلاحظه في واجهة قصر المشتى بالشام .

كما ان هذه الحشوات الرخامية في الوقت نفسه تكشف عن ناحية تعد من أهم خصائص الفن الاسلامي، وهي الزخارف المخرمة التي يتخلل الضوء فتحاتها الرشيقة لكي يتجانس مع الظل الناشيء من الفراغ المعتم ، ومن الحق لقد بلغ النحاتون من المسلمين في هذا الاسلوب حدا بعيدا من الرقة والاتقان ، حتى اعجب به كثير من رجال الفن المسيحي في بيزنطة واسبانيا وفرنسا في العصور الوسطى، واخذوا اصوله وادخلوها على صناعة زخارفهم المنحوتة .

---

4) احمد فكري ــ الوحدة في الزخرفة الاسلامية : بحث القي بالمؤتمر الثالث للاثار بالبلاد العربية المنعقد بفاس 1959
5) انظــر اللوحــة رقــم 2 : م وب
6) انظر اللوحــة رقم 2 : ج

ثانيا ــ الخزف ذو البريق المعدني بواجهة محراب القيروان :

على ان محراب القيروان هذا لا تقف أهميته عند حد كونه اول محراب مجوف في الاسلام ، او عند حد تلك الحشوات الرخامية البديعة التي البسته حلة قشيبة من الجمال ، ولكن هذه الاهمية تزداد عندما نجد انه قد زين أيضا في واجهته بقراميد من الخزف ذي البريق المعدني .

ومن المفيد قبل ان نبدأ في دراسة تلك القراميد الخزفية ان نعرف اولا العوامل التي دفعت بالخزافين المسلمين الى ابتداع هذا النوع من الخزف التي تتلخص طريقة صنعه في طلاء الاواني او المنتجات الخزفية المزججة (بعد غمر الفخار في محلول زجاجي) بمادة مكونة من املاح معدنية من مركبات النحاس او الفضة او غيرها . وهذه المركبات الكيميائية تتحلل عند وضع المصنوعات في الفرن في درجة حرارة منخفضة مكونة قشرة معدنية رقيقة تحدث ذلك البريق المعدني

وعلى الرغم من ان الاستاذ (Lane) يعتقد بان الخزافين المسلمين استمدوا الوحي في تلك الصناعة من الاواني المستوردة من الشرق الاقصى لارضاء رجال البلاط العباسي واشباع ذوقهم الفني ، فان جمهرة مؤرخي الفنون قد اجمعوا على ان ابتداع المسلمين للخزف ذي البريق المعدني كان بتوجيه سلبي من الدين الاسلامي الذي حرم اتخاذ الاواني من الذهب والفضة، مما دفع بالصناع الى التفكير في الطريقة التي يكسبون بها الاواني الخزفية جمال الذهب والفضة وبريقهما .

حقيقة لم يرد في القرآن نص صريح يحرم استعمال الذهب والفضة ، وجميع الآيات التي تتعلق بهذين المعدنين النفيسين انما تشير الى انهما مما يتمتع به المتقون يوم القيامة ، ولكنه قد ورد في كتب السنة احاديث عدة تنظم استعمالهما ، بعضها يحرمها ، وبعضها يحللها بحسب الظروف المختلفة ، والملحوظ في التحريم على كل حال هو الرغبة الصادقة في الحيلولة بين الناس وبين الانغماس في الترف ، ولقد كان في تلك الاباحة وهذا التحريم غنم كبير للصناعة والفن يمثل لنا فيما ابدع المسلمون من تحف مختلفة ، وقد انعقد اجماع فقهاء المسلمين على تحريم الاواني المصنوعة من الذهب الخالص او الفضة الخالصة التي تستعمل في الوضوء او الغسل او الاكل او الشرب ، ولقد كان هذا التحريم هو السبب المباشر لاهتداء الخزاف المسلم الى تلك الطريقة التي استطاع بها ان يوفر للاواني الخزفية جمال الذهب فاخرجت الينا تلك الامثلة الرائعة من المصنوعات الخزفية التي امتزجت فيها دقة الصانع مع عبقرية الفنان، والتي يمتع من يستعملها بجمال الذهب وروثقه دون ان يخرج على احكام الدين .

وقد صنع الخزافون من هذا النوع اكوابا وسلطانيات وفناجين وقوارير وكؤوسا وصحونا وغيرها كما صنعوا منه بلاطات ونجوما لكسوةالجدران ونعود الآن الى التحدث عن البلاطات او القراميد ذات البريق المعدني التي تكسو واجهة المحراب بالمسجد الجامع بالقيروان .

والحق ان هذه القراميد تبدو للناظر غريبة عن موضعها لم تصنع للغرض الذي استعملت فيه كما لم يراع في استعمالها ما يرسم عليها من زخارف ، فتارة نجدها مقلوبة الوضع ، وتارة مائلة عن الوضع





اللوحة رقم 3 توضح تفاصيل زخرفة الخزف ذي البريق المعدني بواجهة محراب المسجد الجامع بالقيروان .

الطبيعي لها ، وهي وان اتفقت جميعا فى الحجـــم الا انها ليست سواء فى اللون ، فجانب منها متعدد الالوان (Polichrome) بينما جانب آخر من لون واحد (Monochrome)

وهذا الاخير يتغير لونه حسب موضعه من الضوء فطورا تجده وردي اللون ، وطورا نجده اصفر او فى لون البنفسج والزخارف التي تزين هـذه القراميــد جميعها ، اما (هندسية من دوائر ، وخطوط منكسرة وخطوط متوازية يقطع بعضها بعضا) واما نباتية ، (من وريدات ، ذات خمسة فصوص او سبعة ، الفص العلوي منها فى الغالب مدبب ، بينما الفص السفلي معكـــوف (Hookstaped) كما نشاهد فيها زخارف تشبه الكتابة الكوفية بينما هي ليست كتابة (انظر اللوحة رقم 3)

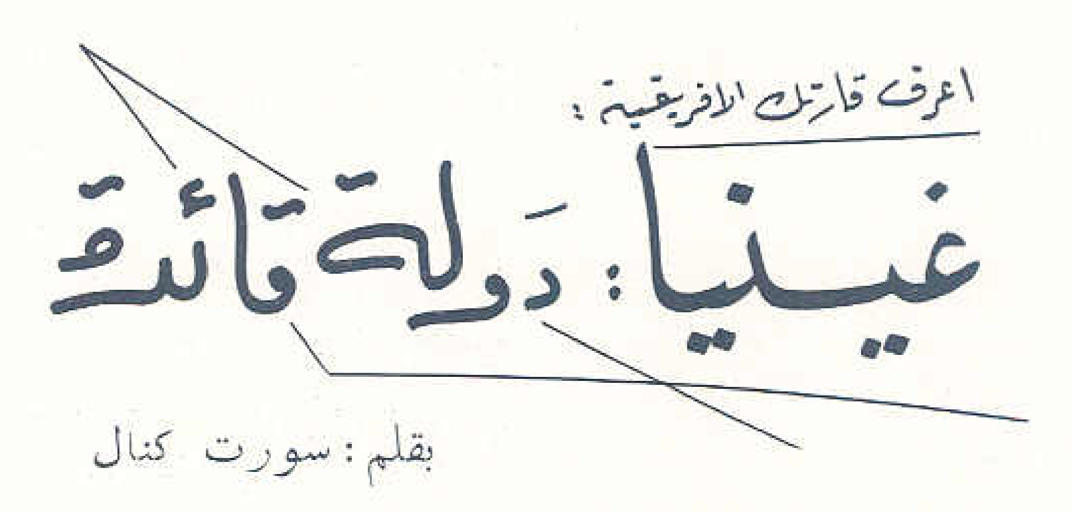
والآن ، هل صنعت هذه البلاطات محليــــا أم استوردت من الخارج؟ لقد اجاب على هذا السؤال كاتب من كتاب العصور الوسطى فى المخطوط الذي جمعه ابن ناجي والذي اشرنا اليه سابقا . وقد ذكر الكاتـب فى صراحة ان هذه القراميد (Tiles) قد استـــوردت معظمها من العراق وانها قد جلبت لا لكي تزين محراب المسجد الجامع بالقيروان حيث هي الآن ، ولكنهـــــا استوردت لتزين فى الاصل قاعة فى قصر الامير الاغلبي ابو ابراهيم احمد . ولعل هذا السر يفسر لنا ذلك القلق الذي نلحظه فى وضع هذه القراميد . فهي كما اشرنا تبدو غير متجانسة مع المكان الذي وضعت فيـه . وترجع هذه القراميد على ارجح الاراء الى حوالي 248 هـ .

وبعد ، اوضحنا فى هذه العجالة بعض ملامح الفن الاسلامي بالمغرب زمن الاغالبة . وفى المقال القادم ان شاء الله نكمل تلك الصورة التي بدأناها عن الفن الاسلامـي المغربي ايام الفاطميين .

وقع خطأ بالمطبعة فى العدد السابق . واللوحـــة المعروضة فى صفحة 61 تمثل ضريح سيدي عقبة بــن نافع الفهري قرب بسكرة بالجزائر

مـــن آداب السلـــوك

قال ابن عبد البر كان يقال ستة اذا اهينوا فـلا يلوموا الا انفسهم الذاهب الى مائدة لم يدع اليها ، وطالب الفضل من اللئام ، والداخـل بين اثنين فى حديثهما من غير ان يدخلاه فيه ، والمستخف بالسلطان ، والجالس مجلسا ليس له بأهل ، والمقبل بحديثه على من لايسمع منه ولا يصغي اليه .



بقلم : سورت كنال

كـــان استقلال غينيا مفاجاة مدهشة للذين استبشروا به وللذين حزنوا له على السواء .

ولقد كان نجاح التجربة الغينية مفاجاة اخرى ، لان الذين اختاروا بشجاعة هذا الاستقلال كانوا هم انفسهم يشكون ـ في البدء ـ بالمستقبل ، ويخشونه .

وهناك مفاجاة ثالثة كانت من حظ المراقبين السياسيين . ففي مطلع سنة 1959 كتب الصحافي السويسري « فرنان جيكون » مقالا بعنوان « غينيا دولة قائدة » ، ولم يكن هذا محض تفكير فردي ، وانما كان وحي واقع تاريخي ، ان غينيا ، من حيث لا تقصد ، توجه اليوم سياسة افريقيا كلها ، وتقود جبهاتها المختلفة . يشهد لهذا ان حزب السيد نيكروما في غانا قرر ان يحور خطته مستوحيا مبادىء الحزب الديمقراطي الغيني ، وان دولة « مالي » في السنغال والسودان تستوحي التجربة الغينية صراحة في جملة اتجاهاتها ووسائلها . اما الافريقيون في الكونغو وجنوب افريقيا فيتطلعون الى مناهل التجربة الغينية ، جادون في احتذاء مثالها وهو في نظرهم مثل أعلى .

ان مبادىء الثورة الغينية لم تستأثر بقلوب اصدقائها خاصة ، فان اعداءها كالسيد هفويت في الشاطىء العاجي وجدوا انفسهم ايضا مدفوعين الى اتباع الحلول والنظريات التي عممتها هذه الدولة الفتية .

لا معجزة في غينيا

لم يكن ما حدث في غينيا معجزة ، ولا صدفة ومحض اتفاق ، وانما كان نتاج نضال مستمر مثمر ، فان سنوات طوالا بقيادة حزب غينيا الديمقراطي الموحد لتمهد بالتاكيد سبل التحرر ، ومن أقرب ما يذكر في هذا الصدد قصة التطورات الصراعية التي تعرضت لها جبهة التحرر الموحدة والتكتل الافريقي الديمقراطي في غينيا وشقيقاتها . والمعروف ان حركة الجبهة هذه احرزت نجاحات انتخابية كبيرة سنة 1946 ـ 1947 في سائر مناطقها غير ان تغلغل الجبهة في اوساط الشعب لم يكن متينا ، ولا صحيح المنهج خارج غينيا من مراكز الحزب الافريقية ، من هنا تقطع الحزب ، واستطاع الاستعمار (سنة 1950 ـ 1951) ان يقضي على كافة فروعه خارج غينيا قضاء مبرما . اما في غينيا فقد بقي قادة الحزب امناء على اتجاهاته التحريرية مرتبطين بالشعب وفق اسسه وتنظيماته دون ان يقطعوا علاقاتهم مع الانتهازيين امثال هرفويت وبوانيه الذي كان يفعل في الجماهير فعل السحر .

وعلى الرغم من ابقاء روابطهم مع العملاء في الظاهر كرس قادة الحزب الغينيون حياتهم لتكتيل الشعب الغيني وتعبئته ، واخذوا على عاتقهم قضية الدفاع السريع المحسوس عن مصالحه وحريته ، وظهرت اعمال الحزب بسبب تلك الجهود ، ظافرة ظاهرة في اكثر من ميدان ، كميدان الصراع النقابي لتحسين الرواتب ، وميدان الحرب ضد التفريق العنصري ، وميدان النضال ضد السلطة المستعمرة ، وخاصة ضد « الاقطاع » عميلها المباشر .

ان الرئاسات الوراثية المزعومة ، وان انتسبت الى اسر عريقة ، لم يبق لها شيء في غينيا من هذا التراث ، فالسلطة الفرنسية نفسها سلبتهم هذه المزية منذ زمن بعيد ، اذ انها استخدمت الوارثين هؤلاء

اجراء لجهازها التعسفي ، وارغمتهم على ان يضمنوا لها الضرائب ، ويسخروا لخدمتها الشعب ، ويطوعوا لمصالحها الجند ، ولم يكن لهم لقاء هذه المظالم الا ان تغمض النظر عن منافعهم الخاصة ، وقد كان سهلا على الحزب ان يتخلص من هذا الكابوس بايضاح مساوئه .

ولقد حدث فى انتخابات 1956 ان تجند زعماء المقاطعات الغينية لمنافسة مرشحي الحزب ، فقاموا بجولات دفعوا فيها كل امكانياتهم ، ولكنهم انهزموا شر هزيمة ، وكان انتصار الحزب هذا تاريخا لانهيار الاقطاعية ، وحدث من اثر هذه الموقعة الفاصلة ان اضطرت السلطة الفرنسية الى الاعتراف بشيء من الواقع فتنازلت الى الحزب عن نصف الحكم الذاتي ، ولم يضع الحزب هذه الفرصة . فأفاد من اشتراكه المحدود بالحكم فوائد جمة من اهمها تصفية النظام الاقطاعي تصفية كاملة ، وتحسين قانون الضرائب ، وانصاف الموظفين الافريقيين ، وكانت هذه الانتصارات ظروفا ملائمة لتوفر شروط الاستقلال .

حزب غينيا الديمقراطي

ازال الحزب الغيني الديمقراطي النظام الاقطاعي فى بلاده ومحا تبعا لذلك آثاره فى الدوائر الحكومية ، واقام مكانه نظاما اشتراكيا تمثل سلطاته مجالس منتخبة تحكم باسم الشعب وتعمل لمصالحهم . فمنذ سنة 1957 تألفت فى كل قرية ، بل فى كل حي هيئة حزبية تجمع على انتخابها الاصوات فى اكثر المناطق ، وتتمتع بالاكثرية فى بعض المناطق ، ويلتف حولها فى كل حال جماهير من نساء وفتيان كانوا محرومين من التصويت لعبوا دورا خطيرا ــ ولم يكن احد يتوقع ذلك ــ فى بناء الديمقراطية الحق ، وانها لظاهرة مدهشة حقا ان ترى هيئات الحزب فى اجتماعاتها الاسبوعية تناقش التقارير المتخذة وفق نظام الحزب أدق ما تكون المناقشة واجراها مع احدث النظم الديمقراطية المطبقة ، ولا غرابة فقد كانت هذه الهيئات هي السلطة الحقيقية فى البلاد قبل الاستقلال بزمن .

هذا يفسر الموقف الغيني العظيم فى استفتاء 28 سبتمبر اذ اختار الغينيون كلمة (لا) .

وهكذا تم اروع انتصار سلمي فى بلد محتل يدوسه الاستعمار بشرطته ومظلييه وحكامه الطغاة .

باشر الحزب الغيني عمله فور الاستقلال وفق قوانين التكتل الديمقراطي ، فماذا نتوقع من ردود الفعل الاستعمارية ؟

لقد سحبت الحكومة الفرنسية اجهزتها الفنية ، وحجبت رصيدها عن كفالة النقد ، كعملية من عمليات الضغط الانتقامي حاولت بعد ان تكشف لغينيا عجزها فى ميداني الخبرة والاقتصاد جميعا كي تضطرها للعودة الى حظيرتها صاغرة ذليلة ، ولكن الحزب قاوم هذا الهجوم البارد بدفاع أمثل (1) ، اذ وجه نداء للشعب دعاه فيه الى التضامن ، واستعان به على ملء الفراغ الذي تخيلته فرنسا بنشاط ايجابي لا يكتفي بالتعويض وانما ينهض بمعطيات افضل ، فتطوع الشعب بكافة طبقاته للنداء وفى خلال سنة واحدة حول الحزب خدمات الشعب اثناءها الى مشاريع تعميرية كتأسيس مدارس وشق طرقات تفوق ستين عاما من جهود الاستعمار ، وذلك دون ان تتكلف خزينة الدولة فرنكا واحدا لشيء من هذا .

والى جانب التقدم العمراني الفائق ، انجز الحزب تقدمات اجتماعية لها معطيات حضارية مهمة . منها تحديد سن المراة فى الزواج ، واعتبار رأيها به ، وارجاع المهر اليها لا الى والديها كما كان الحال سابقا (2) ومنها محاربة التفريق العنصري ، والعصبية القبلية . وهذان محرمان اليوم بقانون يعاقب عليهما .

التحرر الاقتصادي

التطويق الاقتصادي أبرز لغينيا الحقيقة التالية: هي ان الاستقلال السياسي يظل مثلوما ما لم يتممه استقلال الاقتصاد .

---

1) يقول سيكوتوري فى هذا الصدد : « الفقر مع الحرية احب الينا من الغنى مع العبودية » .

2) عني الوضع الغيني الجديد بالمراة عناية كبرى ، وقد كانت المراة عماد سيكوتوري فى ثورته ، والمعروف ان الاستعمار شنع على حزبه فسماه حزب النساء وكان سيكوتوري يقول : « فى معركة الحرية والاستقلال لا تخسر المراة سوى اغلالها » .

وانه لموقف يحرج ، في الحق ، بلدا مؤلفا من مليوني نسمة وتصف وقوام اقتصاده زراعة بدائية رثة بائسة ، اما في الصناعة فلا يملك سوى المناجم ، وهو مع هذا ما يزال يدار بيد اجنبية .

واخيرا عقدت غينيا ـ كي تخرج من المازق ـ اتفاقات تجارية مع عدد من بلدان الشرق والغرب ، وكان اهم اغراضها ان تتحرر من الاحتكار في البدء ، وبانشائها المكتب الغيني للتجارة الخارجية ظهر لها امر آخر فوق الخروج على الاحتكار ، فحين اشرفت على التصدير والاستيراد بدا لها امكان تاليف ميزانية انقذتها باشرافها المباشر من ارباح خيالية كان ينعم بها المحتكرون والعملاء ، وافادت هي منها فائدة كبرى ، وبهذا وجدت المخرج ووقفت للتطويق الاقتصادي راسية راسخة ، وراحت ترسم للتنمية والازدهار خطة انماء ضمن مشاريع ذوات آجال زمنية وبدات فعلا بمشروع ثلاث سنوات ستطبقه ابتداء من اول شتنبر القادم سنة 1960 وهو مشروع يضمن لها انماء الانتاج الزراعي التعاوني ، ويخلق صناعة صغيرة لا تقوم على اساس التوسع الراسمالي وستحل المشاريع الخماسية الاقتصادية التعاونية بعد ذلك جميع المشكلات القائمة .

ولقد شقت غينيا طريق الاستقلال بمهارة وشجاعة ، وما ارادته لنفسها خاصة . فهي بعد ان شقته تعبده الآن للشعوب الافريقية المناضلة كافة . ان عملها البطولي كله وقف على هدف واحد هو الاستقلال فالوحدة الافريقية . وهي لا تؤكد على الاستقلال الاقليمي بوصفه وسيلة للوحدة التي هي الغاية . وعندها ان التوحيد بين جزئين من البلاد لا يمكن بدون تماثل او تقارب في درجة الحرية والاستقلال ولولا ذلك لما امكن اتحاد غينيا وغانا مثلا او غانا وليبريا الحائز كل منها على درجة من الاستقلال .

استقلت غينيا في طريق الوحدة ظافرة مصممة على تجديد امجادها مستعينة على مواكبة الركب الحضاري بالمناهج التقدمية الحديثة ، وهي الآن على عتبة نضال يقود افريقيا كلها الى صميم العالم الجديد، ويمنحها مكانتها بين الشعوب .

« عن مجلة النهج »

حض العلماء على الاشتغال بالحديث الصحيح دون السقيم

قال ابن المبارك : لنا في صحيح الحديث شغل عن سقيمه ، وقال ابن مهدي : لاينبغي للرجل ان يشغل نفسه بكتابة الحديث الضعيف فاقل ما في ذلك ان يفوته من الصحيح بقدره .

باسترناك : الأديب الخالد

ولــــد « بوريس باستيرنـاك » يوم عاشر فبراير لسنة تسعين وثمانمائة والف بمدينة موسكـو التي لم تكن آنذاك عاصمة البلاد . ولقد كان والـــده يدير مدرسة للرسم بينما كانت والدته فنانة موسيقية موهوبة . وعرف بيت باستيرناك بصداقته لاعـلام الفنانين والكتاب المعاصرين وخاصة للسيد «سكريابين» ولـليون تولستوي .

واقبل بوريس اول الامر على دراسة الموسيقـى بموسكو ثم انتقل الى المانيا بهذا القصد ايضا . وكانت القرائن الاولى تنبيء بتبريزه في الموسيقى اذا هو ثابر عليها . غير انه آثر الادب فارتبط عمله فيه بانتـاج فئة الشبان من كتاب المستقبل . وقد عرف بصداقته للاديبين « ايسنين » و « ماياكوفسكي » وذاع صيته بين اقرانه لما نشر ديوان اشعاره الاولى في السنـــة الثالثة عشرة مـن هـذا القرن . وواظب بـوريس باستيرنـاك على نظم الشعر خلال ثلاثين عاما . ويقول نقـاد الشعر الروسي ان قصائـده البديعـة كافيـة لتخليده في سلك الاعلام المبرزين . وقد اخذ نفسـه في هذا الوقت بمهمة جليلة هي نقل نتـاج « غوتـه » الروسيـة فكانت ترجمته الامينة البديعة ترجـع في جمال اسلوبها واتقان سبكها بالكتب الاصلية في بعض الاحيان على ما اثبت قادة النقد الادبي المعاصرون .

وكان الاديب الراحل يقيم بقرية « بيريد لكينو » التي تبعد ثلاثين كيلو مترا عن موسكو وتعتبر عاصمة الادب السوفياتي . وكان جيرانه يؤثرونه بالعطف وان كانوا يعلمون عنه عدم اخذه بالتعليمات المرسومـة لانتاج الادب على نحو ما تبتغي الدولة . واذا كـان بوريس باستيرناك قد أمسك لهذا السبب عن نشـر نتاجه القيم فقد كان زملاؤه يعترفون لـه بالتبريـز ويقرون له بالابداع والاجادة . وكـان كبـار الكتاب الغربيين لايتخلفون عن زيارته في تلك القرية الآمنـة المطمئنة كلما حلوا بالعاصمة فكانـوا يشيعـون فيهـا ظاهرة التطلع والاستغــراب .

وكان الكاتب الشاعر متيما بقصـة يحبسهـا في قرارة نفسـه ويحرص على اذاعتها بيـن الناس وهـي قصة رجل عضه نـاب الثورة فجعل يبحث عن لغـز الحياة ولغز الموت ليستكشفهما . ولقد قال جملـة طار صيتها في الآفاق وهي انه لم يسبق في الوجــود رجل صنع التاريخ لان التاريخ يصنع كما ينمو العشب دون ان يحس به احد من الناس المحيطين به والمترددين عليـــــه .

ولم يكن الكاتب اول الامر يداعب أي أمل حول مصير قصته الحبيبة الى نفسه . فلقـد اقبل علـى كتابتها ليستمتع بها او ليخلفها بعد مماته . ولم يفكـر عند الشروع في كتابتها في دفعها لاحدى دور النشر . الا ان وفاة ستالين جعلت الكاتب يحس بان اشيـــاء كثيرة قد تغيرت في الاتحاد السوفياتي وان ماكــان حراما من قبل قد يصبح حلالا . فلقد قامت مجلـة « زنـانيـا » بنشر موجز مطول للقصة بينما امتنعت مجلة اخرى عن نشرها كاملة . وسلم الكاتب نسخته الخطية الى رجل ايطالي كان يعني بنشر الكتب وينتمي في نفس الوقت الى الحزب الشيوعي فنشـر القصـة التي احدثت رجة في عالم السيـاسة ودنيا الادب جميعا .

صدرت قصة « الدكتور جيفاغو » مترجمة الى الايطالية ثم نقلت الى الفرنسية والانجليزية والى لغات اوربية عديدة اخرى قبل ان يعلم بها جمهور القراء في الاتحاد السوفياتي . وكان المؤلف يعلل نفسه بالقدرة على نشرها في وطنه بحذف فقرات معدودات منها . والحقيقة اننا لا نعثر في القصة كلها ولا على فقرة واحدة يمكن اعتبارها ماسة بالمذهب الشيوعي . والحقيقة ايضا اننا نجد القصة كلها خالية من نفوذ هذا المذهب السياسي والاجتماعي ولا اثر له فيها . وصدر قرار الانعام بجائزة « نوبل » على الكاتب الروسي المبرز فحدثت الضجة السياسية الكبرى بعد الرجة الادبية التي كانت مقصورة اول الامر على الاتحاد السوفياتي وهيئة ادبائه الاعلام .

وكان من نتائج الضجة السياسية نقل القصة الى العربية فجاءت ترجمتها غير موفقة في عدد من المراحل والفقرات بخلاف ما وقفنا عليه في ترجمتها الى بعض اللغات الاوربية .

اما اختيار مجمع الادب السويدي للكاتب الروسي والانعام عليه بالجائزة الادبية الكبرى فلم يكن يستجيب لاغراض السياسة بخلاف ما ذهب بعض النقاد الى اثباته والسعي لاستنكاره سواء كان اولئك النقاد روسيين او اجانب . فمما لا جدال فيه ان « بوريس باستيرناك » كان منذ مدة مديدة في طليعة الشعراء المجيدين في الشعر الغنائي فالتحق بزمرة القصصيين الروس الاعلام خلال العقود الثلاثة الاخيرة . واذا كان القراء قد اقبلوا في السنتين المنصرمتين على مطالعة « الدكتور جيفاغو » في ترجماتها العديدة الى مختلف اللغات فالسبب في ذلك يرجع الى ان الاديب الراحل قد سجل تاريخ وطنه ووصفه وصفا اقترنت فيه الدقة بالاصالة والى انه توفق كثيرا في وصف نزعات بشرية قلما تختلف انفعالاتها بين سكان الارض وان اختلفت طرائقهم في الاجتماع والاقتصاد والسياسة وتفاوتت حظوظهم في بسطة العلم وسعة السلطان .

لم يعرف عن الشاعر الفحل والكاتب القدير انه اندرج في الحزب الشيوعي او اجتهد في التبشير بمبادئه . غير انه عرف على الدوام بعظيم اعجابه بالوطن والحرص على البقاء فيه وان اقترنت اقامته بالشقاء . فلما استغلت الجائزة الادبية الكبرى لاغراض سياسية وقامت قيامة الكتاب الروس وجه السيد باستيرناك كتاب استعطاف الى الوزير الاول حتى لايحكم بتنفيه من الارض . وقد تدخل السيد كروشجيف نفسه لاسكات تلك الحملة او تهدئتها على الاقل . ولو ارتحل الكاتب عن روسيا لوجد المجد والتشريف والمال في الاقطار التي استضافته . الا انه آثر تجشم كل المحن التي قد تكتب عليه اذا رخص له بالبقاء في الوطن ولم تقم المصاعب من حوله اذا هو اراد الاختلاط بافراد الشعب . ولقد ابان باستيرناك عن صبر واحتمال لا يقل في شيء عما اشتهر به غيره من الشعراء والكتاب الروسيين الذين دخلوا في سجل التاريخ الذي لا يفنى .

ولم يفتأ صاحب « الدكتور جيفاغو » يصرح بانه لم يندم على شيء صدر عنه وانه ابتغى بكتابة تلك القصة الطويلة الاسهام في تطوير النضج الفكري في وطنه وان كان قد اخطأ في تقدير المرحلة الراهنة لذلك النضج . اما خصوم الكاتب من المنافسين فقد قالوا عنه انه متخلف بمدة اربعين سنة عن حقيقة الفكر الروسي المعاصر .

ان قصة « الدكتور جيفاغو » لوحة تاريخية تصف الوطن الروسي اجمل الوصف وتبرز ما فيه وما في افراده من سمو وخسة باعتبارهما القطبين اللذين يضطرب بينهما البشر كافة . اما نقطة الارتكاز في هذه القصة بل المحور الذي تدور احداثها عليه فهو ان الافراد فانون وان الوطن يبقى .

واذا نحن رجعنا الى نتاج « بوريس باستيرناك » وجدنا انه قد شرع يبدع في النظم ويجيد في النثر منذ خمسة واربعين عاما . فلقد صدر كتابه القيم الاول « ما بعد الحواجز » سنة سبعة عشرة وتسعمائة والف . ثم كتب « اختي الحياة » و « الضابط شميد » و « الميلاد الثاني » و « العرض » . ووضع كتابا تناول فيه ترجمته وعنونه « رخصة المرور » . واشتغل اثناء الحرب الاخيرة بنظم قصائد وطنية رائعة ثم نشر « النوع البشري » سنة خمس واربعين وتسعمائة والف . ولقد انفق السنوات العشر الاخيرة في تنقيح قصته الكبرى التي فازت بجائزة « نوبل » للادب سنة 1958

وأصيب الكاتب بمرض السرطان الذي تفشى اول الامر في رئتيه ثم جعل يصيب اعضاءه الاخرى . وما ان علمت « جمعية اتحاد الكتاب السوفياتيين » بمرضه حتى اوفدت اليه ثلاثة من اعلام الاطباء الاساتذة في الجراحة ممن يقصرون نشاطهم المهني على العناية بصحة الشخصيات الرسمية في قصر الكرملين كما اوفدت طبيبين ملازمين وان كان الكاتب قد ظل مبعدا عن الجمعية الادبية عقب طرده منها . وقد حضره الموت يوم الاثنين 30 مايو قبيل منتصف الليل محاطا بزوجته واولاده وشقيقه وبعض اصدقائه في نفس الضيعة التي خصصتها الدولة له بقرية « بيريدلكينو » عاصمة الادب السوفياتي التي دفن بمقبرتها المتواضعة عملا بتوصيته اثر مأتم شارك فيه بعض رجال الفكر بجانب المخلصين من اصدقائه والمقدرين له والمعجبين به .

ع . خ .

من أبحاث هارون الرشيد في اللغة

قال الرشيد للفضل بن محمد بحضرة ابنيه محمد والمامون وشيخهم الكسائي

اعندك مسئلة ؟ قلت نعم لصاحب هذا البيت قال : هات فقلت :

اخذنا بآفاق السماء عليكم　　　لنا قمراها والنجوم الطوالع

قال الرشيد افادنا هذا الشيخ في هذه المسئلة ؟ قالا علمنا علي بن حمزة ان القمرين هنا الشمس والقمر ، قالوا سيرة العمرين يريدون ابا بكر وعمر كما قيل ما اطرد الاسودان يريدون الليل والنهار قلت ازيد يا امير المومنين في السئوال ؟ قال زد قلت فلم استحسنوا هذا قال لما اجتمع شيآن من جنس واحد فكان احدهما اشهر من الآخر غلب الاشهر لان القمر اشهر عند العرب لانسه وكثرة بروزهم فيه ومشاهدتهم اياه دون الشمس في اكثر الاوقات وتلك القصة في قولهم العمران لطول خلافة عمر وكثرة الفتوح فيهما

وكذلك الليل لانهم فيه افرغ وسمرهم فيه اكثر قلت افيه يا امير المومنين غير هذا ؟ قال ما اعلمه ثم التفت الى الكسائي فقال اتعرف في هذا غير ما قلناه مما افدتناه ؟ قال : لا يا امير المومنين وهو وفاء المعنى ، فامسك عني قليلا ثم قال اتعرف فيه انت اكثر من هذا ؟ قلت نعم يا امير المومنين بقيت الغاية التي افتخر بها قائل هذا الشعر قال فقل قلت الشمس اراد بها ابراهيم والقمر ابن عمك محمدا صلى الله عليه وسلم والنجوم انت والخلفاء من آبائك ومن يكون من ولدك الى يوم القيامة قال فتهلل وجهه وقال حسن والله والعلم كثير لايحاط به ولعل هذا الشيخ لم يسمع هذا فيفيدناه وان هذا لعمري لابلغ الى غاية الفخر ثم رفع رأسه الى الفضل بن الربيع فقال تحمل الى منزل الشيخ عشرة آلاف درهم .



حضارتهم وخلاصنا

للمهاتما غاندي

كتـــاب جديد يتضمن جانبا من فلسفة المهاتما غاندي ، ولقد كان الحوار الذي ينطوي عليه هذا الكتاب قد نشر على صفحات « الراي الهنـدي » في جنوبي افريقيا سنة 1908 وذلك للتنديد بأساليب العنف التي كانت متبعة في كل من الهنـد وجنـوبي افريقيا والتي استفحل امرها في هذا القطر الاخيـر ويقول غاندي عن كتابه هذا (في نظري انه من الممكن وضعه ــ اي الكتاب ــ في ايدي الاحداث لانه يعلم استبدال البغض بالحب ، والعنف بالتضحية ، والقوة الجسدية بالقوة الروحية) ثم يقول عنه فيما بعد : (هذا الكتاب هو حكم قاس على الحضارة « الحديثة » وقد كتبته عام 1908 ومنـذ ذلك الوقت والتجارب والايام تزيدني اقتناعا بصحة ما قلت واذا ما قـررت الهند ان تحارب ضد الحضارة الحديثة فهي رابحة حتمـا) .

والذين يمرون بهذه العبارة في هذا الكتاب قد يتبادر الى ذهنهم ان المهاتما غاندي يكره هذه الحضارة بكل ما فيها ، ولذلك فهو يعتقد بان الهند ستربح حتما حينما تقرر ان تحارب هذه الحضارة الحديثة ، ثم يتساءل القارىء مرة اخرى وهل سارت الهند في هذا الطريق ؟ اننا نراها لم تربح الا بعد ان سايرت هـذه الحضارة الحديثة واستفادت منها ، ويجيب غانـدي نفسـه على هذا التساؤل والذي قبله بقولـه في ص 32 من هذا الكتاب :

(فانا لا ارغب في الغاء الخطـوط الحديديـة ولا المستشفيات ، ولكن زوالها يسرني ، فلا الخطـوط الحديدية ولا المستشفيات هي علامة الحضارة ، بـل في امكاننا القول بانها شر لابد منه ، وهي لاتزيد شيئا عن العظمة الاخلاقية لشعب من الشعـوب ، وانـا لا ارغب في الغاء المحاكم نهائيا ، مع العلم بانني اتمنى ذلك بجرارة ، وكذلك الآلات والمصانـع . لان ذلك يتطلب نفسا بسيطة ومتقشفة ، وهذا ما ليس متوفرا في عالم اليـــوم) .

ويذكر غاندي في الكلمة التفسيرية التي صـدر بها هذا الكتاب ان ما يتضمنه كتابه من آراء في صـورة اجوبة عن اسئلة القيت عليه (هو محاورة حقيقيـة جرت بيني وبين عمال كـان احدهم مـن الفوضويين البارزين) وحينما تصفح هذا الكتاب وتتبـع تـوارد الاسئلة والاجوبة فيه تجد انها عبارة عن آراء تتنـاول مواضع مختلفة من شئون الهند المحلية على عهد المهاتما غاندي ، كما انها تشير من حين لآخر الى اخـلاق الانجليز الذين قضى غانـدي في بلادهم فتـرة غيـر قصيرة ، والحقيقة ان اجوبة غاندي تتخذ كلها شكـلا يمكن ان نسميه مصادما لهذه الحضارة الحديثة التي تكاد ان تجعل الانسان نفسه آلـة يفقد كـل احساس وشعور ، وفي ص 48 من هذا الكتاب حـوار قصيـر تحت عنوان « ما هو الاستقلال » ونود من كافة قرائنا ان يقرءوا هذا الحوار ويتمعنوا فيه لانه سيفيدهـم

ويبين لهم بعض معاني الاستقلال او على الاصح المعنى الحقيقي للاستقلال يقول غاندي في آخر هذا الحوار لصاحبه :

« لقد رسمت لذلك – اي الاستقلال – صورة جميلة ، والواقع اننا نريد النظام الانجليزي دون ان يكون عندنا انجليز ، وتريدنا ان يكون لنا طبيعة النمر دون ان يكون هنا نمر . اي انك تريد الهند انجليزية . وعندما يتم ذلك ينقلب اسم هند ستان الى انجلستان ، كلا ليس هكذا اريد الاستقلال » .

ان غاندي يقصد ولاشك بهذه العبارة انالاستقلال لا فائدة منه اذا كان عبارة عن نسخ اخلاق المستعمرين ومجاراتهم ومحاولة تقمص حياتهم الاجتماعية والسياسية كما هي دون تحر ، ان استقلالا مثل هذا انما هو استقلال سطحي خال من كل عمق في تغيير الاشياء وتحويلها الى صورة قومية جديرة بهذا الاسم .

ومن المفيد ان نعطي للقاريء نموذجا من آراء غاندي عن الحضارة الحديثة ملخصين جوابه على سؤال وجه اليه في موضوع هذه الحضارة :

« لنر اولا ماذا تعني كلمة « حضارة » ، هناك امر لاريب فيه ، هو ان الاناس الذين يعتنقون مباديء هذه الحضارة ويعيشونها ، يتوفر لهم المستوى الحياتي المادي الذي يريدون ، وهذا ما يسمون اليه في الحياة ، ولناخذ الآن بعض الامثلة : ان الشعوب الاوربية تتوفر لها اليوم تسهيلات سكنية لم تعرفها من قبل ، وهي تعتبر ذلك مظهرا من مظاهر الحضارة ، وهذا التقدم يؤدي الى تحقيق السعادة المادية في الماضي كانوا يرتدون جلود الحيوانات ويستخدمون الرماح ، اما اليوم فانهم يرتدون السراويل الطويلة وشتى انواع الالبسة ، ويستخدمون عوضا عن الرماح ، المسدسات وسائر انواع الاسلحة الحديثة واذا حاول سكان بلد ما ، تعودوا سابقا الاكتفاء بالنزر اليسير من الثياب والاحذية ، تقليد الاوربي في لباسه ، قيل انهم انتقلوا من طور البربرية الى طور الحضارة ، وفي الماضي كان الانسان الاوربي يستخدم يديه في اعماله الزراعية ، اما اليوم فان الاعمال قد ترك امرها للآلة ، التي يستطيع الفرد بواسطتها القيام باعمال يعجز عنها المئات ، ويتيسر له بفضل ذلك جني الارباح والثروات الطائلة . وهذا مانعده مظهرا من مظاهر الحضارة ، في الماضي كانت صناعة القلم مقتصرة على النخبة ، اما اليوم فالكل يكتبون وينشرون دون الالتفات الى النوعية ، وهكذا تتسم الافكار والعقول ، في الماضي كانوا يسافرون في العربات وعلى الخيل او سيرا على الاقدام ، واما اليوم فانهم ينتقلون في الفضاء ويجتازون مئات الكيلومترات في اليوم الواحد ، كل هذا يعتبر قمة الحضارة ، وهم يأملون التوصل الى وسائل جديدة تمكنهم من الوصول ، في ساعات معدودة ، الى اي نقطة من العالم ، وسوف لن يحتاج الانسان الى يديه ورجليه بعد ذلك ، يضغطون على زر فاذا بثيابهم تصبح امامهم ، يضغطون على آخر فتاتي اليهم الصحيفة ، وعلى ثالث فتهرع السيارة لتقلهم حيث يريدون ، وعلى رابع فتمتد امامهم مائدة تحوي كل ما لذ وطاب ، كل هذا سيتم بواسطة الآلة ، وفي الماضي عندما كان اثنان يريدان القتال ، كانا يتنازلان ، والاقوى جسدا يربح ، اما اليوم ، فرجل واحد يحمل رشاشا ، في استطاعته ان يقضي على الالوف ، هذه هي الحضارة ، في الماضي عندما كان الناس يعملون في الهواء الطلق ، لايتقيدون باي تنظيم للوقت ، يعملون ساعة يشاؤون ويرتاحون ساعة يرغبون ، اما اليوم فآلاف العمال يفرض عليهم ان يسيروا الآلات في المصانع ، وان يعملوا في المناجم وحالتهم اسوا من حالة الحيوانات ، انهم يعرضون حياتهم لاشد المخاطر من اجل اصحاب الملايين ليتاح لهؤلاء مضاعفة ثرواتهم ، في الماضي كانوا يستعبدون الناس بارهابهم وتخويفهم ، اما اليوم فانهم يستعبدونهم ببريق الذهب الرنان والطرق التي تؤدي الى الحصول عليه ، وفي ايامنا هذه انتشرت امراض لم تكن ليتصورها الانسان في الماضي ، وهي تتطلب جيشا من الاطباء للتفتيش عن الدواء اللازم لها ، والعديد من المستشفيات للاستشفاء ، وهذا ايضا مظهر من مظاهر الحضارة ، في الماضي كان ارسال رسالة يتطلب الكثير من التكاليف وساعيا خاصا لنقلها ، اما اليوم فاي واحد في قدرته ان يشتم جاره عن طريق الرسائل ، ولا يكلفه ذلك الا بنسا واحدا ، وقد يكفي هذا المبلغ نفسه لنقل الشكر والمديح ، في الماضي كان الناس يتناولون وجبات الطعام مرتين او ثلاثا في اليوم ، وكانت الوجبات تتالف من الخضر والخبز الذي يصنعونه بأيديهم ، اما اليوم فانهم يريدون ان يأكلوا كل ساعتين ، فلا يبقى لهم متسع من الوقت للقيام بعمل آخر ، وماذا استطيع ان اقول اكثر من ذلك ؟ ان كل ما قلته لك تجده في الكثير من المؤلفات التي يسمح بها ، والذي يقول لك العكس يكون جاهلا ، وهذه

الحضارة لاتهتم بالاخلاق والدين ، ومعتنقوها يصرحون هادئين بان تعليم الدين ليس من شأنهم ، ويذهب بعضهم الى القول بان الدين ما هو الا اعتقاد باطل ، وهمي وخرافي ، بينما يتستر البعض الآخر وراء الدين للتحدث عن الاخلاق ، ولكن تجارب السنين العشرين التي مررت بها تجعلني على يقين تام من ان ما يلقن على انه اخلاق ، يبطن الكثير من البذاءة والخلاعة ، وفي امكان الطفل ان يلاحظ ذلك ، اذ انه في كل ما قلته لك لا يوجد اثر للدعوة الى التحلي بالاخلاق ، والحضارة التي تسعى لرفع المستوى الحياتي المادي ، تفشل يائسة في هذا الحقل .

هذه الحضارة ، انها الالحاد بعينيه ، وسيطرتها على الاوربيين تجعلهم في نظرنا كأنهم انصاف مجانين ، لانه ليس عندهم ، لا القوة الجسدية ولا الشجاعة ، وهم انما يعاقرون الخمرة دائما لتبعث في اجسامهم بعض الحرارة والحيوية ، وتنهك قواهم في البحث عن السعادة في الوحدة ، والنساء اللواتي يجب ان يكن ربات البيوت ، يتسكعن في الشوارع ، او يضنين في المصانع ، وسعيا وراء دريهمات قليلة ، اكثر من نصف مليون امرأة انجليزية يعملن في المصانع في حالة يرثى لها ، هذه الاوضاع المخيفة هي احدى اسباب الاتساع المتواصل للحركة المطالبة بمنح المرأة حق الانتخاب .

لقد وصلت هذه الحضارة الى درجة ، لم يعد علينا معها سوى الانتظار بصبر لنراها تقضي على نفسها وتنهار كبيت من الورق المقوى امام النار ، وحسب تعاليم النبي محمد ، حضارة كهذه انما هي حضارة شيطانية ، والتعاليم الهندوسية تسميها العصر الاسود المظلم ، لايمكنني ان اعطيك الفكرة الحقيقية عن هذه الحضارة ولكن يكفيك مراقبة الشعب الانجليزي ، لتكون عندك هذه الفكرة بوضوح ، مما يجعلك تهرب منها بعد ذلك ، والبرلمانات الحديثة هي اصدق رمز وخير تعبير للعبودية ، فاذا ما فكرت بذلك جيدا كونت لنفسك الراي نفسه ، وكففت عن لوم الانجليز لانهم بالفعل يستحقون العطف وليس اللوم ، انهم شعب بعيد النظر ، لذلك اعتقد انهم سيتمكنون من الخروج من هذا الشر ، انهم شعب نشيط مقدام ، وطريقتهم في التفكير ليست منافية للفضيلة ، بل انهم طيبو القلب ، ولذلك احترمهم ، ان الحضارة ليست مرضا مستحيل العلاج ، ولكن يجب الا ننسى بان الشعب الانجليزي ينوء تحت حملها الآن » .

وهكذا فان هذا الكتاب يعطي صورة صحيحة عن جانب من فلسفة غاندي ولئن كانت خصومة غاندي للحضارة الحديثة تكتسي شيئا من العنف والمبالغة في بعض الاحيان فان المهاتما رغم ذلك كله يدافع دفاعا منطقيا وامينا عن القيم الروحية والانسانية التي سيبقى اسم الحضارة الحديثة بدونها ، كلمة مزعجة ومخيفة ، تجعل من فشل مؤتمر القمة جوا تتراقص فيه الصواريخ والقنابل التي تحطم معالم هذه الحضارة في ثوان معدودات .

الكامل من بني الانسان

قال الحسن اربع من كن فيه كان كاملا ومن تعلق بواحدة منهن كان من صالحي قومه ، دين يرشده ، وعقل يسدده ، وحسب يصونه ، وحياء يقوده .





مقاومة انسانية

بقلم : احمد مراد

المقاومة ضرورة ، انسانية فطرية ، بقدر ما هي حاجة ماسة للذود عن الكيان وحماية الوجود الحسي والمعنوي للانسان المتحضر ، ولا تكون المقاومة الا وليدة الحيوية واليقظة ، ودليل الاحساس والشعور فى الافراد والجماعات والشعوب .

ولا سبيل لتحقيق العزة القومية وحفظ الكرامة الوطنية ، الا باستكمال وسائل المقاومة فى شتى الميادين ، والاستعداد الدائم لخوض غمارها عند ما تدعو الحاجة وتلح الضرورة ، ويغدو المرء مهددا فى بقائه ، وقديما قال احد الحكماء : « اذا اردت الصلاح والاصلاح فكن مستعدا دائما للكفاح » .

وقبل هذا وبعده هناك قانون انساني عام تفرضه طبيعة الكون ، وينسجم مع حب المحافظة على البقاء فى الانسان ، لان الذي سنه هو خالق الكون والانسان ، ذلك قوله عز وجل : **« واعدوا لهم ما استطعتم من قوة »** .

وبديهي ان المقاومة تنبعث عن شدة البغي ، ومواصلة العدوان ، ويخلقها الامعان فى فرض السيطرة والاستبداد والاسراف فى الاستغلال والاستحواذ وهذا ما حدا بشعبنا الجريح فى عزته وكرامته ان يرفع لواء المقاومة المسلحة للاحتلال الدخيل . . بعد ان اعيته جميع الوسائل السلمية ، ولم يعد فى الوسع غير الالتجاء الى اللغة التي يفهمها المستعمرون المتمدنون ، ولا يفهمون غيرها ، وهي لغة القوة الفعالة .

نعم ، لقد هب الشعب الجزائري للمقاومة المسلحة ، بدافع انساني فطري ، حفاظا منه على البقاء وتشبثا بالوجود الكريم ، وذودا عن كيانه المهدد بالاساليب الصليبية المتعصبة . . بعد ان تحقق هذا الشعب ان الاستعمار البغيض يعمل بكل قواه على ابادته ومحوه ، وازالة آثاره من خريطة العالم الانساني، وليس من الطبيعي ولا من المعقول ان يتحمل شعبنا الحر اكثر مما تحمل من جور الاستعمار وبغيه ، دون ان يهب للمقاومة ، ويندفع فى ميدان الجهاد المقدس ؛ وليس من دأب الاحرار ان يصبروا على حياة الذلة والهوان ، دون ان يتحاكموا مع عدوهم الى شريعة السنان ، وقد بات الشعب من الوعي والنضوج بالقدر الذي يؤهله ــ عن جدارة ــ لتولي شؤون سيادته وتقرير مصيره بنفسه ، بعد ان ادى المهر الغالي ، والثمن الباهض من اجل استرداد حريته

وللحرية الحمراء باب   بكل يد مضرجة يدق

ولكنه يدرك ان الاستعمار يأبى ان يعترف بالحق لذويه الا اذا اكره عليه اكراها ، ولم يجد مناصا من التسليم بالامر الواقع ، كما سبق ووقع . . مع غيره من الشعوب التي تقدمته فى ميدان النضال .

فالمقاومة الجزائرية ـ اذن ـ قائمة وتقوم على دعائم انسانية ، واصول شرعية منطقية ، لانها جاءت نتيجة طبيعية لامعان المستعمرين في تسلطهم الفاحش ، واستبدادهم الفظيع بجميع المرافق الحيوية في البلاد واهل البلاد ، فهل يعقل ـ بعد هذا ـ الا يهب الشعب الجزائري للدفاع عن نفسه ، ودفع الظلم والعدوان عن وطنه ؟ وهل ـ بعد هذا ـ يلام ان استمر في المقاومة وواصل الجهاد ما دامت اسباب العدوان والطغيان قائمة في بلاده ، تتحدى العدالة ، وتهزأ بالشرائع الانسانية ؟

لا ، لا اعتقد انه يوجد من بين الاحرار ، وذوي الضمائر الحية من لايناصر المظلوم ، ولا يمقت المعتدي، ولذا فان الجزائر ظلت وستظل فخورة ، بما يتمتع به كفاحها التحريري الانساني من تاييد وعطف لدى جميع الاحرار والديمقراطيين في جميع اطراف العالم ، وسعيدة بما تبديه اكثرية الشعوب نحوها من تضامن ومؤازرة مادية ومعنوية ، بالرغم عن الدعاية الاستعمارية الكاذبة التي مافتئت تحاول عبثا تشويه سمعة هذه المقاومة البطولية العادلة ، وتضليل الراي العام العالمي عن النظر اليها بالمنظار الحقيقي المبني على العدل المجرد ، والتفكير الحر ، والمنطق السليم النزيه . .

وفي الوقت نفسه تريد فرنسا ان تصرف انظار العالم ـ من وراء دعايتها ـ عن رؤية الوان القمع والتعذيب اللاانسانية ، التي ابتكرتها العبقرية الفرنسية في عصر (الصاروخ) واتخذت من ارض الجزائر مجالا لتجربتها . . بيد ان العالم اضحى على علم شامل بما يجري في هذا القطر من الجرائم التي تقترفها فرنسا (المتمدنة . .) دون ما مراعاة لحرمة الانسان وحقوقه . . .

والتاريخ العادل سوف لايهمل تسجيل ماترتكبه احدى الدول الكبار . . من اعمال شنيعة ، وما تلعبه من ادوار مزرية على مسرح الجزائر ضد طلاب الحرية والعدالة الانسانية ، اذ ادت بها الحماقة الى ان تنتهك قوانين الحرب ، وتخرق تعهدات الامم والشعوب ، فتقذف المجاهدين بقنابل (النابالم) المحرقة . . الفظيعة ، انها حقا ماساة فرنسية . . جديرة بالاشفاق . . وستبقى وصمة عار في جبين « الدولة الكبرى » . . وصفحة سوداء في تاريخ حربها مع شعب صغير اعزل ، كما بقيت غارات الوندال والمغول وفظائعهم مضرب المثل خلال التاريخ على الوحشية والهمجية الكريهة منذ اقدم العصور .

ان المقاومة الجزائرية المباركة ستستمر في طريقها المرسوم لها حتى تحقق اهدافها النبيلة ، وتنتهي الى غايتهاالمحددة لها ، ولن تستطيع اية قوة باغية ان تحول بينها وبين بلوغ تلك الاهداف ، او تصدها عن ادراك تلك الغاية ، الا وهي استرجاع حرية الشعب وسيادته ، واسترداد كرامته واستقلاله في ارض آبائه واجداده . .

ومهما بالغت القوة الاستعمارية في القمع والتنكيل بالابرياء ، وتمادت في انتهاك الحرمات ، والعبث بالمقدسات ، ومهما اوغل الساسة الاستعماريون في سفك الدماء ، فلن يصد كل ذلك المقاومة الجزائرية عن العمل من اجل اداء رسالتها التحريرية ، وتحقيق امانيها القومية المشروعة ، وحكومة الجزائر ـ التي تقود تلك المقاومة ـ واثقة كل الوثوق من ان اعتماد فرنسا في حل المشكلة الجزائرية على القوة هو محض حمق وسفه لايجديها نفعا ، وقد جربت جميع اشكال القوة فكان مآلها الفشل ،لا في الجزائر فحسب ، بل في الهند الصينية ، وفي المغرب وتونس ، وقبل ذلك في سوريا ولبنان ، ولن يكون حظها في بلادنا اسعد من حظها في تلك البلاد المناضلة ، ولن يسعها الا سلوك نفس السبيل ـ حبت ام كرهت ـ طال الزمان ام قصر ـ فالجزائر ارض عربية اسلامية ـ رغم المناورات والمؤامرات الاستعمارية ـ وقد عقد العزم شعبها وصمم تصميما لا رجوع فيه ، على ان يفك بسواعد ابنائه وثاق حريته واستقلاله ، مهما غلت التضحيات وتضاعف عدد الشهداء والشهيدات .

« ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم » .

هذا هو المصير الطبيعي الذي ينتظر الجزائر الحرة المجاهدة لتحتل مكانها بين الشعوب العربية والاسلامية المتحررة في العالم .

فهل تثوب فرنسا الى رشدها ، وتكف عن غيها وضلالها . . . ؟

ذلك ما نامله نحن ويامله كل انسان مؤمن بالحق والعدل .

قصة العدد

الخطاف : وايابي بالربيع

بقلم : موني لوباندا
تعريب : عبد اللطيف الخطيب

يصبح الكونغو دولة مستقلة ابتداء من فاتح شهر يوليوز القادم .
وتشاء « دعوة الحق » ان تشارك في الاحتفال بهذا الحدث الافريقي الهام بتقديم ترجمة هذه القصة الى قراء العربية . وهي من تاليف الكاتب « موني لوباندة » الذي يعتبر من طليعة الكتاب السود الافارقة ومن رواد الفكر في الكونغو الذي يلتحق في مستهل الشهر المقبل بركب الاحرار .

شخصان لن يتفقا ابدا على قيمة الرجل الاسود وقدرته على العمل . فالرجل الابيض الذي يعتمد على الاسود في القيام بعمل من الاعمال لا يفتا يشهد الناس على سوء تدبير خديمه وضعف نصيبه من الخبرة. اما الرجل الذي يعطف على السود ويعتبرهم مكفولين له فلا يفتأ يشيد باحتمالهم وقدرتهم على التكيف وان اختلفت الاحوال فلا يجد لهم في العالم كله مثيلا . وليبحث الانسان ان شاء عن هذا الشخص المتفائل الذي يستطيع ان يعمل اليوم في البناء ليفرغ متى كان الغد لسياقة السيارات ويقبل في اليوم التالي على طهي الطعام بنفس المقدرة والثقة المطمئنة .

والشيء الذي يهمني في الرجل الاسود هو سلوكه ازاء امثاله وازاء نفسه والطبيعة المحيطة به ايضا . وليس يهمني شيء ان انا تركت المعمر صاحب الشركة والراهب المبشر يسرفان فيما يشجر بينهما من خلاف .

يقال ان السود اشخاص مجردون عن الروح والعقل وعاجزون عن الشعور بحيث ان سلوكهم لايختلف في شيء عن سلوك الدواب . وليس لك الا ان تنظر اليهم عندما ياخذون انفسهم بالعلاج والنظافة لتدرك مقدار انعدام التأثر فيهم بالالم فتتيقن من قساوتهم المعنوية . وان السعي لاستكشاف احاسيسهم مهمة جليلة لانهم يفكرون ــ كما يقال ــ بخلاف ما نفكر ولا يتوفرون على مثل ماتملك من تجربة في العمل وسعة في الخيال وبسطة في العلم .

كنت مسافرا اثناء شهر ابريل بمستنقعات بحيرة « بانغوولو » اثر انتهاء موسم الامطار . وكان الشتاء قد تهاطل بغزارة كبيرة فعمت الفيضانات . فلقد اصبح في مستطاع فرد من الافراد ان هو اخذ قاربا ان ينتقل من « كابالا » الى « كانسونغا » فوق الاراضي المغمورة التي لم يعد يعرف فيها مجرى النهر من الارض اليبوس فيما سبق . اما المستنقعات فقد طغت عليها مسحة الحزن .

فلم تكن البلاد قد تغيرت بعد مرور الكشافة « ليفينغستون » بها قبل ثمانين عاما . ومن الحق ان شركات بعض الفاتحين قد انتعشت وان هؤلاء قد اجتهدوا في اشاعة الحماس وحب العمل في نفوس السود الكسالى . الا ان الغاب سرعان ما طغى من جديد فاسترجع ما اضاع من قبل وذهب بآثار الفاتحين الاولين حتى ان الانهار التي نشاهدها الآن لازالت طبيعتها البدائية التي شاهدها عليها الكشافة الاول .

وكانت المياه الوفيرة تعلو الارض التي انطلقت فيها الماشية تبحث عن مراعيها ، ولم يكن المرء يشاهد الا الماء يحيط به من كل جانب ويمتد من حوله بقدر ما يمتد بصره . وكانت بعض الاعشاب تطفو فوق الماء وبها عدد لايحصى من الديدان التي كان يقع بعضها فتموت غرقا بعد جهد جهيد .

ولقد ركبت قاربا اهليا وجدته يتسع لجلوسي لا غير وكان قليل الارتفاع عن مستوى الماء بحيث كان يوشك ان يمتليء به كلما ضربت بالمجذاف . ولم اكن ارى غير الماء والاعشاب . ولم يكن المنظر يختلف شيئا رغم اسرافي في التجذيف فكان رتيبا يبعث الضجر في النفس . وكنت انفق بعض الوقت في المطالعة والبعض الآخر في الاستماع الى ما كان يقصه ربا القارب الاسودان من حكايات .

كان احدهما يسمى « موبلوا » والآخر يدعى « بواليا » وكلاهما من بلاد « باطوا دي روبونا » . ولقد كانا شابين متوحشين قويين من مواليد بلاد تقع عند الجنوب الغربي من البحيرة . وبلادهما عبارة عن سهول ممتدة لانهاية لها . واهل هذه البلاد لايستثمرون الارض كما يفعل غيرهم في مختلف الجهات . فلماذا سيجهدون انفسهم في حراثة الارض ما داموا يجدون بعض اشجار التين البري اذا ما بلعت الارض ماءها ويستخرجون اعشاب البشنين اذا ما انغمسوا في الماء ابان الامطار ليصنعوا لانفسهم منها دقيقا يقتاتون منه اذا يبست ؟ . وما لهم وحراثة الارض ما داموا يستطيعون ان يدفعوا عن انفسهم الم الجوع اذا هم مصوا ورق البردي الذي ينبت في كل الجهات ؟ . ولماذا يرهقون انفسهم في حراثة هذه الارض الجحود ما دام في مستطاعهم ان يصطادوا بكل سهولة في بحيرة « كيالي » متى ارادوا اكل السمك ؟ .

وما هي الفائدة من صيد البر لولا الرغبة في استبدال دقيق الاعشاب باللحم التي تعرض للشمس ليسهل افتراسها ؟ . ان سكان « كاباطا » مشغوفون بالفلاحة . ومع ذلك فهم معروفون بالشره في اكل لحم الماشية والسمك كما هم معروفون بالعجز عن الصيد والاقتناص . ان الجوع يستبد في غالب الاحوال بسكان « باطوا دي كيبوبا » . ان الحسرة لاتغني شيئا ما دمنا نعلم ان من الايام ما يكثر فيها الغذاء حتى يشبعون ومنها ما ينضب فيها الضرع فيجوعون حتى يقيئون دماء احشائهم . ان كل واحد منهم يعرف هذه الحقيقة ويعرف انها لن تتبدل ابدا . وان يقينه هذا يصرفه عن الشكوى . وهذا ما جعل اهل « باطوا دي كيبوبا » اشداء اقوياء لايشكون صروف الدهر ابدا .

وقد توقفنا خلال بضعة ايام بقرية «مويوا مومبا» بجزيرة « ماطونغو » . فقد رأينا الناس لازالوا يشتغلون في اكواخهم ويعدونها على استعجال . وكانت هناك امراة عجوز تجتهد بدورها في انشاء كوخها مع انها كانت مقعدة كسيحة . فلقد كانت تحبو وهي تتمتم بما لايفهم من القول املا في ايناس نفسها . وكان اطفال القرية يجتمعون من حولها فيستهزئون بها ويجدون لذة في ايلامها حتى ينطلق لسانها بالكلمات النابية علما منهم بأن ذلك المنظر عديم المثيل في تلك الجزيرة . وكان يجتمع حولهم بعض المتفكهين المشغوفين بالتنكيت فكانوا يقولون ان المراة العجوز ستصل في الوقت المناسب لبذر اليقطين . وكان المارة يضحكون ويسرفون في الضحك لان الناس كلهم يعلمون ان اليقطين يوكل في شهر ابريل . وكان هذا القول الذي يضحك الصبية يولم المراة المسنة فكان لسانها ينطلق بالسباب والشتم لمن يسيئون اليها . فلقد كانت تصيح فيهم قائلة بصوت جهير « اذهبوا يا ابناء الاشقياء الذين تسخرون من امراة عجوز . فانتم ستردون في يوم من الايام الى ارذل العمر وستصبحون عاجزين قعدة » . الا ان دعاءها عليهم كان ياتي بنتيجة مخالفة لما كانت تبغي . فلم يكن الاحداث يرون في كلامها الا ضربا من الهذر الذي يثير ضحكا جديدا . فلم يسمع قط ان اللعنة الموجهة للغير قد ابرات صاحبها من العلة التي يشكوها . فاذا كانت المراة العجوز تجد في نفسها القوة لتوجيه اللعنات الى الاطفال فانها لم تكن تجد في تلك اللعنات ما يبعث

القوة فى ساقيها الكسيحين . ولم يكن للمراة بد من متابعة سيرها البطيء نحو الحقول وهي تردد كعادتها كلماتها البذيئة المعتادة .

وقطع الطريق خلد فأنقذ المراة العجوز من سخرية جديدة لان الاطفال شرعوا يتنازعون فيما بينهم لان كلا منهم كان يامل الاستئثار بذلك الحيوان الصغير .

ولما عدت الى القارب سألت صاحبيه عن قصة المراة العجوز وهل كان لها اولاد وما كان مصير هؤلاء ولماذا لايقدمون اليها بعض العون فعلمت منهما انه كان لها عدة اولاد كبروا فتزوجوا وهجروا القرية فلم تعد تعلم من امرهم شيئا . اما سكان القرية فقد اصبحوا لايطيقون الاستمرار فى تقديم المعونة لها لانها كانت تنالهم جميعا بكلام بذيء . والحقيقة هي ان الناس قد جبلوا على العياء اذا قدموا مساعدتهم الى شخص لايجديهم نفعا فى شيء وينفق وقته فى التشكي والشتيمة . وانهى « مويلبا » كلامه قائلا « ان مثل هذه المراة الهرمة من النساء العاجزات المقعدات مخلوقات تثير الضحك وان كانت سخيفة صعبة المراس » .

واخذت افكر فيما رايت فرق قلبي . ولم استيقظ من تفكيري العميق الا عندما وصلنا الى « نامبا » وكان « مويلبا » يحكي لزميله (بواليا) قصة ساقصها عليكم كما سجلتها

« لقد عزمت فى هذه السنة على اصطياد الوشق لان فراءه ثمين يقبل الاوربيون القاطنون بالناحية على اقتنائه . وقضيت عدة اسابيع فى الصيد بجوار بحيرة « كيالي » . وكان الوقت موسم الامطار الذي يخرج فيه السمك من البحيرات الى الانهار ليتيه فى المياه التي تطغى على الارض كلها فيجعل ذلك الحيوان يقتفي الحيتان لياكلها . وكنت قد عزمت على الاقامة بالقرية اسبوعا كاملا بعد توفيقي فى الاصطياد . ثم اني كنت اريد بيع الفرو والجلود الى تاجر « نشيطا » الذي كان يؤدي مقابلها احسن الاثمان . ولما كانت الطريق طويلة بين « كيالي » و « نشيطا » فقد قررت الاقتصار على الذهاب والعودة مرة واحدة فى نفس ذلك اليوم الى قريتي لاستريح فيها من عناء الصيد والشتاء والغربة .

ولقد كان سفر الذهاب هنيئا محمودا اذ بعت جميع الجلود باغلى الاثمان . وتوقفت بعض الوقت فى قرية « بواليا مبوندا » قاتل الاسود بقصد التحدث الى بعض صحبي . وكانت الشمس قد اخذت تميل للمغيب عندما فكرت فى الرجوع . غير ان سحبا كثيفة منذرة قد عمت الافق جهة الشرق . وكان لي من الوقت ما يكفيني للعودة الى بيتي قبل ان تتهاطل الامطار بغزارة اذا انا اجتهدت فى التجذيف . فالقارب خفيف لمن يريد العودة الى قريته ويسرف الطرق المؤدية اليها . ولقد بذلت فى التجذيف اقصى المستطاع كما كنا نفعل فى المسابقات التي كانت تقام لتسلية البيض . الا ان السحب كانت تسير بسرعة مدهشة فتلتحق بقاربي كلما تقدمتها بعض الشيء .

وكنت قد اجتزت غابة « كيبولا » عندما ادركني الليل . وكانت المسافة لاتزال طويلة امامي . وكنت فى نفس الوقت اعلل النفس بعدم نزول المطر حتى استطيع مواصلة السير . وقد بدأت الريح تشتد فكانت تعينني حقا على التجذيف وكان القارب يسير بقوة تفوق سرعة الطير وسرعة القطار الذي اخترعه البيض وشاهدته يوم قصدت المدينة .

ولكن سرعة السحب اصبحت اقوى من سرعة قاربي مع الاسف . فلقد اخذت هذه السحب تلاحقني كلما اجتهدت فى التجذيف للابتعاد عنها . وسرعان ما غابت النجوم عن بصري فعاد كل شيء اسود قاتما . وجعلت اجد مشقة فى التمييز بين المسالك وسط الاعواد المرتفعة فوق الماء . وسرعان ما اصبحت كالرجل المعصب العينين . ومن حسن حظي ان السماء كانت تتخللها بعض المناطق المضاءة فاتيقن بانني لا زلت فى الطريق المستقيم كلما تركت تلك المناطق ظهريا . وفجأة اخذ المطر يتساقط رذاذا دافئا اول الامر ثم غزيرا باردا . وفى لحظة قصيرة ارعدت السماء واصبح البرق يتخطف بصري . ولقد حاولت الاستمرار فى التجذيف . غير ان البرد اصاب اطرافي فلم اعد اقدر على شيء .

وحاولت اقناع نفسي بان بحيرة « كيالي » لم تعد بعيدة وبانني اصبحت على مقربة من قريتي . ولم يكن عملي هذا الا من قبيل الكذب على نفسي . فلقد كنت اعلم علم اليقين عند مسيري بالنهار ان البحيرة بعيدة عن « كيبولا » . واستمر تهاطل الشتاء

فكان في اصراره على هذا العناد ما يذهب بياسـي . وكنت اتوقف بعض الوقت لاحاول اشاعة الـدفء في اطرافي ووقايتها من ذلك الماء الكثيف المنهمر . غير اني لم اكن اجد الا بعض الاوراق الطافية على صفحة الماء . ومع ذلك فقد حاولت جمعها بقصد الوقاية فلم افلح لان يدي كانتا ترتعشان من مفعول البرد والخوف معا . وما اقل الاشخاص الذين لاينتابهم الخوف اذا جن الليل وتهاطل الشتاء .

اما حذائي المعمول من اوراق الشجر فلم يعد يفيدني شيئا . ولقد حاولت اشتئناف تلك المسابقة مع الزمن فكان مصيري التيه في تلك الليلة الممطرة الظلماء . ولو كانت الدموع تعزي الرجال عما يصيبهم من سوء ومكروه لبكيت . الا ان العبرات لاتصرف الهموم الا عن نفوس الاطفال .

واقلعت السماء وهدأ كل شيء حولي . أمـا جسمي فقد ظل يهتز كتلة واحدة من غير سبب دون ان انجح في تهدئته . ولقد خارت قـواي وانهـارت اعصابي فتيقنت من انني هالك لا محالة وانني لـن اعـود الى عشيرتـي ابـــدا .

وفجأة سمعت زئير ليث على مقربة مني فاهتزت اطرافي كلها فرقا . وما اسعد من كان مثله في هـذه الحياة كمثل السلحفاة التي لا يطرد خفقان قلبها متى شعرت باحساس من الاحاسيس . ان الزئير كـان ينبعث مخيفا بحق من جوف الاسد ولم يكن صـدري يضم قلب السلحفاة حتى لا أجزع له . ان الخـوف الشديد قد تملكني حقا . ولقد بلغ من نفسي مبلغـا جعلني اصرخ بكل قواي

ـ اذهب لحالك يا « كيباندا » فانك شيطان لعين . فمن هو هذا الذي طلبـك او استـشارك ؟ . فليست لي حاجة فيك وليس لك ان تشيع الخوف في نفـوس العائدين الى ديارهم . انـني لم امسك بسوء فاذهب عنـــي .

وعبثا يحاول الفرد احداث الرعب في نفس اسد يريد الاضرار بتوجيه السباب له . فلا يوجد مايرهب الاسود او يخيفها . بـل ان الصـراخ لا يزيدهـا الا اصرارا على الاذاية . ان هذه الاسـود هم اكلة الانسان ولا يعرفون للرحمة مدلولا . ولقد كنت سعيد الحـظ حقا . فان الاسد الذي كنت اشتمه لانه كان يزار على مقربة مني كان من الاسود العادية .

كان لقاء الاسد حادثا سعيدا حقا لانني اهتديت الى الطريق فوصلت الى البحيرة ثم الى القرية خائـر القوى من فرط الجوع والتعب والبرد . ولقد وجدت القرية هادئة حتى ان الكلاب لم تنبـح عندمـا جعلت اقترب منها لانها كانت مشغولـة بالعبث سعيـا وراء شيء من الدفء والحـرارة .

وكنت الهث بقـوة عندما وصلت الى كوخنـا الصغير فوجدت بابه الكبير مفتوحة ووالدتـي علـى مقربة من النار الموقدة . وما ان سمعت دوي المشـي حتى اخرجت رأسها لترى مـن القادم اذ انهـا ظلت تنتظر قدومي على اسرافي في التاخير .

قالت « السلام عليك ومرحبا بقدومك » .

احمدي لي حقا سلامة عودتي يا أمـاه .

ان البرد قد قسا عليك ياولدي من غير شـك لان المطر قد تهاطل طول الليل . فاقتـرب مـن النار لتشيع الدفء في جسمك . ولقد خرجت للاحتطاب لاني كنت أتوقع رجوعك متأخرا وقد سرى البرد في عروقك واطرافك . وانك جائع لان النهار طويل وقد قضيت وجهه وآخره في العمل . ولقد انفقت بعضـه في تيسير الغذاء لك . فكـل منه تصب النفـع العميـم يـا ولـــدي .

وكانت المراة العجوز قد أعدت الحساء وشيئـا من السمك وهيأت آنية الماء لغسل يدي اذا ما انتهيت .

وجعلت والدتي تحدثني عن مخاوفها وآمالها في الوقت الذي كنت اصيب فيه من الطعام . فقالت

« لقد سمعت في لحظة ما زئيـر الاسـد عنـد ما اقلعت السماء فجأة . ولقد تملكني الخوف الشديـد عليك لان الزئير قد سمع من جهة « كيبولا ». وخفت

ان يكون ذلك الاسد من اكلة لحوم البشر لانهم لايدركون للرحمة مدلولا . ولم اعرف السبب فى استعادة قلبي للثقة لانني جعلت اجزم بعودتك . فالغالب على الظن ان ذلك الاسد كان من الاسود العادية التي لاتصيب احدا بسوء . وها انذا اراك امامي سالما » .

ولم تفتر والدتي عن النظر الي طيلة الوقت الذي كنت فيه منهمكا على الاكل . وكانت امارات الفرح بعودتي بادية على كل حركة من حركاتها وهي تقول :

« كل يا ولدي العزيز وخذ نصيبك من الراحة . فالحق اقول لك اذا انا اكدت ان الام لا تنتظر ان تبرز اضلاع ولدها من فرط الجوع لتنيله شيئا يقتات منه»

ولقد انهى « بواليا » كلام رفيقه بالتعقيب عليه قائلا « ان كل ما قصصت علي واقع حق . فالام لا تحتاج الى لمس راس ولدها لتعلم انه يقاسي الم الصداع .

ولقد ادركت مرة اخرى برهان الحب العظيم الذي تكنه الام نحو ولدها وتيقنت مرة اخرى من صحة احترام الابناء للآباء عند السود الساكنين فى الادغال .

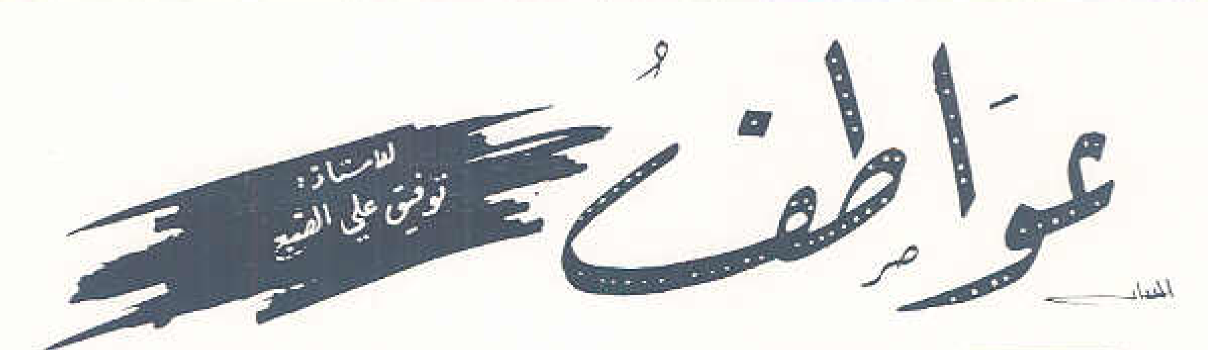
ان الخطاف لا ياتي حتما بفصل الربيع . غير انه يساهم فى الاتيان به حقا .

التخول بالموعظة خشية الملل

فى الصحيحين عن ابن مسعود انه كان يذكر كل خميس فقال له رجل يا ابا عبد الرحمن انا نحب حديثك ونشتهيه ولوددنا انك حدثتنا كل يوم، فقال ما يمنعني ان احدثكم الا كراهية ان املكم ، ان رسول الله كان يتخولنا بالموعظة مخافة السآمة علينا .

وعن عمر رضي الله عنه انه كان يقول على المنبر ايها الناس لا تبغضوا الله الى عباده فقيل كيف ذلك اصلحك الله ، قال يجلس احدكم قاصا فيطول على الناس حتى يبغض اليهم ما هم فيه ويقوم احدكم اماما فيطول على الناس حتى يبغض اليهم ما هم فيه .





بين حياة حالمة وظل وارف ونعيم مقيم فى ربوع القاهرة اختال تارة بين افنانها واجول اخرى اذ بي اجدني متجها دون تدبير الى بلاد عقبة وموسى وطارق ، فامتطيت لاول مرة بنت الهواء ورفعت اكف الضراعة الى الله عز وجل رب الارض والسماء ان يعيذني من وعثاء السفر وسوء المنقلب وان يهيىء لنا من امرنا رشدا وان يجعل من هذه الرحلة نفعا لابناء العرب والاسلام ، وكان ابواب السماء قد تفتحت لهذا الدعاء فوصلنا المغرب آمنين ، واختار الله لي « قصر السوق » الذي استغرقت رحلته يومين من مدينة الرباط ... فوجدت الري والهواء والوديان الخضراء والدفء والشفاء والفضل والمروءة والنبل بين شيبها وشبابها وعلمائها وادبائها فقلت :

حظيت فى المغرب الاقصى باخواني ... وعترتي وسليلي العز اخلاني
اذ انني بينهم منهم ولي سكن ... وفى قلوبهم آنست اوطاني
وفى عيونهم تبدو محبتنا ... وفى وجوههم اشراق تحنان
فلم اكن كغريب ند موطنه ... ولم اكن كوحيد شط او عاني
مجالس الانس تدني كل مبتعد ... وترتقي صهوات العز بالداني
ترى الغريب لديهم من عشيرتهم ... وقد يحيى ووقد بالقرى حاني
تبدو البشاشة اضواء بطلعتهم ... تغني عن الشمس فى زهر وريحان
تخلت وقتي فيما بينهم متعا ... فللحجا اول والجسم للثاني
فتارة تحت ظل الكرم يطربني ... صوت البلابل تشدو نغم الحاني
وتارة اتهادى تحت باسقة ... يهزني الشعر شوقا هز نشواني

وتارة اقصد الزرقاء مرتشفا … معينها العذب من جنات رضوان
فزيز (1) صفق والاغصان راقصة … وغادة الطير غنت فوق افنان
والورد يضحك اعجابا بطلعته … يعانق الزهر لثما ثغره القاني
غريس (2) قهقه مزهوا بسلسله … فايقظ الدوح فاختالت على الجاني
والدر بالاطلس اصطفت كواكبه … حسان عرس تباهي تحت تيجان
كانما القمر الفضي البسه … من وجهه حلة زهراء الوان
وللملاعب افنان تظللها … من حولها الماء يسقى مائس البان
وللمسابح اشجار تحضنها … كالام ضمت وحيدا ضمة الهاني
والريم في المغرب الاقصى يغازلها … زهر النجوم فتبدي طرف خجلان
جآذر تتبدى كل واحدة … كزورق تاه في لج بوسنان
وللمدائن ساحات وابنية … تنفي عن النفس آفاتي واحزاني
فاس ومكناس والبيضاء طنجة في … مراكش ورباط العز مجدان
مجد بناه الالى في قوة سبقت … ومجد فخر حديث في يد الباني
لا ملك قيصر في الرومان يعدلها … ولا مدائن كسرى لابن ساسان
قد شرف الله بالاسلام رايتها … وبالشريفين من ابناء عدنان
فكل وصف بهي في بلادهم … سجية منهم في كل انسان
ونفحة المسك من اردانهم بسقت … يفار منها شذا عرف ببستان
وبسمة عند قصر السوق تؤنسني … تبدد الشوق من احشاء ولهان
ان الجمال جميل من طبيعتهم … والحسن انبت فيهم كل احسان
فلا ترى فيهم الا اخا ثقة … له على الفضل والآداب كفان
كف تنمي النهى دوحا وتغرسه … وكف عدل تصد الآثم الجاني
وفتية بجلال الحق تلمحهم … انس الملائك في امن وايمان
رواد علم واخلاق ومعرفة … وكلهم في منار الحق اعوان
غرست ودي في اعماق مهجتهم … فنازعوني حبي بين ولداني
وآثروني على الآباء في ثقة … حلوا بها بين احشائي ووجداني
فان مشيت اراهم رفقتي زمرا … وان وقفت احاطوني باجفان
وان طرقت حديث العرب تحفزهم … مجد العروبة في ثورات بركان
كأن عقبة لما هز صافنه … وطارقا وصدى موسى بآذان
فالحزم والعزم والآداب فطرتهم … نفس العصام وما سادت بنعمان
رعاكم الله اشبالا وايدكم … واذهب الله عنكم كيد طغيان
ومكن الله للاشراف دولتهم … على قواعد عز ثبت اركان
واثبت الله فيهم كل ذي همم … يقوم بالحق في صدق وايقان

---

1) اسم واد بتفيلالت
2) اسم واد كذلك

يا أكادير ...

للشاعر:
ابراهيم محمد الياسيين

آيات حسنك تفر يا اكادير ... وغابر المجد اضغاث اساطير
اين الاواصر والاحلام عسجدة ... وساحر الفجر آذان وتكبير
اين الجوامع صداح بمنبرها ... رسالة الهدى امساء وتبكير
اين العذارى كطل الصبح مبسمه ... فرائد اللؤلؤ المكنون منثور
اين اللواتي هزجن الحب عن شرف ... بساحل البحر غادات قوارير
اذا شدون اهازيجا مزفنة ... فراقص الموج تصفيق وتزمير
انوارها الزهر اقمار اسى خسفت ... حالت ظلاما فلا نار ولا نور
ولا مجيب برد السؤل ينبئنا ... خلا العواء واطلال مطامير
انى حللت فارماس ومقبرة ... غارت اغادير والهفى اكادير
كانها الكهف اصحاب به رقدوا ... وكلبهم رابض بالباب قطمير
مالي ارى البلدة الشماء جاثية ... اطلالها الربد اشلاء وتدمير
خرت سقوفها ذمرى فاحتوتها يد ... من العباب وصخاب اعاصير
يدافع البحر زلزال يهدهده ... كانما الحتف ميقات وتدبير
في عاطل الظلمة الطخياء مرعبة ... من الحنادس سور تلوه سور
يدمدم البحر جياشا بساحتها ... كشامخ الطور يقفو اثره طور
كالافعوان فحيحا راعه هلع ... او جارف النار مشبوب ومسعور
تخطفاها فناء تلك زلزلة ... وذاك موج ولله المقادير
اضحت كواعب مغناها محطمة ... والام صرعى ورب الدار مقبور
اميمة الطفل والهفى يلوذ بها ... ضمته ولهى وزند الطفل مبتور
ينازع الروح انفاسا محشرجة ... طفل تهشم لا غوث ولا عير
واسبل الجفن اغفاء بحاضنها ... يا للامومة ارزاء وتكدير
فزجيا السقف احجارا بمفرقها ... صرعى تهادت وشعر الهام منثور

ضمته حيا وميتا جل مطلبها   جنب لجنب وداعي الموت مقدور

(عبد الكريم) وقد البثت عن قدر   مر دهانا ولم تجد المحاذير

فامدد يديك امين العرب معتزما   واسى اكادير لن تاسى اكادير

يا بنت طارق يا تكلى اكاديرنا   يا بنت يعرب امجاد مفاوير

مالي ارى الصور نفخا فى مرابعنا   وناعب الموت تفريق وتعكير

وقاصف الذرة الرعناء تجربة   فى ربعنا الحر تخريب وتدمير

وغاصب الحق ديغول وعصبته   تهديده الذرة الهوجاء تفجير

دستورنا العدل ايمانا وشرعتهم   شريعة الغاب قانون ودستور

اعاهل المغرب الملتاع لوعتنا   العرب من رزءها صدع ومثبور

رزء المليك مصاب العرب نكبتهم   فالطفل منتحب والشيخ مثبور

يامن بذلت ثمين الجود موجدة   والروح قبلا فسامي الفخر مسطور

وكم اشدت فخارا دونه قصرت   نوابغ الدهر والافذاذ تيسير

تصارع الموج والزلزال عزمتكم   حتى تثوب الى العليا اكادير

الكريم اوسع ما تكون مغفرته ، اذا ضاقت بالمذنب معذرته .

ابراهيم بن العباس



للشاعر الاستاذ :
محمد احمد عبد الصالحين

حتى متى دهري يجور ويمنع — والى متى قلبي يئن ويخضع
والى متى القاسي يرق لحالتي — والى متى هذا السحاب يقشع
والى متى ليلي يطول وينقضي — هذا الشباب ولم أنل ما اطمع
حاولت ان اخفي الهوى عن لائمي — لكنني لم اقو ، ماذا اصنع ؟
فاض الفؤاد بما تكن ضلوعه — والعين قد راحت سريعا تدمع
تشكو النوى ، وتذيع ما اخفيته — قد كنت قبل اليوم لا اتوجع

انسيت اياما تقادم عهدها — ايام كنا فى المنازل نرتع
والطير تشدو فوقنا بغنائها — فتزيل هما قد حوته الاضلع
أيام كان الحب يجمع بيننا — والدهر راض ، والعواذل هجع
أنسيت أحلاما كتبناها معا — فوق الرمال ، وقلبنا يتقطع
أنسيت دمعا سال فوق حروفها — فأزالها ، وكأنه يتوقع
هذا الفراق ، فما امر مذاقه — من لي بهذا العبء عني يرفع

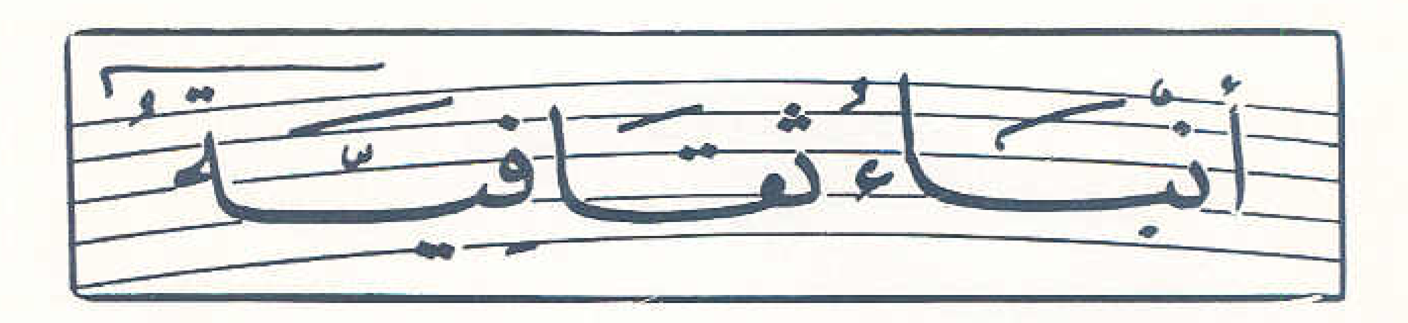
فى المغرب الاقصى احن صبابة — والحب فى مصر العزيزة يرتع
فارقته لا للغنى اسعى له — ابدا ولا فى الجاه نفسي تطمع
فاليوم اسعى نحو أسمى غاية — واجل اعمال تفيد وتنفع
تثقيف شعب يسترد مكانه — فوق الثرى أو للثريا ينزع
ما عاقه كيد العداة ولم يخف — من مكرهم بل سار قدما يهرع
يبني ويرفع للعروبة شأنها — حتى غدا كالطود لا يتزعزع
يبني ، ويرفع ركنه بعزيمة — جبارة لا تنثني أو ترجع

يا معرضا عني لغير جناية — قدمتها ، ما ذا اقول وتسمع ؟
هذي رسالة مخلص لبلاده — يبقى لها مهما تباعد موضع
طوع البنان يعيش كل حياته — من اجلها ، والحر لا يتمنع
والحب للاوطان فرض واجب — والحب للاوطان لي قد يشفع
عند التي دوما تلوم وتدعي — انى هجرت وفى الهوى أتصنع
وتقول : انك قد نسيت عهودنا — عجبا ! أصون عهودها وتضيع



وداعا ايتها الارض المباركة ، وداعا ايتها المدينة الطيبة ، وداع غير قال ولا مال ، بل وداع مستجيب لصروف الدهر .

ملأت قلبي من نعمائها طربا ... فهل يوفي قصيدي بالذي وجبا
يا دارة الحسن والآثار ناطقة ... تروي الروائع عن ماضيك والعجبا
ما زال جامعك المعمور مفخرة ... للضاد ، طوق طوق المنة الحقبا
يافاس يابهجة الآمال باسمة ... وجنة المغرب الاقصى بما رحبا
يا فتنة العاشقين الحسن مازجه ... من العفاف دلال فى الهوى عذبا
كم ضمن الحسن جلباب وما ظهرت ... سوى المحاجر تنبي بالذي احتجبا
والله ما اخطات رميا وان مزحت ... وفرحة القلب ان يغدو لها السلبا
يا فاس ياروضة للعقل زاهرة ... يجني المعزين منها العلم والادبا
كم لجت للناس فى التاريخ نور هدى ... للسالكين المعالي العجم والعربا
كم حل فيك بعيد الدار مغترب ... انسيته الدهر اما برة وابا
باهي جمالك فى اجوائها الشهبا ... وفاق خيرك فى تهطالها السحبا
يا فاس يانغمة كالسحر رددها ... فم الزمان يجلي وقعها الكربا
جرى حديثك فى بدو وحاضرة ... كجري سعدك فى عليائه خببا
لولا هوى لي فى بغداد تيمني ... لما ارتضيت سوى ناديك مطلبا



❊ نشر الدكتور سليمان الطنجاوي في جريدة « البيان » التي تصدر بواشنطون في العدد الصادر بتاريخ 16 فبراير من السنة الحالية ، مقالا بعنوان (المغرب اجمل ارض الله) وهذا مما جاء فيه : .. وما ان توغلت في داخل المغرب العربي حتى ازددت اقتناعا باني في سويسرا الشرق ، بل ان المغرب العربي يفوق هذه البلاد التي يتغنى بها الناس في كافة ارجاء الارض ، من حيث تنوع المناظر الطبيعية واعتدال المناخ ، فمن المحيط الهادىء ، الى الابطحة القدسية الخضراء التي لا تدرك العين مداها ، الى الغابات البكر التي تغطي الاميال المربعة ، الى الجبال الشاهقة ، والتي تشق صدر السحاب ، فتكلل هاماتها تيجان الجليد الناصعة ، ومن الانهار المتدفقة الى الجداول الرقراقة ، ومن الارض المنبسطة الى الاخاديد العميقة .. ولم يقتصر جمال المغرب على ما حبته به الطبيعة من مناظر اخاذة ، بل لقد اضاف ابناؤه الى ذلك جمال الصنعة ، فمدينة الرباط على سبيل المثال تعتبر تحفة رائعة في فن البناء العربي ... والمقال كله اشادة بجمال المغرب .

❊ ستصدر قريبا « دار الكتاب اللبناني » ببيروت، الطبعة الثانية من كتاب « اللهاث الجريح » لمؤلفه محمد الصباغ ، وقد صدرت طبعته الاولى بمقدمة ميخائيل نعيمة في سنة 1955 بتطوان ، والكتاب عبارة عن مراسلات غرامية دارت بين المؤلف ، وشاعرة لبنانية ، والطبعة الثانية منه ستصدر منقحة ومزادا فيها وبحلة انيقة .

❊ تأسست بمدينةتطوان جمعية باسم « اصدقاء تطوان » تهدف الى تنشيط الجو الثقافي ، وخدمة تراثها التاريخي والحضاري والفلكلوري على صعيد واسع ، نأمل لاصدقاء تطوان النجاح في مهمتهم ، والتوفيق في تحقيق اهدافهم .

❊ زارت المغرب فرقة الباليه الوطني الهندي ، واحيت عدة حفلات فنية موسيقية ، وكانت مكونة من 25 فنانا .

❊ قامت بعثة ثقافية اسلامية سينغالية بزيارة المغرب ، وتشرفت بمقابلة حضرة صاحب الجلالة محمد الخامس .

❊ دشن خلال الايام الاخيرة معرض الثقافة المغربية في متحف ناباستيك بمدينة براغ عاصمة تشيكوسلوفاكيا ، وقد حضر حفلة التدشين عدد من الشخصيات البارزة من بينهم ممثلون عن وزارتي الخارجية والتربية الوطنية ، والقى الدكتور هيرولد مديرقسم العلاقاتالثقافية بوزارة الخارجية كلمة بهذه المناسبة ، كما تحدث الدكتور كارل بتراتسيك الاستاذ بجامعة شال عن الثقافة المغربية ، وقدمت للجمهور في هذا المعرض عدة تحف استقدمت من متاحف المغرب ومن ادارة الصناعة التقليدية بالرباط ، كما عرض شريط سينمائي عن المغرب ، ونال المعرض نجاحا كبيرا .

❊ جاء في جريدة الاهرام القاهرية عدد 797 26 الصادر بتاريخ 25 ابريل هذاا لنبا الذي نقلناه عنه: « طلبت الاميرة عائشة كريمة الملك محمد الخامس من منظمة اليونسكو اعتبارها عضوا في لجنة الارف لانقاذ آثار النوبة » .

❊ اعلنت لجنة المهرجان الوطني للفلكلور عن نيتها في تحضير مهرجان فولكلوري عظيم لحوض البحر الابيض المتوسط خلال سنة 1961 ، ولربما ستدور في طنجة ، وتفكر اللجنة كذلك في تاسيس فرقة وطنية فولكلورية تحيي حفلاتها بالخارج .

* في اواخر الشهر الماضي زار المغرب المفكر السوري الكبير الاستاذ ميشيل عفلق ، وقام بالقاء محاضرة ببورصة الشغل بالرباط كان لها اثر كبير في نفوس الحاضرين .

* قدم قسم الشبيبة والرياضة في فاس معرضا يدخل في اطار البرنامج الذي وضعته منظمة اليونسكو لنشر الانتاج الفني ، وقد مدت المنظمة الثقافية الدولية هذا المعرض بمجموعات من اللوحات ذات القيمة الكبيرة . وقد ضم المعرض خمسين لوحة ملونة ومنقولة عن رسوم مائية من انتاج فنانين شرقيين وغربيين ، تعطي نظرة عن تطور الرسم في الغرب من من القرن 19 الى اليوم .

* افتتح مؤخرا في الرباط المهرجان الرابع لهواة المسرح .

* تعتزم وزارة التربية الوطنية اقامة مهرجان بمناسبة مرور احد عشر قرنا على تاسيس جامعة القرويين ، وقد تقرر ارجاء الاحتفال بهذه الذكرى الى اوائل شهر اكتوبر 1960 فيما بين الخامس والتاسع ، ونظرا لما يتطلبه مثل هذه الذكرى من اعداد ادبي يتناسب وماضي هذه المؤسسة الدينية الكبرى فان وزارة التهذيب الوطني تجدد النداء لسائر الكتاب والشعراء وتهيب بهم الى الاسهام فيها بكل ما يمس تاريخها البنائي والعلمي وستكون اللجنة الثقافية للذكرى مدينة بالشكر لسائر الكتاب والادباء والشعراء الذين يوفونها بانتاجهم في امد لا يتعدى منتصف غشت المقبل وذلك حتى يتسنى طبع المختار من هذه البحوث والكلمات استعدادا لاخراج الجميع في سجل خاص بهذه الذكرى .

* وقعت في 30 مارس الاخير بالرباط ست اتفاقيات بين تونس والمغرب من بينها اتفاقية تتعلق بتبادل البرامج الاذاعية بين البلدين .

* افتتح في يوم 7 مايو المؤتمر العاشر لجمعية قدماء تلاميذ المدرسة الادارية ودام يومين ، وذلك في كلية العلوم تحت رئاسة صاحب السمو الملكي مولاي الحسن وحضور الوزراء .

* اقامت المدرسة الثانوية النموذجية العربية بالرباط مهرجانا ثقافيا بمناسبة قرب انتهاء السنة الدراسية الحالية .

* اعلمت وزارة البريد والتلغراف والتليفون بالمغرب عن صدور سلسلة جديدة غير مجزاة من خمسة طوابع بريدية بمناسبة ذكرى مرور 11 قرنا على تاسيس جامعة القرويين .

* يجري الآن ترميم واصلاح بعض المساجد في العراق على يد جماعة من العمال المغاربة استقدموا من المغرب . وكانت وزارة الاوقاف بالجمهورية العراقية قد طلبت من وزارة الاوقاف بالمغرب ان ترسل اختصاصيا لدراسة حالة المساجد وتقديم مقترحات بشأن اصلاحها وتزيينها بالزخارف والنقوش على اساس الفن المغربي في صناعة الخشب المحفور والجبص والزليج . وبعد ان وافقت الوزاره العراقية على المقترحات وجهت وزارة الاوقاف المغربية خمسة من عمال نقش الجبص للعمل في العراق وقد باشروا بالفعل اعمالهم .

* فتح المكتب التنفيذي لمؤسسة محمد الخامس لانقاذ الضرير مركزا جديدا للمؤسسة في فاس مشتملا على قسمين داخليين واحد للذكور والآخر للاناث وستة فصول للدراسة ومكتبة زاخرة بالكتب الصالحة للمطالعة ، كما فتح نفس المكتب معهدا للموسيقى يتلقى فيه المكفوفون دروسا في الموسيقى الاندلسية .

* مثل المغرب في المؤتمر الاقتصادي الافريقي الاسيوي الذي انعقد اخيرا بالقاهرة السيد الشرايبي المكلف بشئون المغرب في سفارتنا بالقاهرة والسيد حسن برادة ممثل المكتب المغربي للتصدير .

* عقد بمدينة الدار البيضاء مؤتمر للسياحة تحت اشراف المكتب المغربي للسياحة .

* اطلق صانع عطور بباريس اسم «لمياء» الصلح خطيبة الامير عبد الله على عطر ابتكره خصيصا لها ، ولاميرات الاسرة المالكة .

* نظم مكتب السياحة بفاس في الشهر الماضي عدة مهرجانات سياحية ، وخصصت فائدتها لمشاريع اجتماعية .

* القى الدكتور ايتيليو نحادبو البحاثة الايطالي المختص في الشؤون العربية والاسلامية محاضرة في مدرج كلية الاداب بالرباط في موضوع « ايطاليا

والعالم العربي » كما قام بالقاء عدة محاضرات في مختلف المدن المغربية .

* انتهى الدكتور محمد احمد الحنفي خبير الموسيقى بالجامعة العربية بالقاهرة ، والذي زار المغرب اخيرا ليطلع على الموسيقى الاندلسية ، انتهى من اعداد بحث مطول عن « التواشيح الاندلسية » وقد قررت الجامعة العربية تبني هذا اللون من التراث الفني العربي القديم .

* انعقدت بتاريخ 23 ماي الماضي بقصر المامونية بالرباط الجلسة الاولى للمؤتمر الاول لمديري اذاعات الدول الافريقية المستقلة .

* نظمت في تونس مناظرة للابحاث العلمية ، قررت خلالها سلسلة من مقترحات من بينها انشاء لجنة تكون مهمتها تحديد ميادين الابحاث العلمية بتونس .

* ذكرت جريدة العمل التونسية في احد اعدادها الاخيرة انه من الممكن ان يقوم الاستاذ الكبير ميخائيل نعيمة بزيارة تونس بصحبة الدكتور نقولا زيادة ، وذلك في الايام الاخيرة .

* اعلنت كتابة الدولة التونسية ان الشيخ الطاهر بن عاشور عميد جامعة الزيتونة احيل على المعاش ، بعد موقفه المعلوم في شأن الصيام .

* افتتح في منتصف الشهر الماضي بدار الجمعية الثقافية بتونس معرض الهندسة الايطالية من 1945 الى 1960 باشراف اللجنة الثقافية .

* « التراث الموسيقي التونسي » كتاب صدر في تونس عن مجموعة البارف التونسية التي يتولى نشرها الديوان التربوي بنية تأسيس مكتبة موسيقية قومية .

* عقد بتونس مؤخرا مؤتمر البلدان الافريقية الاسيوية لامراض العيون .

* عينت جمهورية السودان الاستاذ متوكل احمد امين مندوبا عنها لدى منظمة اليونسكو .

* سيقوم السودان بتعريب القوانين السودانية ، وقد الفت لجنة خاصة ضمت عددا كبيرا من المستشارين بوزارة العدل بها للقيام بهذه المهمة .

* قدمت الى السودان بعثة من الصحافيين العالميين التي تزور النوبة وتفقدت الحفائر الذي يقوم بها الخبير الامريكي ادامز في منطقة فرس الشرق ، حيث شاهدوا معمل خزف من القرن السابع الميلادي الذي كان في الاصل ديرا للرهبان .

* اصدر الدكتور زكرياء ابراهيم مدرس الفلسفة بكلية الاداب بالقاهرة كتاب «مشكلة الفن» وهو الكتاب الثالث من سلسلة كتب « مشكلات فلسفية » التي تصدرها مكتبة مصر .

* اقترحت لجنة الموسيقى بمجلس الفنون بالقاهرة الاحتفال بذكرى الشيخ سلامة حجازي وذلك في 4 اكتوبر المقبل .

* اتم الدكتور احمد بدران ترجمة قصة « القمر وست بنات » لسومرت موم وذلك بتكليف من وزارة الثقافة بالقاهرة .

* بدات الادارة الثقافية بجامعة الدول العربية بالقاهرة في تنفيذ مشروع جديد من اقتراح الدكتور طه حسين وهو يتضمن ترجمة مسرحيات راسين .

* يقوم الاستاذ نقولا يوسف باعداد ديوان عبد الرحمان شكري للصدور في هذه الايام . سيضم هذا الديوان دواوينه السبعة التي كان الشاعر قد نشرها فيما بين 1909 و 1925 وهي « ضوء الفجر » و « لالاء الافكار » و « اناشيد الصبا » و « زهر الربيع » و « الخطرات » و « الافنان » و « ازهار الخريف » .

* اصدرت الدكتورة لطيفة الزيات روايتها الطويلة بعنوان « الباب المفتوح » .

* الشاعر العوضي الوكيل سيصدر له قريبا ديوان جديد وفريد ، ضم في هذا الديوان قصائد ساخرة يهجو بها 65 شاعرا معاصرا ، ورسمت زوجته كاركاتورات لهؤلاء الشعراء .

☼ وافقت لجنة الترجمة بالمجلس الاعلى لرعاية الادب والفنون بالقاهرة على طبع كتاب « الملهاة اليونانية والمسرح اليوناني » للدكتور صقر خفاجة ، وهو اول كتاب من نوعه في العربية يتضمن دراسات لفن الملهاة بانواعها .

☼ اصدر الاستاذ قدري طوقان كتابا جديدا بعنوان « مقام العقل عند العرب » .

☼ الشاعرة ملك عبد العزيز تصدر اولى مجموعاتها القصصية بعنوان « حديث امراة » .

☼ صدر في هذه الايام الجزء الاول من المعجم اللغوي الوسيط الذي اعده المجمع اللغوي بالقاهرة .

☼ عكف الدكتور محمد خلف الله منذ خمس سنوات على تاليف كتاب «القرآن والتطور الاجتماعي» ويؤكد انه لن ينتهي من تاليف هذا الكتاب قبل سنتين

☼ في النصف الثاني من شتنبر المقبل تستقبل القاهرة ممثلين لاحدى عشرة دولة عربية ومندوبين عن الجامعة العربية واليونسكو لحضور اول مؤتمر دولي عربي للفنون الشعبية .

☼ صدر اخيرا للدكتور احمد بدوي والدكتور هيرمن كيس بجامعة عين شمس « المعجم الصغير في مفردات اللغة المصرية القديمة » .

☼ عينت حكومة الجمهورية ع.م. الدكتور عبد العزيز القوصي مندوبا دائما لها لدى منظمة اليونسكو

☼ « وحي وبيان من لب القرآن » عنوان كتاب فريد في نوعه ، يشتمل على بعض صور القرآن الكريم يؤلفه كل من الدكتور محمد عزت خيري واللواء الدكتور حسين رياض .

☼ « طارق او فتح الاندلس » مسرحية طريفة كتبها الاديب عبد الحق حامد باللغة التركية ونقلها الى العربية الدكتور ابراهيم صبري .

☼ اقامت بلدية القاهرة تمثالا لاحمد عرابي بميدان العقبة .

☼ ارسلت الجامعة العربية الى الدول العربية تطلب تزويدها بمجموعات من الاعلام والصور والنشرات لاعداد المعرض العربي المتجول الذي ستنشئه الجامعة العربية لمواجهة دعاية اسرائيل في البلاد العربية .

☼ توفي في القاهرة الدكتور محمود ابو بكر دمرداش عميد كلية الطب العباسية السابق .

☼ في دار الكتب بالقاهرة 70 الف مخطوط قديم، وفي مكتبة جامعة القاهرة 4 الاف مخطوط عدا بضعة الاف اخرى مبعثرة في سائر المكتبات ، وهذه المجموعات لا تمثل الا اقل من 10 بالمائة من التراث الضائع في الخارج ، وفي مكتبة برلين بلغت فهارس المخطوطات العربية الموجودة بها 10 مجلدات ضخمة من الفهارس ، وفي مكتبة امبرتينا في فيينا يضم قسم البردي اكثر من 600 صندوق ممتلىء باوراق البردي العربية ، وفي مكتبة الامبروزيانا في ميلانو 8 الاف مخطوط عربي اهداها اليها الاب راني ، ومكتبة جامعة برنستون تلقت في السنوات الاخيرة 6 الاف مخطوط عربي هدية من احد خريجيها ، ومئات الالوف من المخطوطات راقدة في مكتبات الاسكوريال باسبانيا واستامبول وباريس .

☼ تم طبع كتاب « الصناعتين » لابي هلال العسكري وهو من كتب الادب العربي التي تقوم باصدارها وزارة الثقافة والارشاد القومي بالقاهرة .

☼ « غرفة على السطح » عنوان الكتاب الجديد الذي ظهر لمحمود البدوي .

☼ انتهى طبع كتاب « الشيخان » لطه حسين ، وهو الجزء الثالث من سلسلة الفتنة الكبرى .

☼ قررت لجنة الترجمة والتبادل الثقافي بالقاهرة ترجمة المختارات التي جمعها بول فاليري للفيلسوف ديكارت في سلسلة مختارات مشاهير الكتاب .

☼ في اوائل الشهر الماضي صدر بالقاهرة كتاب بعنوان « مسألة كرامة » للكاتب عبد المنعم سليم .

* « ناجي ، حياته وشعره » عنوان الكتاب الذي اصدره صالح جودت ، والكتاب يتحدث عن حياة الشاعر الخاصة .

* اصبح المرشح الوحيد لنيل جائزة الدولة التقدمية للجمهورية ع.م. الاستاذ العقاد بتزكية جميع الهيئات الادبية .

* « حياة النبات » كتاب علمي جديد اصدرته ادارة الثقافة العامة بالقاهرة ، قام بترجمة هذا الكتاب الدكتور محمد عبد الفتاح القصاص ، وراجعه الدكتور حسين سعيد .

* فرغ الاستاذ محمد كامل من ترجمة مسرحية « غرفة الجلوس » لجراهام جريس الى العربية .

* يقوم الاستاذ مجاهد عبد المنعم مجاهد باعداد دراسة نقدية عن الرواية ومشاكلها الفكرية .

* يظهر قريبا كتاب « ثلاث رسائل فى نظرية الجنس » من تأليف فرويد ، وترجمة الدكتور عثمان نجاتي .

* سيصدر فى القاهرة تاج العروس فى عشرين مجلدا ، وكلها مزينة بالرسوم .

* اصدر الدكتور شكيب الجابري روايته الخامسة بعنوان : « ثلاث فارات صغيرات » .

* تقوم وزارة الثقافة والارشاد بالاقليم الجنوبي بحصر اسماء الاعلام ومسقط رؤوسهم استعدادا لتأسيس ناد باسم كل واحد منهم .

* ستصدر وزارة الشؤون الاجتماعية بالاقليم المصري سلسلة كتب شعبية لاول مرة ، اول كتاب منها سيصدر باسم « بيت الطاعة » والثاني « تاريخ المخدرات » للواء عبد العزيز صفوت محافظ القاهرة .

* قررت وزارة الثقافة بالاقليم المصري انشاء متحف يطلق عليه اسم « متحف المسرح » يضم التراث المسرحي .

* صرح اخيرا الدكتور صلاح الدين المنجد بعد عودته من الاتحاد السوفياتي قائلا : ان المخطوطات العربية فى كل من لينفراد وطشقند تقدر ببضعة الاف مجلد .

* قضت محكمة الاستئناف بالقاهرة لفائدة الزجال الاديب المعروف بيرم التونسي بغرامة قدرها اربعمائة جنيه كتعويض له عن نشر بعض ازجاله بدون اذن منه .

* سيبدا الارسال فى محطة التلفزيون بالقاهرة فى 23 يوليو لمدة 5 ساعات يوميا تبدا من 6 الى 11 مساء .

* زار القاهرة اخيرا الدكتور الكسندر بوليش استاذ الاداب المسيحية والحضارة القبطية واللغة القبطية فى جامعات المانيا الشرقية ، وهو خبير فى الآثار المصرية القديمة واللغات السامية وعلم مقارنة الاديان ، وله مؤلفات عديدة فى هذه الدراسات تعد من المراجع الهامة ، وقام بهذه الزيارة لدرس ونقل بعض المخطوطات القبطية .

* فى البيان الذي اصدره اعضاء وفود المهرجان الاسيوي الافريقي الثاني للسينما ، الذي عقد اخيرا فى القاهرة ، قرر الاعضاء اقامة المهرجان الثالث فى الهند فى عام 1962 .

* يشتغل الدكتوران عبد الكريم اليافي ومحمد بدوي فى وضع كتاب عن المقومات الاجتماعية للقومية العربية .

* صدر فى القاهرة مؤخرا كتاب « حكايات واساطير من لبنان » من تأليف ميشال سليم يمين صاحب كتاب « سحر لبنان » .

* اقر مؤتمر الاعلام العربي الذي عقد اخيرا فى القاهرة ميزانية الدعاية للدول العربية فى الخارج للعام المقبل وهي تبلغ 630 الف جنيه ، وهي اكبر من ميزانية الجامعة العربية نفسها .

* يشتغل الاستاذ علي احمد باكثير فى تأليف ملحمة درامية شعرية عن عهد عمر بن الخطاب ، وقد اختار هذا العهد لانه ملىء بالامجاد والبطولات .

* نعت القاهرة العالم الكبير الدكتور ابراهيم رجب فهمي .

* « السحر والطلاسم خلال قرون الحضارة العربية القديمة ، وعصور الحضارة الاسلامية » عنوان كتاب يؤلفه الدكتور بشر فارس .

* يقام في القاهرة قريبا احتفال لاحياء ذكرى الشاعر المرحوم احمد راسم .

* يتلخص برنامج السنوات الخمس المقبلة للجنة الشعرية بالمجلس الاعلى للفنون والاداب بالقاهرة في : الاحتفال بذكرى شاعر كل عام ، طبع دواوين الشعراء ترجمات ودراسات عن الشعر العربي والاجنبي ، مهرجان الشعر الدوري ، اصدار تقويم سنوي للشعر، ترجمة مختارات من الشعر العربي الى اللغات الاجنبية اصدار مجلة « شعر » .

* يقوم المستشرق الالماني الدكتور رومر بنشر سلسلة من المخطوطات القديمة الادبية والتاريخية ، وذلك بالقاهرة .

* « المراة في خدمة القومية العربية » كتاب يشتغل في تاليفه الدكتورة بنت الشاطىء ، وسهير القلماوي .

* « القصة من خلال تجاربي الذاتية » عنوان لكتاب دراسي عن القصة العربية عبر العصور القه الكاتب عبد الحميد جودة السحار .

* « في الرواية العربية » بهذا العنوان اصدر الاستاذ فاروق خورشيد كتابا يبحث في القصة العربية من خلال الادب القديم .

* صدر كتاب بعنوان « الجحيم » وهو الجزء الثالث من الكوميديا الالهية لدانتي ، قام بترجمته من الايطالية الى العربية الدكتور حسن عثمان .

* اصدرت هياة النشر والتاليف بالازهر كتابا للشيخ محمود شلتوت احد كبار علماء الاسلام بعنوان « الاسلام عقيدة وشريعة » .

* نشرت الدار القومية للطباعة والنشر بالاقليم الجنوبي للجمهورية العربية المتحدة ترجمة كاملة للقصة الكبرى « صانع الملوك » لمؤلفها الثائر سباتيني وهي تحكي عن الكاتب الانجليزي روفائيل سكاراموش.

* اصدرت المكتبة الثقافية بالقاهرة كتابا لعبد الرحمن صدقي بعنوان « الشرق والاسلام في ادب غوته » وهو الكتاب العاشر الذي تصدره هذه المؤسسة .

* ابراهيم سعادة شاعر واديب ومحارب قديم ، اصدر اخيرا مجموعة من اشعاره بعنوان « سيف وقلم » وبعد هذه الاشعار اصدر في الايام الاخيرة مذكراته التي تحتوي على احداث وذكرياته الخاصة يوم كان ضابطا بالقسم الطبي بالجيش المصري .

* تقرر عقد مؤتمر الادباء العرب في دمشق بتاريخ 5 شتنبر المقبل .

* تبرع الملك سعود بمبلغ 100 الف ريال سعودي للمساهمة في بناء مسجد في حلب تتولى انشاءه الجمعية السلفية هناك .

* تبدي دوائر السياحة بالاقليم السوري اهتماما بالغا بقبر هابيل الذي اكتشف هناك ، وذلك للاستفادة منه سياحيا .

* اوفدت وزارة الثقافة والارشاد القومي بالاقليم الشمالي بعثة لتسجيل الاغاني الشعبية اثناء احتفالات الربيع في جبل العلويين باقليم سوريا .

* متحف قصر العظمة ، في دمشق يوشك ان يضم جناحا جديدا لمعروضاته ، يجري الآن الاعداد لافتتاح قاعة جديدة كما تجري بعض الترميمات في البناء ، يرجع تاريخ هذا القصر الى القرن السابع عشر ، اما المتحف الذي يسمى ايضا متحف التقاليد والفنون الشعبية فقد افتتح في عام 1952 .

* عقد بدمشق ما بين 24 و29 من ابريل الماضي مؤتمر علمي تحت رعاية الرئيس جمال عبد الناصر واشترك فيه زيادة على اعضاء المجلس الاعلى للعلوم بالاقليم الجنوبي ، رجال العلم في البلاد العربية .

* صدر مؤخرا ديوان المرحوم خليل مردم رئيس المجمع العلمي العربي السابق ، وقد قام بنشر هذا الديوان المجمع المذكور .

* سيعقد في هذا العام المهرجان الشعري السنوي في بلودان بدمشق وذلك في شهر يوليو المقبل .

* قامت مديرية التاليف والترجمة والنشر بدمشق بتكليف ثلاثين مفكرا واديبا بتأليف او ترجمة كتاب في احد الموضوعات التي اقرتها وزارة الثقافة والارشاد على ان تنشر هذه الكتب خلال الاشهر الستة المقبلة .

* بدات دار صادر بلبنان باصدار سلسلة جديدة دراسية عنوانها « شعراؤنا » صدر منها اخيرا دراسة عن ايليا ابي ماضي بقلم عبد اللطيف شرارة ، ومن الشعراء الذين تتناولهم : الرصافي ، الاخطل الصغير ، صلاح لبكي ، الياس ابو شبكة ، عمر ابو ريشة .

* انتهى الياس عبود من تاليف قصته الطويلة « النهر الحزين » وستصدر قريبا عن المكتبة البولسية ببيروت .

* لن يمر هذا العام ، الا وتكون حياة جبران خليل جبران ، واوسكاروايلد ، وفيكتور هوجو قد عرضت على الشاشة البيضاء ، فلقد بدات استوديوهات لندن تلتقط مشاهد فيلم « محاكمة اوسكاروايلد » وذلك بعد اعلان وصيته رسميا في اول يناير الماضي . كان اوسكاروايلد قد كتب كامل اعترافاته وصور مأساته وقصة محاكمته اثناء وجوده في السجن ، فلما خرج منه ، كان اول عمل قام به ان اودع وصيته الشهيرة لدى اصدقائه ومحاميه ، وطلب منهم الا يفتحوا المظروف قبل مرور خمسين سنة على وفاته ، وفي يناير الماضي فتحوا الوصية ، وانتقلت صفحاتها الى مكاتب الاستيديوهات ، وبعد ذلك عكف عليها مؤلفو السيناريو والمخرجون واسندوا دور البطل للممثل الانجليزي بيتر فينش الذي يشبه وايلدا ، اما فيكتور هوجو ، فقد وقع الاختيار على سبنسر تراسي كي يؤدي دوره في الفيلم الذي يبدا التقاطه قريبا في فرنسا ، وهناك اكثر من مرشح لبطولة فيلم جبران خليل جبران الذي كتبه صديقه ميخائيل نعيمة

* اكتشفت في بيروت اثار رومانية يرجح انها آثار كلية الحقوق الشهيرة التي دمرها الزلزال عام 155ق.م .

* صدرت عن « دار عويدات » ببيروت ترجمة ديوان للشاعر الفرنسي بول جيرالدي بعنوان « انت وانا » وصاحب هذه الترجمة هو المرحوم الدكتور نقولا فياض .

* اصدر الاديب اللبناني جورج شامل مؤلفا بعنوان « الواح صفراء » يتحدث فيه عن الجوع والجياع ، ومأساة الانسان في هذا العصر ، بحثا عن الخبز .

* من المنتظر قريبا ان يصدر القاموس الجديد للشيخ العلامة اللبناني عبد الله العلايلي ، الذي يقال عنه انه سيحدث ثورة في عالم المعاجم .

* اتم المجمع العلمي العراقي حتى الآن دراسة 130 من 300 مصطلح اقترحتها الدوائر الزراعية .

* « المراة في الشعر الجاهلي » كتاب جديد صدر حديثا في بغداد للدكتور علي الهاشمي .

* في 15 مايو الماضي اقيم بغزة مهرجان ادبي كبير تحت رعاية مجلس الفنون والاداب بالقاهرة وذلك ليتاح للادباء والفنانين فرصة الرؤية والاطلاع على احوال اللاجئين لتنعكس هذه المشاهد في انتاجهم .

* اصدرت وزارة المعارف السعودية مجلة تربوية ثقافية بعنوان « المعرفة » تشرف على اصدارها نخبة من الاساتذة الاكفاء .

* تلقت جامعة بنجاب الباكستانية هدية من الكتب الهندية القيمة وقد اكد ررجوار دايال المندوب السامي الهندي في باكستان انها ليست سوى هدية رمزية تدل على رغبة حكومة الهند وشعبها في تعزيز العلاقات الهندية الباكستانية .

* بمناسبة مرور 2 500 سنة على نشاة العالم البوذي احتفل بذكراه ، وصدرت عدة كتب عن الحضارة البوذية .

* افتتح في شنغاي بالصين اول مكتب بريد مزود باجهزة اوتوماتيكية لبيع طوابع البريد والجرائد وظروف الجوابات والبطاقات .

* ينتظر ان يتم في هذه الايام انتاج فيلم عن حياة الشاعر الهندي الكبير رابندرانات طاغور ، وقد اسند العمل فيه الى منتج كلكوتا المشهور ساتياجيت روي .

* اعلن وزير التربية بالحكومة المركزية الهندية انه تقرر تعيين مدرس مؤهل للغة العربية في كل مدرسة ثانوية بدلهي .

* دعا شري نهرو البلاد الهندية للاحتفال بالذكرى المئوية لميلاد الشاعر طاغور وقد اعرب نهرو عن هذا اثناء زيارته الاخيرة لجامعة فيزقا بهاراتي التي انشأها غور ودبقا رابندرانات طاغور .

* نجحت اذاعات عموم الهند في الحصول على تسجيلات لشعر رابندرانات طاغور كان الشاعر نفسه سجلها برادي والسويد في سنة 1930 عندما زارها ليتسلم جائزة نوبل .

* قضى المحكمون في معرض جمعية الكتاب الذي افتتح في طهران اخيرا بان كتاب « لمحات من تاريخ العالم » لنهرو ، يعتبر من الكتب العشرة الاولى، وواحدا من احسن ثلاثة كتب تاريخية عرضت في ايران في العام الحالي .

* بلغ عدد خريجي الكليات العلمية في اليابان في السنة الماضية 22 الف طالب ، منهم 4080 تخصصوا في اللاسلكي و 3800 في الالات و 3400 في الهندسة المدنية و 2135 في الكيمياء التطبيقية و 401 في صناعة النسيج ، اما عدد خريجي كل الكليات فيبلغ 120 الف خريج .

* في طوكيو انشات الحكومة الفرنسية معهدا ثقافيا على غرار ما لها من معاهد اخرى في عواصم العالم الكبرى .

* نظم مركز العلاقات الدولية للسينما مؤتمرا للسينما في بولندا ودام من 22 الى 25 ماي الماضي .

* قررت جامعة «اوترخت» في هولندا اعادة طبع دائرة المعارف الاسلامية التي قام باعدادها جماعة من علماء هولندا منذ قرنين .

* احرز المستشرق الهولندي ديان بروخمان على درجة الدكتوراه في الادب من جامعة ليدن على اطروحته « الشريعة الاسلامية في مصر المعاصرة » .

* بتاريخ 30 ماي المنصرم توفي الكاتب السوفياتي الشهير بوريس باستيرناك بعد مرض طال اكثر من شهر ، وقد احرز هذا الروائي الروسي على جائزة نوبل للادب لسنة 1959 على روايته « الدكتور جيفاكو » .

* يقوم معهد افريقيا الذي انشىء حديثا في موسكو بتهييء عدة ابحاث ودراسات تاريخية عن افريقيا ، وخصوصا تاريخها في القرن التاسع .

* فتحت بموسكو جامعة لطلاب الشعوب المتخلفة ، وستبدا هذه الجامعة اعمالها في مطلع اكتوبر المقبل .

* اعطيت جائزة لينين في الصحافة لسنة 1960 الى مجموعة الصحفيين الذين كانوا قد قاموا بكتابة تقرير عن سفر السيد خروتشف الى الولايات المتحدة، وقد نشر هذا التقرير في كتاب تحت عنوان « وجها لوجه مع اميركا » .

* صدرت مجلة المانية بعنوان « اومبولوط » تعنى بالثقافة والفن ، وتصدر عن كل ثلاثة اشهر .

* يحتفل العالم الموسيقي بذكرى مرور مائة وخمسين سنة على ولادة الموسيقي العالمي روبرت شوبان الذي كانت ولادته سنة 1810 بمدينة زويكو ، وتوفي سنة 1856 بمدينة اندنيش التي تقع على مقربة بون .

* اسس المجلس الاعلى للموسيقى الالمانية جمعية باسم « الموسيقى الشرقية » .

*الكتاب الذي الفه هتلر باسم « كفاحي » صودر اخيرا في برلين !

* عقد في برلين مؤتمر للاتحاد الدولي للصحافيين لدرس المسائل المتعلقة بحرية الصحافة .

* تريد اكاديمية غونكو ادخال اصلاحات جديدة على انظمتها وكذلك تريد الكوميديا الفرنسية ، وقد تساءل الاديب الفرنسي فرانسوا موريـاك في هـذه المناسبة عن الاسباب التي تقعد بالاكاديمية الفرنسية عن الاقتداء بغيرها ؟ وقال فرانسوا مورياك بعد ذلك ان الاكاديمية قد اصبحت مقرا لراحة كبار رجال الدولة الذين اصبحوا في سن التقاعد ، ولكن من الضروري ان لا يكونوا وحدهم وان تكون هناك عناصر حية الى جانبهم ، والعلاج الذي يقترحه بعد ذلك هو الشـاء ترشيح الاشخاص لعضوية الاكاديمية والاختصاصيين بين الادباء الحاليين ، واضاف بعد ذلك ان بعـض الاختلاط يدعو الى الانفجار نظرا لاختـلاف الآراء والاتجاهات بين عدد من الاعضاء او المرشحين ، ولكن الواقع يقضي بضرورة ذلك في الوقت الحاضر .

* يشتغل الكاتب الفرنسي افوري ديكـورت في كتاب عن الحضارة الاسلامية ، وقد زار اخيرا القاهرة واجتمع بشيخ الازهر وتحدث معـه في الشـؤون الاسلامية .

* صدر في باريس معجم عن الفن المصري وضعه عدد من الاخصائيين ، وهو مرجع علمي دقيق يتضمن كل ما يبغي الباحث ، وهو مزدان برسوم عديدة تيسر فهم موضوعاته .

* من المسائل التي تناولها مجلس اليونيسكـو التنفيذي بالدرس خلال دورته السادسة والخمسين حالة التعليم في آسيا والدول العربيـة وافريقيـا الاستوائية .

* احتفلت اليونيسكو بتقديم جائزة « كاسينجا » العلمية ــ وقدرها الف جنيه استرليني ــ الى العالـم البيولوجي جان روستان ، وهو العالم الثامن الـذي ينال هذه الجائزة التي خصصتها مؤسسة « كالينجا » الهندية لكبار العلماء الذين يذيعون كشوفهم العلميـة على اوسع مجال انساني ، كما تهدف هذه الجائزة الى دعم الروابط العلمية بين الهند وعلماء العالم .

* اقيم اخيرا في جامعة السوربون معرض للكتاب اليوغـلافي باشراف جمعية الناشرين اليوغـلافيين، واللجنة الدائمة لمعارض الكتاب والفنون الفرنسية ، وقد اعطى هذا المعرض صورة عن نشـر الكتـب في يوغسلافيا ، وقد حوى ترجمات لمؤلفات كبار الفرنسيين من امثال موليير واندريه جيد ومارسيل ايميه .

* اصدرت اسبانيا في هذه الايام اطرف طوابع للبريد في العالم ، وهذه الطوابع تحمل صورة مصارعة الثيران في اشكال متعددة .

* في الاسبوع الاخير من شهر ابريل الماضـي احتفلت اسبانيا بعيد الكتاب بمناسبة ذكرى وفاة رمز الادب الاسباني سرفانطيس الذي كانت وفاته في سنة 1616 ، ومن المعروف انه في نفس السنة توفي كذلك ويليام شكسبير ، ويحتفل كذلك في بريطانيا بهـذه الذكرى لامير شعرائها .

* طبعت اليونيسكو روائع فن التصوير الاسباني الروماني خلال عصور ثلاثة هي الحادي عشر والثاني عشر والثالث الميلادي ، وهذه المجموعة الجديدة هـي الخامسة بين مجموعات روائع الفن العالمية التي تعمل اليونيسكو على نشرها بين اكبر عدد ممكن من الجماهير التي تجهلها رغم قيمتها الفنيـة والتاريخية ، وقـد حصلت اليونيسكو على روائع هذه المجموعة الاخيرة من بعض الاديرة في شمال اسبانيا وشرقها ، وهي عبارة عن لوحات رسمت على الخشب او على الجدران .

* احتفلت المكتبة العامة ببرشلونة بالشاعـر الطلاني خواني مركال ، وحضر الاحتفال رئيس الدولة الاسبانية .

* من المتوقع ان يشيـد في القريـب مسجـد بالعاصمة الايطالية اذ من المعلوم ان المسؤولين عـن التمثيل الخارجي للجمهورية العربية المتحدة قامـوا بمساعي في هذا الشان لدى السلطات المختصة معبرين بذلك عن رغبة المسلمين التابعين لعدة دول مختلفة ، وتجدر الاشارة الى ان الفاتكان سبق له ان اعلن على انه لا يرى مانعا في تحقيق مثل هذا المشروع .

* ثبت بالتحقيق العلمي ان اقدم ترجمة عربية للانجيل تعود الى سنة 1342 ميلادية ، اعتمادا علـى تصريح مدير مكتبة امبروزيانا في ميلانو .

... ※ لوحة الفنان « رامبرانت » تمثل رجلا يمتطي حصانا ، بيعت اخيرا في المعرض الوطني بلندن بمبلغ 300 الف جنيه .

※ سيعقد في لندن مؤتمر غريب من نوعه في موضوع تحضير الارواح وذلك في سبتمبر القادم .

※ « شيلغ ديلان » كاتبة انجليزية اشتهر اسمها اخيرا ولم تبلغ العشرين من عمرها ، ويعرض لها الان في احدى المسارح بباريس تمثيليتها التي عنوانها « طعم العمل » وقد اعدتها للمسرح فرانسوا ساغان بمساعدة الكاتب نجريال اروت .

※ هاجم لصوص كنيسة يوجد بها قبر الشاعر شكسبير وسرقوا صناديق لها قيمة كبرى .

※ سيقام مهرجان كبير في لندن احتفالا بمرور 300 عام على تاسيس الجمعية الملكية للعلوم والفنون بها ، وستعلن افتتاح هذا المهرجان صاحبة الجلالة الملكة اليزابيت ملكة بريطانيا ، وذلك بتاريخ يوليو القادم

※ في سنة 1962 ستنشر المراسلات الفرامية لبرناردشو في كتاب ، وستصدر عن دار «ماكس رينارد» ومن بين هذه المراسلات الرسائل المتبادلة بين شو والممثلة ايلين طيري .

※ تباع في اسواق لندن الان اسطوانات مسجل عليها قصائد لكبار الشعراء المعاصرين باصواتهم ، منها قصائد لاليوت ، وييتس ، وكمنجز ، واودين ، وفروست ، وماكنيس .

※ وافق مجلس الشؤون الاجتماعية والاقتصادية للامم المتحدة اخيرا على مشروع اعلان حرية الانباء الذي ينص على ان جميع الشعوب يجب ان تتمتع بالحرية الكاملة في تبادل الانباء وان تتوفر لديها الوسائل لحرية التعبير .

※ بدا ايزنهاور في كتابة مذكراته منذ ان التحق بالجيش ، حتى اصبح رئيسا للولايات المتحدة الامريكية

※ طلبت وزارة الخارجية الامريكية من مجلس الكونغرس الزيادة في ميزانية التبادل الثقافي مع الشرق وجنوب آسيا بمقدار خمسين في المائة ، وتطلب الوزارة ميزانية قدرها عشرة ملايين دولار ، تتكون منها منح لاكثر من 1425 طالبا في السنة المقبلة ، اما المنح الخاصة بافريقيا فسيرتفع عددها من 267 الى 575 في نفس السنة ، وينال الطلبة المغاربة 58 منحة والطلبة التونسيون 21 منحة بينما توزع باقي المنح الافريقية كما يلي : 45 لنيجريا و 5 و 22 للسودان و 24 لغانا و 16 لغينيا و 16 لليبيا .

※ صدر في الايام الاخيرة بامريكا كتاب قفز الى قمة التوزيع ، مع انه خال تماما من الصور والاثارة والجنس والجريمة وكل عناصر التشويق التجارية ، وعنوان هذا الكتاب « وصفات بلدية لاطالة العمر » والمؤلف طبيب عجوز قضى خمسين سنة في جبال ولاية فيرمونت المشهورة بطول الاعمار ، ثم وضع تجاربه في كتاب جديد ، واسم المؤلف الدكتور جرفيس والكتاب في طبعتين في لندن ، ونيويورك .

※ دلت الاحصاءات الماخوذة عام 1959 على ان هناك دولا سبعا تحتل المكانة الاولى في اصدار الصحف اليومية ، كانت امريكا هي الاولى بعدد صحفها الذي يبلغ 1824 تليها المانيا الغربية فروسيا ، فالارجنتين ، فاليابان ، فالسويد ، وجاءت فرنسا السادسة بمائة وتسع وثلاثين جريدة ، وبريطانيا الاخيرة بـ 114 .

※ سيصدر الاديب المهجري الكبير نظير زيتون كتابا عن الادب المهجري .

※ نعت الجالية العربية بالبرازيل الياس اليازجي احد اساتذة جامعة العلوم بسان باولو ، وصاحب عدة مؤلفات عربية وانجليزية وبرتغالية .

※ الشاعر الامريكي الكبير فروست وضع تعريفا جديدا للناقد قائلا : « ان الناقد هو كاتب حسابات الفن ، يسجل ما للفنان وما عليه ، ويكتب الرصيد » .

※ يشتغل الاديب المهجري نظير زيتون في تحضير معجم باللغات الثلاث : العربية والاسبانية والبرتغالية.

فهرس العدد التاسع . السنة الثالثة

نداء الى رجال الفكر

تعتزم وزارة التربية الوطنية اقامة مهرجان بمناسبة مرور احد عشر قرنا على تأسيس جامعة القرويين ، وقد تقرر ارجاء الاحتفال بهذه الذكرى الى اوائل شهر اكتوبر 1960 فيما بين الخامس والتاسع منه ونظرا لما يتطلبه مثل هذه الذكرى من اعداد ادبي يتناسب وماضي هذه المؤسسة الدينية الكبرى، فاننا نجدد النداء لسائر الكتاب والشعراء ونهيب بهم الى الاسهام فيها بكل ما يمس تاريخها البنائي والعلمي ، وستكون « اللجنة الثقافية » للذكرى مدينة بالشكر لسائر الادباء والاساتذة والعلماء اللذين يوفونها بانتاجهم فى امد لا يتعدى منتصف شهر غشت سنة 1960 وذلك حتى يتسنى القيام بطبع المختار من هذه البحوث والكلمات استعدادا لاخراج الجميع فى سجل خاص بالذكرى ويمكنكم ان تبعثوا بكلماتكم وقصائدكم الى مركز اللجنة الثقافية للذكرى برئاسة الجامعة المغربية كلية العلوم .

مباراة شعرية لنيل

جائزة شوقي

وصلنا من مكتب المستشار الثقافي لسفارة الجمهورية العربية المتحدة ، الاعلان التالي :

يعلن المجلس الاعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية عن مسابقة فى الشعر لنيل جائزة شوقي لعام 1960 بالشروط الآتية :

1) تخصيص جائزة شوقي لاحسن مسرحية شعرية تتألف من اكثر من فصل او لديوان شعر فى التاريخ القومي لايقل عن خمسمائة بيت .

2) يشترط فى الانتاج المقدم ألا يكون قد سبق نشره او نشر ولم يمض على نشره اكثر من عامين من تاريخ هذا الاعلان .

3) آخر موعد للتقدم للمسابقة هو نهاية اغسطس سنة 1960 .

4) يرسل النتاج المتسابقين الى سكرتارية المجلس الاعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية 9 شارع حسن صبري بالزمالك بالقاهرة .

قصر البطحاء بمدينة فاس

مطبعة فضالة ــ المحمدية